

الطبعة
2



رواية

بتوقيت جريتتش

رانيا الطنوبي

دار اكتب

بتوقيت جرينتش

رانيا الطنوبي

الطبعة الثانية ، القاهرة 2018م

غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : خالد رجب عواد

رقم الإيداع : 2018/ 4681

I.S.B.N: 978-977-488- 570 - 9

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونياً نسخاً أو تسجيلاً أو تخزيناً، دون إذن خطي من الدار



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ،

مصر

هاتف : 01111947957

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر.

بتوقيت جرينتش

رواية
رانيا الطنوبي



دار اكتب للنشر والتوزيع

نسخة إلكترونية خاصة

بصفحة اكتب أون لاین



https://www.facebook.com/daroktob2007/?modal=admin_todo_tour

إهداء

إلى صاحبة الفضل بدعواتها ورضاها، إلى أمي بارك الله في
عطائها، وإلى من علمتها فكانت صاحبة الفضل على كلتينا،
جدتي رحمة الله عليها.. وإلى أبي وزوجي الحبيب وإخوتي
أحمد وإيمان ودعاء وآية... أهدي سطور تلك الحكاية.

قبل مرور عام

كان يجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا يُمني نفسه بمجيئها، ولكنها كعادتها تأخّرت، نظر لساعته وزفر ثم فَرَكَ يده وتوجّه للنافذة المطلة على ساحة الجامعة ووقف بها شاردًا يتساءل بقلق: هل وافقوا على إجراء التجربة؟

وعلى الرغم من عشقه لـ"ربما"، فإنه هذه المرة تمني أن يكون موقفهم حاسمًا.

وقبل أن يتلاعب به الشك قرر التأكيد لنفسه بثقة.

أنت عارف أبو العزم وهم يعرفون ذلك جيدًا، يعرفون الرجل الذي لطالما جعل من "ربما" مبدأه ليفتح معها فضاء الاحتمالات على مصراعيه لكل فكرة يتردد أي عالم في تنفيذها.

فلولا "ربما" ما كانت أحلام البشر، وما كان هو ليهاجر منذ عشرين سنة تاركًا كل شيء خلف ظهره ليدرس الطب الإيحاءى وعلوم البرمجة العقلية ويصنع جهازه الذي سيغير مجرى حياة البشر.

وأخيرا وصلت إيميلي، صوتها الحاد انتشله من أحلامه التي كان ينسجها عن نجاحه وغناه، وبمكتبها كان اجتماعهما لتخبره ببرود الإنجليز أن بحثه وتجربته قد تم رفضهما، سعى للمناقشة لكنها حسمت الأمر بصيغة قاطعة:

"إنها مجرد نظرية مبنية على افتراض، أضف إلى ذلك أن القوانين لن تسمح لك بالتلاعب بعقول البشر".

ترفع عن الجدال وغادر حانقا وبمكتبة الكلية انزوى، شاردا لا يدري من أين البداية حتى أتاه همس آدم يقطع عليه شروده:

- ما أكثر العاديين يا عارف.

- ربما.

قالها بضيق وقد بدا مُشوَّشا، فرد آدم بثقة:

- ربما هنا ليس مكانهم.

- محتمل.

- حاول وستجدهم.

وعندها تبادلا النظرات وقد استوقفت ابتسامته عارف متسائلا: أهى لحنه على المجازفة أم أنه يعرض المساعدة؟ وبغض النظر عن السبب يكفيه أنه قد حسم أمره بـ "ربما" تنجح التجربة.

قبل التجربة

(1)

إرساء القواعد

القاعدة الأولى

(إذا أردتَ أن تبیع الوهم سوق له بشكلٍ جيد)

"أن تكون نفسك".

"أن تعرف من أنت".

"أن تدرك ذاتك الحقيقية".

كلمات قد تكون عنوانًا لدورة تدريبية، أو مقدمة كتاب كُتِبَ
على غلافه:

"الهري الأكثر مبيعًا في تاريخ البشرية".

ولأنه يدرك كم هي براقة كلمات التغيير قرر أن تكون هي
مدخله، فما أسهل إقناع البشر بأن تحقيق الأحلام هين، وبأن ثمة طُرقًا
بسيطة لا تحتاج لتعب وعندها لن يصدقوا وحسب بل جميعهم
سينفذون ما يُلقى على مسامعهم حتى لو بدا غير منطقي.

عاد عارف للقاهرة بعدما انصرم عام قضاؤه في التخطيط لعودته
لتكون استثنائية ومبهرة، وصل مطار القاهرة، حاملاً أغراضه وقفصين
وبكل قفص "قرد".

ليبدو كمشهد من أحد الأفلام، إلا أنه قد بدل في صورته فحتى
لو كان عائدًا من بريطانيا فهو لم يمسك بيده "pipe" يدخنه، ولم

يتحدث بكلمات ما بين الإنجليزية والعربية، بل بدا رجلاً في بداية الخمسين من عمره وملامحه مصرية بامتياز.

- نورت مصر يا فندم.

قالها ضابط المطار وقد مدَّ عارف يده بجواز سفره وعندها تابع:

- حضرتك بروفيسور؟

- أيوه.

- وإيه اللعب اللي معاك دي؟ دي قرود؟

وقبل أن يرد عارف نظر الضابط لزميله وعقَّب بتأكيد: صناعة لعب الأطفال في العالم كله اتطورت، أول امبارح كانت واحدة جايبة معها قطعة، شيء خيالي يا أخي متفرقهاش عن الحقيقة، أه وربنا.

ثم بادر بسؤاله لعارف:

- ودول بزمالك ولا بريموت؟

بايتسامة ساخرة أجابه:

- لا دول بيشتغلوا بالتصقيف تصقف القرد يتنطط، وأول ما تبطل تصقيف يبطل تنطيط.

وجاءته الإجابة بانهار:

- لا مش ممكن، طيب تسمحلنا نتفرج.

وهذا ما حدث، صقفوا معاً والقرد قفز، وعلت بعدها التمتمة.

"الغرب دول عليهم حاجات يا أخي، أنا في الأول كنت فاكرهم حقيقيين، ودول حضرتك جايبهم لمن هنا".

– لولاد أختي أصلهم قرود برضو.

– ما شاء الله ربنا يخلي، لا حضرتك نورت مصر والله وأنا سعيد
إني شوفت حضرتك.

وقبل رحيله رجاه:

– طيب تسمحلنا بس بصورة سيلفي مع القرد.

وبالتأكيد وافق، ثم أنهيت أوراق عارف، وغادر بعدها لتبدأ
التمتمة، فالجميع حوله ما بين هامز ولامز، محور حديثهم جملة واحدة:
"شوفت القرد".

لكنه لن يبالي، فكل ما يرجوه الآن هو أن يبدأ بحته عن العاديين،
وسؤال واحد يشغله هل سيجدهم؟!

هو كملايين يلجم، وأحلامه ليست معضلة أبدًا، يريد أن يبدل
حالة شقته من إيجار جديد لتمليك حتى لا يكون تحت رحمة مالكيها،
أن يضمن لزوجته وما تحمل بأحشائها غدًا خاليًا من الديون، وهامشًا
لا بأس به من الرفاهية، لعل حماته المصون ترضى عنه ذات يوم، تلك

التي رحلت منذ ساعات بعدما أفسدت عليه يوم إجازته كعادة كل
جمعة تأتي فيها لبيته لتساعد ابنتها كونها بالشهور الأخيرة لحملها.

انزوى بغرفة صغيرة بمزله يسميها مجازاً غرفة مكتبه، دون اسمه
بابتسامة ساخرة على آخر خطاب كتبه والذي سيقوم بإرساله غداً"

"مسعود سعيد أبو السعد"

فهل سيتحقق حلمه يوماً بالسفر؟

ربما!

فتح بريده الإلكتروني ليتأكد أنه لم يصله ردٌّ من أي شركة
راسلها، فزفر ثم نظر للخطاب الذي قرّر إرساله بريدياً، ومنى نفسه
أن يتحقق حلمه بأي الطرق، أغلقت درة التلفاز ونادته لينام، فقام
بعدها تشاءب وجاورها وقد تمدّد واضعاً كلتا يديه أسفل رأسه يطالع
سقف الغرفة بشروود مبتسم، مستسلماً للذة أمنية من فرط الرجاء
باتت عالية، تقلبت زوجته في نومها فظن أنها ما زالت مستيقظة،
فالتفت ليسألها بشوق:

— أنتِ نمتِ يا حبيبتِي؟

والرد جاءه من يدها وهي تتقلب مرة أخرى وقد صفعته دون قصد،
صفعة كاد يردها من فرط غيظه إلا أنها كانت بالفعل مستغرقة بالنوم،

فلم يملك إلا أن يوليها ظهره وهو يلعن الزواج، ليكون الرد منها
ركلة باغته فسقط معها أرضاً ليقف ويزعق عندها:

- وكمان بترفصي، ده إيه العيشة دي يا ربي!

ولم يملك إلا اتخاذ أريكة الصالون ملاذاً لينام ما تبقى من ليلته،
فلا اعتراض على أي تصرف لدره يعني حزنها ومحاضرة مُطوّلة من
حماته بأن الحامل لا بد أن تنعم بجوّ من الراحة وخصوصاً زوجته
كونها حاملاً بتوأمهما والويل له لو نسي.

وفي الصباح كان منها العتاب بفرط أسى، لزوجها الذي ما عاد
يجبها وها هي البداية: نايم في الريسبشن، دي آخرتها، بتدور على أي
فرصة عشان تبعد عني.

ومقصدها الحقيقي كان إظهار الضيق من فكرة سفره، هو يريد
الغربة وهي لا تريدها، هو يريد تحسين ظروفهما وهي ببساطة راضية.

ولم تصمت بعدما وضعت الفطور، بل ظلت تتبرم بكلمات
مفادها لعن السفر والغربة والفراق لتفرض عليه الرد معترضاً:

- يعني عجبك عيشتنا؟

- إحنا أحسن من غيرنا؟

- أهو ده كلام الناس الخائية، اللي معندهاش طموح ولا بتفكر
لبكرة، وكفاية بقى عشان أنا زهقت وعايز أروح شغلي.

أكمل هندامه وتناول فطوره في صمت ثم رحل بعدما حسم النقاش ببتره، يكفيه ما يتلاقاه بالمترو حين يرتقي بجسده في خصم التلاحم البشري، تكاد تنهشم نظارته إذا لم يكن قد حدث هذا مرتين من قبل، وبين أمنية "سكة يا أستاذ، قدام فاضي على فكرة".

مرورًا بـ "ما نساعي بعض يا جماعة، ما كلنا عندنا أشغال".

يسند جسده على أحد الأعمدة المعدنية، تطوف على محياه ابتسامة أسي وهو ينظر لنفسه، اتسخ حذاؤه لكن ملابسه نجت ونظارته وبفضل الله لا تزال سليمة.

ومن مسعود لحايب الرجا كما تنعته زوجته:

"عبد الشكور رسمي عبد الصور"

بنفور رددت المدرسة بالحضانة المتميزة اسمه وكأنها تريد السخرية، مستغربة من اسم زوجته رنا وابنته كتري والتي لم تجب عن أسئلتها التي طرحتها على مسامعها باللغة الإنجليزية لتنتهي المقابلة التي سعت لها رنا برفض الحضانة لابنتها "الفاشلة".

فينقلب اليوم رأسًا على عقب، لن تكتب على حسابها بالفيس بوك أن ابنتها بحضانة منتسوري كبقية أصحابها، وبالتأكيد عبد الشكور هو السبب كونه رفض اقتراحها بأن يتحدثا بالإنجليزية أمام ابنتهما كي تتحدثا بطلاقة:

"نعم".

هتف بها وكاد يشق ملابسه وهو يكمل:

- يا شيخخة اتقي الله ده كنت بجيب فيه درجة النجاح.

زاد غضبها فردت:

- ما أنت لو سمعت كلامي كان زمانك **fluent**.

ولم يكن يعرف معنى الكلمة فشعر بالخرج، لكنه قرّر تدارك الموقف والرد بثقة:

- مش أنا الراجل اللي يقبل حاجة زي دي على نفسه.

ظنته يمزح فزفرت وهي تضرب قدمها اليسرى في الأرض من الغيظ ثم تركت له الغرفة، جلس على طرف السرير ثم تنهد بأسى وشرد، هل سيتحقق حلمه يوماً برضاها؟

ربما!

هو يبذل قصار جهده ليوفر لبيته كل ما يستطيع لكن اللعنة على راتبه الذي ينقصي قبل نصف الشهر، ورغم هذا هو لا يقدر على كسر خاطرها ورفض دخول ابنته لحضانة تكاد تقترب مصروفاتها من نصف راتبه أو أكثر لكنه لا يملك حيلة أمام إلحاحها.

"ربنا يهديك يا رنا".

تتم بها وهو يُمني نفسه عدوها عن الفكرة لكن مع صباح اليوم
التالى تفاجأ بما وقد أعدت طبقاً به "كيس كرواسان" بجوار علبة
عصير، ثم وضعت قبلة دافئة على خده، وإذا عرف السبب بطل
العجب؛ حضانة أخرى بمميزات أكثر وقد عددت: مصروفاتها أقل
بكتير من اللي قبلها ومدرسين على أعلى مستوى، قلت إيه يا شيكو
- شيكو تعب وربنا.

وبدا لها حين خرج أن دلالها قد فقد أثره بينما هو بسيارته زفر،
من تظن نفسها لا يدري، ألم تنظر بعين صادقة ولو لمرة واحدة
لإمكانياتهم، لسيارتهم الـ 128 التي ورثها عن والده، تلك التي
تكركر أكثر منها تمشي، وها هي قد فعلتها ثانيًا "كركرت"، فأخرج
رأسه من النافذة، وهتف بأحد المارة بعشم مواطن مصري: زقة بس،
معلش.

وبين انعدام المبالاة مروراً بجملة: يا أخي هي ناقصاك ع الصبح، لم
يجد عبد الشكور بُدًا فنادى على بواب منزله:
- معلش يا لؤي إيدك معايا.

فاتجه إليه واضعاً جلبابه بين أسنانه ليدفع سيارته التي يكاد يجزم
أنها من مخلفات الحرب العالمية الثانية، بينما هو يكاد يجزم أنها أدمنت
السير بقوة الدفع لا البترين.

إلى أحد شوارع الحلمية وقد بدا صباح مختلف، فقد طفحت
المجاري ليلاً فلم يملك الأهالي إلا رصّ قطع من الطوب ليتمكنوا من
السير فوقها، عندها شمر عن ساقيه مقررًا الوثب فوقها لتفادي المياه.

"فهل يفعلها عم إسماعيل؟"

وكاد لولا أن انزلت قدمه فسقطت أرغفة الخبز من يده
وسقطت عصاه وتعالى هتاف بانعة الجرجير.

"يا بشير الحق جدك وقع في المجاري".

فركضَ مُسرِعًا ليجد جده يزعم بمن وقفوا حوله:

- دي رصة طوب يا بهائم، مش اللي يرص الطوب يرصه عدل.

سعى لإسناده لكنه وكزه بعصاه ليعده عائداً لمزله، فجده كعادته
يأبى الاعتراف بما خطه الزمن ويُصر أنه لا يزال كما هو، وما إن
وصل حتى احتدم الشجار بينه وبين ابنته، أصرّ أن يجلب الفطور
فأتلف الخبز، ووقف بشير كالعادة بالمنتصف ساعياً للتهديّة.

لكنه لم يملك حيلة قط مع عنادهما، وبالنهاية انزوى جده بغرفته

مقررًا

"لن يفطر".

وبعد نظرة عتاب من بشير لوالدته اتجه هو للفرن لجلب خبز
بديل، ثم إلى محل الفول والطعمية المجاور ثم عاد، أعد صينية الفطور ثم
طرق الباب وهتف:

- والله يا حاج إسماعيل لو ما فطرت ما هفطر.

وأمام جملته رضخ جده فقبل جبهته ليسترضيه وعندها ابتسم
إسماعيل وسأل:

- جيت طعمية؟

- سخنة ومحشية ومنسيتش المخلل.

- طيب اقعد خلينا ناكل عشان تلحق تروح شغلك.

رضاه بالتأكيد الأهم، حتى لو كان الثمن التأخير على موقف
الميكروباصات وإيجاد ما توقعه.

"مفيش ميكروباصات".

جملة تحمل بين طياتها أسوأ التوقعات، فإما نصف المسافة أو أجرة
مضاعفة، هذا إن أتى ميكروباص بالأساس، وانتظر فهو لا يملك
خيارات أخرى حتى أتى واحد وهتف سائقه:

- الأجرة بقت خمسة جنية يا بهوات.

ولم يعترض أحد، بالنهاية مقعد عن طريقه ستصل لوظيفتك، بغض النظر عن شكل جلستك، أما هو فقد انحسر بالأريكة الأخيرة وسط رجل وامرأة.

وتعالت المهمة ففهم منها أنها دعاء على السائق المستغل وهنا اعترض أحدهم:

– يا جدعان متدعوش عليه، استنوا أما نترل الأول.

"ونعم الأخلاق!"

هي الوصف الأدق لكل ما دار حوله بل أنها تأكدت حين اكتشف بشير أنه لا يحمل بمحفطته إلا ورقة نقدية واحدة من فئة الخمسين جنيهاً ولا يحمل غيرها.

لتأتية من بعدها التعليقات تباعاً ابتداءً بالسائق الزاعق لأنه لا يملك فكة، مروراً بالركاب وتعليقاتهم.

"مكنتش قادر تفك من أي كشك - شكله كل اللي معاه خمسينات وميات - الله يحنن عليك يا عم".

– وربنا ما معايا غيرها.

وصوت انتشل الجميع وفرض على السائق أن يُوقف العربة فجأة

"فاضي يا أسطى؟"

– طبعاً يا آنسة اتفضلني.

وتناسى الجميع أمر الخمسين جنيهاً وساد الصمت لدقائق يتابعون فيها الآنسة التي ما إن لحها بشير حتى تمنى لو انشقت الأرض وابتلعتته، رُحماك ربي إنها صبا، زميلته في العمل و....

سته أشهر يتابعها في صمت وأول موقف يجمعه بما يكون هنا، انكمش في مقعده أكثر وفي نيته لن يشعرها بوجوده، لكن هيات فالسائق قرر نزوله ما دام لم يدفع أجرته، ثم نظر باتجاه صبا وأعطاهما نقوده لتعطيه إياها، وحانت الالتفاتة لتكتشف أنه بشير مسؤول قسم الحسابات، وما إن مد يده ليتناول النقود ويتجه للتزول حتى هتفت هي:

– الأجرة عندي يا أسطى.

أتدفع نيابة عنه؟ عرفته بالتأكيد، ذلك المرتبك الذي يتفادى دوماً النظر لوجهها ولو نظر يكاد يغرق في تصيب وجهه بالعرق، انكمش أكثر وشعر ببالغ الأسى، أهذا هو الموقف المنتظر؟

أبعد كل هذا من الممكن أن يتحقق حلمه وتكون زوجته؟

"ربما؟!"

صُدِم إلى حد أنه آثر الصمت دون شكرها بينما المهمات عادت من حوله للحد الذي فرض على من جلس أمامه أن يلتفت إليه ولسان حاله يكاد يهتف "يا ريتني كنت أنا يا أخي".

متى يكبر؟

سؤال تسأله كل أم تُمني نفسها برؤية ابنها رجلاً.

لكن ماذا لو كان هذا الرجل يبدو لها بكل تصرفاته طفلاً؟

بالأمس نام حتى المغرب كعادته بيوم إجازته، وعندما استيقظ طلب شايًا بلبن، ثم خرج برفقة أصدقائه على المقهى وتناول شايًا بلبن ثم عاد وجوارها مساء وتفادى الحديث معها بعدما أنهى يومه بكوب شاي بلبن، وها هو الآن ينهي هندامه أمام المرأة وقد أغدق على ملابسه نصف زجاجة العطر ثم انطلق ليجاورها ليتناول فطوره المعتاد شايًا باللبن ويقسمًا بالسمسم، وعندها علا هتافها بضيق: برضو هتسقي يا عيسوي.

ودون تعقيب واصل التهام البقسماط اللين بتلذذ، وهو يغمض عينيه ليعبر عن مدى اشتهاه لما يأكل، والابتسامة تملو شفثيه، أترها تصمت وتتركه؟! لن تفعل وراحت تعيد ذات حوار الأمس الذي تهرّب منه سائلة:

- كلمت عماد؟

زفر بشدة ثم وضع البقسماط من يده وهتف:

- يا ماما حرام والله هو ليل نهار مفيش موضوع ممكن نتكلم فيه
غير جوازي؟

لوت شفيتها بضيق وعقبت:

- مش أنت اللي قلت هتكلمه عشان يحددلك ميعاد مع بنت
خالته.

زفر ثم قرر أن يريجها فأجاب:

- حاضر يا ماما، أول ما أوصل الشغل هاكلمه يحددلنا معاهم
ميعاد، حلو كده؟

ابتسمت برضا ثم رفعت يدها بالدعاء:

- يا رب الموضوع المرة دي ينفع واخلص منك بقى.

- يا رب يا أم عيسوي.

وأسرع بالتقاط كوبه وشربه دفعة واحدة وسحب مفاتيحه
وأسرع بالخروج وهو يُمني نفسه أن تتناسى مشيرة أمر زواجه.

فهل سيتحقق حلمه بأن تتركه وشأنه؟

"ربما؟!"

ركب دراجته البخارية وانطلق حتى توقف أمام مقر شركته، كانت الثامنة صباحاً بتوقيت القاهرة، لمح صبا تمشي يتمهل وما كان هذا ليستوقفه إلا عندما لمح بشير آتياً من خلفها فلمعت عيناه مقررًا أن يبشر ضجر ذلك المتحذلق دائم السفسطة كونه معجبًا بها، فاقترب منها عند مدخل البناية وسعى خلف فتحة أي حوار مفاده التلكؤ، المهم أن يمر بشير بجوارهما فيمنحه ابتسامة باردة تفرض على بشير الشعور بالغضب من ذلك المزعج العابت الفوضوي، وكونه خجولًا صعد الدرج تاركًا المصعد لهما.

أما عبد الشكور فبعد معاناة وصل، ركن سيارته وأسرع إلى عربة عم شلتوت ليشتري فطوره المعتاد - سندوتشات الفول والمخلل - وأسرع باتجاه الشركة، كاد يرتطم بذلك المهندس المتغطرس الذي لا يُلقى السلام أبدًا على أحد.

وما استشعره مسعود عندها أنه تمالك نفسه بمعجزة حتى لا يصفع ذلك التافه المسمى عبد الشكور، أي كيس هذا الذي يحمله وكاد يلطخ به ملابسه التي نجت بأعجوبة من المترو، بادلا بعضهما البعض الصمت حين حملهما المصعد بينما اتجه كل واحد منهما إلى مكتبه، متمنيًا مرور يومه دون مشكلات بالعمل، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه وبمكتب عبد الشكور كانت البداية حين علا رنين

الهاتف فأجاب: شركة الفيروز للانشاءات والاستثمار العقاري، نحن من نصنع الفرق بحياتك، لسنا متفردين ولكننا مميزون.

- يا شيخ اتبيل.

انتصبت قامته وابتلع ريقه وهو يهتف:

- فيروز هانم صباح الخير.

- خير، هو اللي يعرفكم يعرف خير تعلاي فوراً على مكنتي يا أستاذ، اتفضل.

أغلقت الخط ثم هاتفت صبا سكرتيرتها تطلب منها إبلاغ الجميع بأن هناك اجتماعاً بمكتبها خلال عشر دقائق.

وما إن اجتمعوا حتى تعالى هتافها بهم:

- ده اسمه استهتار يا أساتذة، دعاية للمشروع تكلفتها قُرب المليون جنيه وفي الآخر أراجع برشورات الدعاية ألقى فيها أخطاء، إزاي ده يحصل.

حدقوا ببعضهم البعض، لن يمر اليوم على خير، عادت فيروز لزعيقتها نظرت لواحد واحد منهم وقامت بتوبيخه، دون فرصة واحدة لشرح الأمر أو تفهم أين الخطأ أو حتى الدعوة للبحث عن السبب، يكفيها أنها فرغت طاقة الغضب وأهمت كلامها محذرة:

- أنا هكتفي بتلات أيام خصم لكل واحد فيكم لكن أقسم بالله لو اتكررت الغلطة دي مرة تانية هتكون النتيجة إني أقولكم بالسلامة، مفهوم.

بالطبع ومن هو الذي لن يفهم معنى حصوله على راتب أقل، مضافاً إلى ذلك بالغ شعوره بالحنق لأنه لم يكن صاحب الذنب.

وهذا ما استشعره مسعود بالضبط وهو يصفع باب مكتبه خلفه ثم يركل بقدمه المقعد المقابل لمكتبه هاتفاً بحنق:

- اللي اسمه عبد الشكور ده يتنيل يغلط وأنا اللي أشيل قرفه.

وما زاد الطين بلة رنين هاتف لم يكن بوقته من درة ولم تصدق أنها صُفعت بإحدى كلماته فقط لأنها سألت ببراءة:

"مسقعة ولا بامية".

أما عبد الشكور فارتمى على المقعد المقابل لمكتبه ببالغ الأسى، سيحملونه المسؤولية عما حدث، والحجة مسؤول قسم التسويق، ولكن من المسؤول عن المراجعة النهائية قبل أن يعتمدها، أليس هو ذلك المتغطرس والآخر الفوضوي؟ وكالعادة لن يجد من يشعر به، هو يحترق ليجلب المال ويؤبّخ حتى لو أخطأ غيره، وبالنهاية أين رنا؟ فهي لم يعنها يوماً ما يتكده.

وبشير يئنُّ بمكتبه، أين الخطأ؟ لكن ما الأهمية بعدما تحطمت آماله

على إثر كل ما حدث؟

"هو يوم باين من أوله".

والأسوأ أن صبا كانت شاهد عيان على كل ما حدث.

وبالنهاية لم يكن عيسوي يشعر بالغيظ من شيء بقدر رنين هاتفه المتواصل، فقرر ألا يجيب والدته، فلم تستسلم وأرسلت له رسالة مفادها:

"كلمت عماد".

عَضَّ كَفَّ يَدِهِ مِنْ فِرطِ الْغَيْظِ هَاتِفًا:

– وَاللَّهِ مَا هَتَرْتَا حِي إِلَّا لَمَّا تَشَلِينِي.

"طيب عماد جايلك في السكة أنا قُلتله يعدي عليك".

رسالة أخرى أكدت، لقد وضع لا محالة بخانة اليك، ولن تهدأ مشيرة إلا برؤيته بجوار المأذون.

عاديون؟

ربما؟!

مميزون؟

احتمال؟!

لكنهم بنهاية المطاف بشر، يملكون بعض الأحلام بجوار سؤال تنُّ به عقولهم، متى سيتمكنون من تحقيقها؟

(2)

القاعدة الثانية

(اصنع لنفسك هالة، كن محور الأحاديث،

والتزم الصمت).

"شوفت القروء".

"بيقولوا حقيقيين".

"لا لا لعب أطفال".

"يا شباب ده فيديو أنا رفعته على يوتيوب للدكتور أبو قروء،
مشاهدة ممتعة".

بوستات بوستات بوستات، تويتات تويتات تويتات، ألا أونا.. ألا
دوي... ألا تري.

ها قد بدأ المزاد!

ومر الأسبوع الأول على مجيء عارف.

بأحد المجموعات الأدبية كتبت منشورها ثم انتظرت الردود:

"عايزة رواية يكون فيها البطل اغتصب البطلة أو تجاوزها غصب
والآخر حيوا بعض، بسرعة بليز".

ثم اتجهت للمطبخ، أعدت مشروبها المفضل الشوكولا الساخنة، وقطعة من المعجنات ولوح شوكولاتة، ثم عادت لغرفتها، فرحت حين وجدت روابط تحميل بالتعليقات لروايات لم تكن قرأتها من قبل، قامت بتحميلها ثم انهمكت بالقراءة وهي تقضم الشوكولاتة ثم تحتسي المشروب ثم تتبسم تارة وتارة تنهد:

"هيسيسيسح".

وتكمل، وطيف حلم يتصدر المشهد، فارس يشبه أولئك الذين تقرأ عنهم، مواصفات بسيطة تتمنى أن تجدها في فارس أحلامها، وسيم مؤدب أسمر وأشقر غيور وراق، ناعم وصلد عصبي وحكيم وقح وجريء وبتاع بنات ، ملتزم متدين وبار بأهله".

توليفة ولا أروع، لرجل من زحل لكن رغم هذا هي تمتلك اليقين بأنها قد تجد واحدًا على الأرض ولو مصادفة.

"هيسيسيسح مرة أخرى".

ثم دموع وبكاء قد يصل حد "الشحفة"، ثم ابتسامة وتهيئة وشروود بسؤال:

متى ستجد الحب؟

ولماذا لم يحالفها الحظ بعد، كانت تظن أن عملها كسكرتيرة سيكون البداية، ستقابل رجل الأعمال الوسيم الناجح الذي قد ورث شركته عن والده، لكنها صدمت حين وجدت نفسها أمام فيروز،

وعدة موظفين عاديين جدًا، بعضهم متزوج والباقي دون المستوى،
ولم يلفت نظرها أيّ منهم.

والدها يعلم ويحمل فوق صدره هم أب يخشى على ابنته
وبشدة، فالناس تغيروا إلى حد فرض عليه أن يطلب منها ألا تترك
سيارة أجرة أو تقود سيارة بمفردها.

عاد لمتزله ولم تستشعر عودته فاكتمت بالاطمئنان عليها دون قطع
شرودها، واتجه لغرفته وتمدد على سريره شاردًا بدوره، يتذكر ذلك
العريس الذي أتى منذ عدة أيام ويعتلي قلبه الحسرة.

- شاعر.

- شاعر يايه بالطبط.

- لا أقصد إن ده شغلي.

وطالع بعدها صبا مبتسمًا بينما زفر والدها ولوى شفثيه متممًا
في نفسه "أدي أجرة الفيس ومجايبه".

ثم عاد العريس ليكمل:

- أنا حتى كنت كاتب حاجة كده أتمنى تعجب حضرتك.

وأخرج من بنطاله ورقة وزادت الابتسامة وقد باغت والدها وبدأ
يقرأها.

"صبا صبا صبا يا صبا يا صبا يا صبا".

وأمام صدمة والدها تنحنح ثم عاد وأكمل:

– صبا صبا يا صبا، تعالي يا صبا، خدي تعالي أنا عايزك، عايز أقولك كلمتين، اتنين بس والله، أنتِ الحب يا صبا ودق القلب يا صبا، وكل الكل مش بعض الكل وزى الفل، صبا يا صبا تعالي يا صبا".

واندهش لا مما سمعه بل مما رآه، هل صفقت صبا واتسعت
ابتسامتها وخجلت:

– الله عليك يا أستاذ، رائع.

– متشكر جداً.

وانتهت المقابلة بوعده بأنه سيفكر، وفي قرارة نفسه رفض بل وانزوى بغرفته حزينًا يريد لابنته رجلًا يطمئن عليها في كنفه وهذا
ال – ... ماذا يملك؟

– عنده فلورز كتير ع الفيس.

قالتها وهي تشرح امتيازاته لوالدها، فهتف في حنق:

– والفلورز دول اللي هيصرفوا عليكم.

– يا بابا ده كتبه وأشعاره مغرقة السوق، وأعلى مبيعات له هو.

– هو الاستهبال ده كان شعر.

- اعتبرها خواطر .

- هي دي مشكلتك يا صبا .

وزفر حانقاً، لكنه اطمأن حين أخبرته أنها سترفضه، أراحه القرار
وأتعبه السبب .

"أنفه كبير، وليس بقدر الوسامة التي تحلم بها".

تنهد بأسى وسؤال لاح بالأفق: "متى تكبرين يا طفلي؟"

أهت الرواية وتمددت على سريرها تحلم بعدما تشيع عقلها
بالخيال، أغمضت عينيها ونفسها تشبث بالأمل، سيأتي بالتأكيد
وستتغير حياتها رأساً على عقب، سيضمها إليه حتى يكاد يهشم
ضلعوها، سيحملها بين ذراعيه ويجري بها في الشقة من دون سبب،
يقذفها بالوسائد ويتطاير قطنها، وكلاهما لن يفكر أن المنجد لم يحسن
عمله .

أليس هذا هو الحب؟

"ربما".

"هي إيه حكاية عارف أبو العزم دي؟ وإيه الحدوتة في أنه
بروفيسور وراجع مصر ومعاه أبحاثه وقروود؟ هو إحنا ليه بقينا أوفر
كده؟"

#قالك_شوفت_القرد

"إيه الطب الإيچائي ده يا أخوانا هو أي كلام وخلص".

#قالك_شوفت_القرد

"يا جدعان كفاية بقى، أنتم متخيلين إن المهشاج ده أخذ أعلى تريندا!"

#قالك_شوفت_القرد

بوستات بوستات بوستات، تويتات تويتات تويتات، ألا أوننا.. ألا دوي... ألا تري.

ها قد بدأ المزاد!

ومر الأسبوع الثاني.

كان القلق هو سيد الموقف، تطل برأسها من الشرفة تنظر للمارين بحببة أمل ثم تعود أدراجها للمطبخ، تغسل عددًا من الأطباق، ثم تعود للشرفة.

"فاطمة يا فاطمة"

- يووووه

"يا فاطمة يا فاطمة هو جرى إيه؟"

والنفتت لتجد الثلاثة يمدقون إليها بدهشة، عبد الغفور وإلى جواره أشجان وشجون، فعلى الرغم من إدراكهم أن فاطمة هي أحد ملوك التراجيديا إلا أنها اليوم قد زادت الجرعة، هي قلقة دوما كأي أم ولكنه اليوم بالنسبة لها ذو نكهة خاصة.

" عريس يا خالتي".

تدوي في أذنيها منذ أن قالها عماد، وشجن لن تتوانى عن "تطفيشه"، لكن أتراه عاد إلى منزله على قدميه أم نقالة.

"ربنا يستر".

قالتها وقد زاد توترها، وعندها أتاها التعقيب من عبد الغفور: متقلقيش يا فاطمة، شجن بميت راجل.

وكأنه لا يدرك أن هذا بالضبط ما يقلقها ومن هو الذي سيتزوج برجل مثله؟

وأخيرا عادت شجن، بصعوبةٍ تكتم ضحكاكما كلما تذكرت صديق ابن خالتها وحالته وهو يغادر العيادة، ولم تدعها فاطمة تابعتها وأغلقت عليهما باب غرفتها وسألت:

- إيه الأخبار؟

زفرت بفراغ صبر وأجابت:

- مفيش نصيب.

- ليه، اوعي تكوني طفشتيه.

قالتها ونظرت لعينيها بغيظ فمطت شفيتها وأجابت:

- أنا، ده هو اللي فرفور.

"آه منك يا شجن ومن عمايلك، بنت أبوك".

قالتها وهي تجلس بالمقعد المقابل لسريرها تسند كل كف من يديها على ركبتيها وتنظر لها بتحفُّز.

- عملت إيه فيه؟

- والله ما عملت حاجة، هو اللي جاي بأسنانه بايظة، غلطت أنا لما خلعتهموله.

- يا لهوي، يا ترى أنت عامل ايه دلوقتي يا ابني.

"آه".

- خلاص اتمد وقوم خد المضاد.

- بتألشي ما أنا ناقص، صح.

كانت هذه حالة عيسوي منذ أن عاد بعدما رأى شجن بنت خالة عماد، يتأوه من فرط ألم أسنانه رغم ابتلاعه المسكنات، وكلما

تذكرها تساءل: لماذا لم يحاول لكمها وتكسير صف أسنانها، كونها
استغلت الموقف وخلعت ضروسه عنوة؟

واللعنة على جملة لولاها ما كان ليضيع زهرة شبابنا:

"بس شوفها ما يمكن تعجبك".

تلك الجملة التي أوشكت على ضياع نصف شباب مصر،
وضيعت وبصدق النصف الآخر، وعلى كل حال تم إقناعه.

والحجة أنه سيرها بمكان عملها، زيارة يُمقّتها لشدة شعوره
بالافتعال، ولكنه لا يملك لإرضاء والدته خيارات أخرى، وتجنبًا
للمواقف الحرجة قرر أن يحدد اسمها:

"دكتورة شجن".

ولن ينكر أنه امتلك فضول رجل يريد المطالعة بل التحديق لو
تمكن، وقف على عتبات الغرفة ينظر لمن أولته ظهرها ترتب أدواتها
المعدنية، نظرة من رأسها المغطى بوشاح أسود إلى أخمصى قدميها
المحتوية على كروكس أبيض.

ثم التفت لتصدمه، فوجهها قد ابتلع نصفه الأعلى نظارة كبيرة
وأنفها وفمها قد غطتهم بكمامة طبية.

"أنا شايقة أنك مكبر الموضوع قوي".

قالتها مشيرة بعدما انتهى من سرده فهتف: أنا.

والقرد القرد خد أعلى تريند
إيه القرد القرد خد أعلى تريند
"يا نهار أبيض يا جماعة هي وصلت للأغاني".
"شير يا جدعان دي الأغنية جامدة فحت".

بوستات بوستات بوستات، تويتات تويتات تويتات، ألا أونا.. ألا
دوي... ألا تري.

ها قد بدأ المزاد!

ومرَّ الأسبوع الثالث.

وحين يكون جدك إسماعيل اسمع نصائحه ونفِّذ دون مناقشة،
فالخير حين يتكلم يعرف ما ينبغي فعله.

"طالما بتحبها صارحها من غير لف ودوران، صبا أنا بجبك وعايز
أقابل والدك".

"طيب افرض...."

وافتح القوس وعدد، فحجج بشير لن تنتهي، وإسماعيل لا يملك
له حيلًا، وأحيانًا يعذره، بل يعذر جيله بأكمله.
- خلاص خلها، سهلة.

- طيب وموضوع مها، دي ماما مصره.

- اتعلم تحسم، اتعلم تقول لا.

"طيب افرض.."

زفر إسماعيل عائداً لغرفته وهو يتمتم:

- أبو شكلكم كلكم.

دار بشير بغرفته والخيرة ما زالت تتلقفه بين زميلة يحبها وقريبة
تُفرض عليه لا يُكنُّ لها إلا الاحترام.

والآن ماذا ستفعل مع صبا؟ سأستند على نصيحة جدي ولكن
بطريقتي!

ومع صباح اليوم التالي تطلعت صبا لورقة وُضعت على مكتبها
حاولت فك الطلاسم المكتوبة بما لكنها عجزت.

"ده خط بشير".

كاد يهتف بما من وقف خلفها يطالع بفضول الورقة ذاتها لكنه
ابتلعها وصمت واستدرك يفكر وابتسامه هازئة تعبث بثغره.

"هل يريد التقرب من صبا بعدة أبيات شعرية، من أي زمن أنت يا بشير حتى تكتب شعراً جاهلياً، ومن؛ البحتري، شعر أن عليه استغلال الموقف فهتف:

- إيه قلة الأدب دي، معقول حد من الشركة فكر يغلس عليك.
التفت للصوت وهي مستغربة شارحة:

- أنا معرفش مين حاطها، أنا حتى مش عارفة أقرأها ولا فاهمة إيه
ده.

وتناول الورقة من يدها وسعى لقراءتها ولم يفهم شيئاً فعقب:
- ده أكيد حد مش محترم.

ونال الغيظ من بشير المتواري عنهما للمراقبة، لحه عيسوي فزادت ابتسامته، بل يا لوقاحته يلتفت لينظر لبشير وكأنه يقرُّ بأنه قد فهم.

طوت صبا الورقة وألقته بسلة القمامة المجاورة لمكتبها:
"أحسن".

والكلمة كانت لسان حال عيسوي دون النطق بها.
والتفت بشير ليعود أدراجه إلى مكتبه ورغم طبيته غلبه غيظه فقرر الرد حين ثنى السجادة بطريق عيسوي وهو عائد لمكتبه،

وصوت ارتطام أحدهم بالأرض أكد له أن ما أراده قد حدث،
والباشمهندس عيسوي قد انزلق:
"أحسن".

والكلمة كانت لسان حال بشير وهو يستدير بتشف على صوت
تأوه عبد الشكور.
"أنت كويس".

وكان السؤال من صبا حين زعق عبد الشكور بغضب:

– مين الحيوان اللي تفي السجادة كده؟

وبينما زاد غضب بشير كان عيسوي يكتم ضحكاته بصعوبة
وعبد الشكور يستند على الحائط ليقف مُدركاً بأسى أن بنطاله تمزق
لكنها ليست المشكلة.

"هل تمشم الـ "CD" الخاص بدعاية كوموند مدينة نصر؟

وآه لو أن الإجابة نعم، نظر للعلبة المحفوظ بها وأدرك أن الإجابة
لا، فتركهم مسرعاً صوب مكتب فيروز والتي نادى صبا مطالبة إياها
أن تخبر موظفيها بضرورة الاجتماع بمكتبها.
"استر يا رب".

وبمكتبها سألت عبد الشكور:

- ومين بقى اللي عملت الإعلان المرة دي؟

وبجدية أجااب:

- السيزون ده بتاع لوللا حضرتك

- لوللا.

وما إن أكدت فيروز الاسم حتى تطلع الأربعة بفضول للشاشة
المواجهة لمكتب فيروز، حيث طلبت من صبا تشغيل الـ CD.

وما إن ظهرت لوللا حتى تسمّر الجميع بمكانه وقد تعلقت
أنظارهم بها، استقام مسعود واعتدل عبد الشكور بينما عيسوي
وقف، ويشير سعي أن يرى متمنياً ألا تلاحظه صبا.

وصوت سقوط الصينية التي كانت تحمل فنجان القهوة من يد
مدبولي الذي فتح الباب مندفعاً فرأى تلك الـ "لوللا" أمامه كان
خير دليل لصبا، أن فارسها الذي يغضُّ بصره في الروايات لم يُخلق
بعد على كوكب الأرض.

"حتى أنت يا عم مدبولي؟"

كادت تقولها صبا حينما زعقت فيروز به وأمرته أن ينظف ما
فعله

"ونعم الطلب".

بل إنه قد يتراقص فرحاً لأنه سيكون معهم في الغرفة بحجة
التنظيف ليطلع الإعلان ذاته.

ظهرت لوللا، ويا له من ظهور! تقف وقد أولتهم ظهرها، نصفه
عارٍ وقد ظهر لأن شعرها الأشقر كان قصيراً للغاية، شورت جيتز لا
يكاد يصل إلى....."ما علينا"، وقد مالت إلى اليمين قليلاً ويدها
اليسرى قد أسندتها على خصرها.

وحانت اللحظة واستدارت، ويا لها من استدارة! فالبلوزة التي
ارتدتها يبدو أنها قد سترت صدرها بمعجزة!

"ممتاز".

قالها عيسوي وقد ابتسم ببلاهة:

- هووووووش.

قالتها فيروز فأردف وهو يتنحى:

- الإعلان ممتاز جداً.

هل ما يراه مسعود حقيقي، هل اندهش عبد الشكور بالفعل،
أليس من حق بشير التخلي عن أخلاقه لمدة ثلاث دقائق فقط.

وأتاهم صوتها الناعم المفعم بالأنوثة:

"منحوس، روح يا شيخ، منك لله".

وكانت تتمتة بشير.

ولكن عيسوي غير، إذ علا هتافه:

- المخرج ده عامل شوية كلوزات ممتازة.

وحانت التفاتة غيظ من الجميع فأردف:

- للعمارة، ده أنا اللي مصممها ومع ذلك حاسس أنها بقت على

إيده حاجة تانية خالص.

"لكن أنا منحوس".

كان قد كررها فأكملت: اوعى تقول على نفسك كده يا بيبي

"مع عروض شركة الفيروز، الكل هيسكن بأسعار زمان،

وخدمات جنان، تسهيلات ولا في الخيال".

"مستني إيه، قوم احجزلك شقة، أو اتنين، بسعر مغري، والتقسيت

على سنتين".

"مع شركة الفيروز، نحن نختلف عن الآخرييين".

انتهى الإعلان.

ومعه صدق الجميع أن العمارات التي صممها عيسوي، وأشرف

على بنائها مسعود، وراجع حساباتها بشير، وسوق لها عبد الشكور

تحمل تلك الامتيازات التي يدركون حقيقة الإدراك أنها محض كذب،
فالكيموند ما هو إلا ثلاث عمارات متجاورة مُحاطة بسور
والخدمات ما هي إلا دش مركزي وإنترنت مركزي فقط.
"أنا مبسوطة".

قالتها فيروز برضا على حملة الدعاية التي ستأتي بمبيعات ممتازة،
ولكنها لن تضيف لراتب أي منهم أي شيء، الميزة الوحيدة هي أن
اليوم سيمر دون زعيق.

(ولا يزال البحث مستمرًا لحضانة جيدة لكثري).
مُضافًا إليها عدة نصائح أخوية من الأصدقاء والعائلة حول اختيار
المدرسة، والحيرة تملؤه كأب يريد لأولاده الأفضل ولكن كيف
والعملية التعليمية باتت حسابية بحته (ادفع لتجد ما يسرك).
"مستمعينا الأعزاء هنطلع فاصل مع أغنية الموسم ونرجع لكم مرة
تانية".

سمعها عبر الراديو وقد بدأت:

"آه لو لعبت...

وعلق عندها بحسرة:

- آه لو لعبت يا زهر.

ولكنه صُدم حين اكتملت:

"آه لو لعبت يا قرد واتبدلت الأحوال".

"قرد، قرد إيه هي ناقصة؟"

والاستغراب ارتسم على وجهه وهو يركن سيارته جانبًا لشراء البطيخ فتمتم: "حاولوا مع الزهر هنج جابوا القرد، ما هي دي آخرتها".

أما هي فظلت طوال النهار تتابع إحدى مجموعات الطبخ ساعية لعمل طبق المسابقة وتصويره بالخطوات، حتى انتهت من إعداده وحن وقت المنشور:

"دي كانت كل خطوات الفيتوتشيبي ألفريديو وادعولي بقى تعجب جوزي".

"ماما ماما الحقي حاجة بتتحرق".

انتفضت على هتاف صغيرتها فهتفت: الفيتوتشيبي.

رفعت القدر مسرعة عليها تلحق كمية ما لم يصبها الاحتراق، وبأعجوبة نجت كمية لا بأس بها أزال آثار الحروق جملة الطبق وتمت:

- كده كده عبد الشكور ميعرفش طعمه.

وما إن عاد حتى كان شجارهما.

البطيخة VS الفيتوتشيني

"إزاي تطلع بيها قدام الجيران كده".

قالتها بضيق بينما طالع هو ما أعدت باشمئزاز معقبًا: إيه القرف

ده، فين الغدا؟

وبدأ الزعيق بكونه لا يعرف بالطعام فالخشى والملوخية وتلك

الأصناف باتت موضحة قديمة.

- هو الأكل كمان بقى فيه موضحة.

- أيوة هو ده الأكل اللي ناس بقت بتاكله

"يووووووووه".

هتفت بما كترى ثم تركت لهما المائدة وانزوت بغرفتها تلعب مع

أخوها تيم بينما الشجار لا يزال مستمرًا.

أيام قليلة وستضع توأمهما، كان القلق يعتريها وقد شعرت أن

الموت بانتظارها، إنها المرة الأولى التي ستدخل فيها إلى غرفة عمليات

وبالتأكيد تخشى اللحظة، بكت حتى أتعبها البكاء فقررت أن تنام.

بينما ظل هو شاردًا بمكتبه، ادخر حوالي أربعة آلاف جنينة بينما بقي ما يقارب ثلاثة آلاف أخرى عليه تدبيرها، فكر حتى أتعبه التفكير فقرر أن ينام، تجاوزا وكل منهما يولي الآخر ظهره.

هو يفكر في أخذ سُلفة لاستكمال مصروفات الولادة وهي قطعت الصمت وسألت:

– لو مت هتتجوز؟

سألت بأسى وقد شعر هو بقلق من ذلك السؤال المفخخ، فالتفت لها وأجاب بحسم:

– ربنا يخليك ليا وميحرمنيش من وجودك أبدًا.

ابتسمت براحة وقد وضعت رأسها على كتفه ثم عقببت:

– أنا بتكلم في حالة إني أموت، أكيد هتكمل حياتك طبعًا.

وتصميمها أكد أن الليلة لن تمر على خير، فانتقى رده:

– مستحيل، ده أنا يمكن أموت وراك من الفر....

ثم ابتلعها وصحح:

من القهرة.

– بس أكيد مش هتقدر على التوأم لوحدك.

– فعلًا.

"فعلًا".

من أين خرجت الكلمة بالظبط كونه كاد يرى أحيائها الصوتية
تتجلى أمامه، وكم عدد الوسائد بالعرفة لأنه شعر أن عددها قد
تضاعف بينما وجهه كان يتلقاها:

"أه يا صنف غرود، تاخذوا الواحدة لحم وترموها عضم".

ثم هدأت أو بالمعنى الأصح تعبت شعرت بدوار فرض عليها أن
ترخي ظهرها، وألم بأسفل معدتها فهتفت:

- الحقني يا مسعود شكلي هولدي.

ولطم خديه بصدق كونه لن يجيد التصرف ثم هتف فيها بزعيق:

- يعني جبكت ناقش التعدد أماردة.

- يا رب ما تنتهني معاها يا مسعود.

ولم يملك ردًا وهو يهرع ليتصل بوالدتها والطبيبة بينما تعضُّ هي

إحدى الوسائد وقد تعرق وجهها وزادت صرخاتها.

كان يجول شوارع القاهرة يصنع تحدياته بيده، يبحث عن
الشخصيات التي سيقوم برسمها أو للدقة نحتها، ككاتب يكتب رواية
ولكن في روايته لن تكون شخصياته على الورق، توقف أمام أحد
بارات القاهرة، وهتفت نفسه:

"هنا بُغيتك".

فدخل باحثاً بعينه يتفقد المكان جيداً، بالتأكيد سيجد واحدة،
لعوباً تسعى خلف زبون وبعض أوراق نقدية وليلة خاصة، أهذا ما
يريده؟

بالطبع لا، هو فقط يطرح سؤالاً ويريد إجابته.

هل بإمكانك أن تحول عاهرة لسيدة مجتمع في خمسة أشهر؟
صعب جداً ولكن لو تدربت—.....

هل بإمكانك أن تحول عاهرة لسيدة مجتمع في خمسة أسابيع؟
قد تحتاج لمشق—.....

هل بإمكانك أن تحول عاهرة لسيدة مجتمع في خمسة أيام؟
— مستحيل—.....

هل بإمكانك أن تحول عاهرة لسيدة مجتمع في خمس دقائق؟
— أنت بتستعبط يا جدع أنت؟

وانزوت الابتسامة على شفثيه على إثر سماع صوتها، التفت ليراها
وكانت كما تمنى.

طالعتها بهدوء وكان هذا كفيلاً لتقترب ذات الرداء الأسود
المخملي القصير جداً حد إيضاح الجوارب الدانتيل، أو ربما هي تظن
أن جمع هذه الملابس الرخيصة بيديها فاتنة، وكلما اقتربت بات

واضحاً أنّها ليست رخيصة، وحسب بل هي تجاهد حتى لا تصير بالية تماماً كصاحبيتها.

يريد النادل لفظها خارج المكان وهي تطالع الوجوه باستجداء واضح سعيّاً خلف مشروب وعشاء، تسعى لإشعال سيجارة تحركها بفمها مستخدمة تلك الحيلة الغبية "قداحة لا تشتعل".

ربما يقترب أحدهم ويشعل سيجارتها وهذا ما فعله متعمداً إظهار قداحته الذهبية.

بداية جيدة عقبها جلوس كليهما أمام البار، ولم تنتظر سؤاله وهي من هتفت بالنادل:

– إزازتين بيرة مشيرين.

"مشيرين".

عقب عارف وقد زاد شعوره بالاشمئزاز حين شربت زجاجة دفعة واحدة ثم تجشأت ثم ضحكت بوقاحة وسألت:

– هتعشيني فين يا أخ؟

"أخ"؟

وقاطعته بدورها هاتفة:

– يا عم ما تنجز، هتجيب حاجة نطفح ولا أقوم وأشوف غيرك

"rubbish".

لكنه في أمس الحاجة لوجودها:

– اللي تطليه ومش هنختلف.

– حلاوتك يا اسمك إيه

ثم تساءلت:

– ألا أنت اسمك إيه صحيح؟

– مش مهم، أنت اسمك إيه؟

– نبيهة.

وتعالّت ضحكاته ولا تدري السبب ربما هي سخرية القدر، لكنه
استشعرها واضحة، لقد وجد بُغيته وها هي أمامه كما رآها وظنها
والبداية بما.

و أخيراً

انتهت البوستات، انتهت التويتات.

ألا أونا... ألا دوي... ألا تري.

وانتهى المزاد.

(3)

القاعدة الثالثة

(إذا أردتَ النصر، فكل الطرق متاحة،
الحب الحرب و...والنصب).

بينما كانت الميديا من حوله منشغلة بقصته، انشغل هو بإعداد منزله، بمنطقة نائية بأطراف القاهرة كانت فيلته، وجهاز بها معمله تحديداً "بالبدروم"، حيث استقرَّ "توقيت جرينتش".

جهازه الذي قد يبدو عادياً كونه مكوناً من "ساعة، نظارة، سماعات وثلاثتهم تم إيصاله بحاسوب".

وفي الخلفية مكتبة بها عدة كتب وحاسوب آخر غير المستخدم بالتجربة.

هنا صومعة الأفكار والوجه الآخر لفضاء الاحتمالات، هنا لـ"ربما" البطولة المطلقة وهنا....هنا القاهرة.

"مُخدرة".

"مُنومة".

إثر جلسة تنويم إيجائي، لا يهم السبب، المهم أنها مسلووية الإرادة، وهكذا سيبدأ عمله.

خطوة (1)

كانت مصفدة اليدين والقدمين في وضعية الجلوس بالمقعد الخاص بجهازه.

خطوة (2)

فوق عينيها النظارات الخاصة بإحلال الذاكرة البصرية، في أذنيها السماعات الخاصة بإحلال الذاكرة السمعية، في معصمها الساعة الخاصة بإحلال ذاكرة الوقت.

وجميعهم تم إيصاله بأسلاك في نهايتها أقطاب تعمل ذات الدور للأعصاب الحسية، ترسل نبضات استثارة عبر المخ للأماكن التي قرر عارف استهدافها بالفص الأمامي والصدغي والـ "hippocampus" - مركز الذاكرة - وكأنه سؤال كان ولا يزال محور تجارب شتى!

ما الشيء الذي إذا قررنا أن نترعه عنك نكون قد محوناك؟

ولنعد الكرة ثانيًا.

"أن تكون نفسك".

"أن تعرف من أنت".

"أن تدرك ذاتك الحقيقية".

ليست دوّمًا كلمات رنانة وحسب، ولا نظريات فلسفية، ولا أحد أوجه دراسة "نظرية الهوية الشخصية" وعارف يعرف كونه كان مولعًا دوّمًا بـ "جون لوك" و"ديفيد هيوم".

إنّما آليّة عمل الذاكرة، وحفظ المعلومات في المخ، ذلك العقل الغامض وكيفية السيطرة عليه، والآن هو يريد تسجيل براءة اختراع لفكرة هو أول من فكر بها.

مفادها:

"إحلال الذاكرة دون تدخلات جراحية، فقط بالإيجاء، الإيجاء سيكون صاحب البصمة في تجربته".

"ولن تكون نفسك".

"ولن تعرف من أنت".

"ومبارك عليك ذاتك الجديدة".

ماضٍ مختلف، حكايات ستجزم أنك عاصرتها، ربما لغة لم تنطق بها من قبل، وأناس هم أهلك وأصدقائك دون سابق معرفة.

ونبيهة البداية، تلك اللاشيء ستكون بعد خمس دقائق فقط.

بروفيسور "نانسي أبو العزم".

وبدأ التشغيل، وحدد الأماكن التي سيبدأ بمحوها.

"الذاكرة قصيرة المدى، الذاكرة طويلة المدى".

Done

"ذاكرة الصور، الذاكرة السمعية، الذاكرة الوقئية".

Done

"ذاكرة حفظ اللغة، ذاكرة حفظ المهارات، ذاكرة المبادئ
والمفاهيم العامة".

Done

والنتيجة أتته بصوت صدر من حاسوبه

The mind you are working on is ready, Now

ولمعت عيناه بولع، حانت اللحظة التي كان يريها منذ زمن،
عقل فارغ من هويته، وهو من بات يملك صك ملكيته، يملؤه وفق
رغباته، خيراً أو شراً، علماً أو جهلاً، سعادة أو قهراً، فهو المنوط
بكتابة تاريخه؛ ماضيه حاضره بل ومستقبله.
و أخيراً...

خطوة (3)

وكانت بتحديد كل المعلومات التي يريد وضعها بكل ذاكرة،
وظهر مستطيل طويل كان يسجل النبضات الحسية بالتوازي مع
إشارة ملء المستطيل المكتوب فوقه:

"loading"

باغته القلق وصوت أنين خفيض على مقربة، تتوجع تقاوم، وبطاء
مرور الدقائق يكاد يفتك به

"Done"

"All operations are completed successfully"

هل ما قرأه صحيح بصدق؟
نجح نجاح، هتف هتف هتف:

YES، YES، YES

دار رقص صاح قفز، أينشتاين عصره ظهر، ونظر بإعجاب
للمصفدة، فك الأصفاد وضمها إليه يرقص بها، أتراه اشتهاها، أم أنه
فرح بدميته، ولحظة التملك هي سر نشوته:

"لم يكن يظن أنه سادي، لكنه اكتشف أن للسادية أوجهًا أخرى،
نكهات أخرى، لم يعرفها إلا عندما قابلها".

وكما عبث بالعقل، قرّر أن ينتهك الجسد، صعد بها لغرفته، نالها
بلذة، لذة مسيطر، باتت شهوته الأولى عشق السيطرة، وجوارها
قرير العين بانتظار نتيجته.

"شوفتوا القرد؟"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

"الإجابة نعم".

والمولد بعد الضجيج انتهى، كعادة وحال كل شيء في يومنا.

"خبر ضجيج كوميكسات فيديوات تسليط ضوء حوار يتبعه

صوت صرصور الحقل وكأن شيئاً لم يكن".

تلاشى القرد ولكن بقى أثره، سؤال يدور والجميع حوله:

"مين عارف أبو العزم بقى؟"

بيقولك؟

بيقولوا...

"بيقولوا عليه بروفيسور كبير، في جامعة متشيجن".

"بس متقولوش بروفيسور، ده هي دبلومة وعادية جداً من

السربون".

"أبو العزم ده مش محل جزم".

"عارفاه ده تخصصه مسالك وعبادته في روض الفرج".

أما هو فتركهم يقولون ما يريدون واكتفى بالمشاهدة.

تشاءبت وحاولت النهوض من الفراش رغم التكاسل، تُرى أين
اختفى عارف؟ اغتسلت، بدّلت ملابسها، وطالعت المرآة وقد أقرت
أن عارف بالتأكيد يُحضر لها الفطور كعادته.

وكان هو غارقاً في الشroud، يحلم بالنتائج، يطالع حديقة فيلته
الجرداء عبر النافذة الموجودة بحجرة مكتبه. يدخن سيجاره الفاخر
وهو يستعيد كل المعلومات التي وضعها بعقل تلك الساقطة..

"نانسي أبو العزم".

تعرف إليها منذ خمسة عشر عاماً، جمعتهم الجامعة وعشق ذات
المجال، وأحبت عارف رغم أنه يكبرها بثلاثة عشر عاماً، وتزوجته
رغم معارضة والدتها الإنجليزية التي كانت تكره أن تفعل ابنتها مثلما
فعلت وتزوج بعربي، ولم تكن تجيد التحدث بالعربية على الإطلاق
لذا أضافت إلى دراستها تعلم العربية الفصحى بأحد المراكز
المخصصة لذلك، ومرت السنوات تدعم هي عارف بقدر ما يدعمها
وكل ذكرى خطها بعقلها شاهد على ذلك.

سمع وقع أقدامها وهي تنزل الدرج فابتسم، ها هي نانسي قد
استيقظت، زادت الابتسامة حدّاً تراقص القلب من شدة الفرح وما
إن التفت لها حتى صُعق، وكاد يهتف بأسى لوعة حزن فزع، فما رآه
أذهله..

"هل فشلت التجربة؟"

- عارف أين أنت يا رجل؟

والأداء بدا لعاهرة سقطت من فيلم "فجر الإسلام" لتوها، لغة الجسد لا تتناغم مع ملابسها الخشمة ولا النظارة الطبية التي تتوسط وجهها مضافاً إليها فصحي مزرية كون مخارج الحروف تبدو ذات إعاقاة واضحة.

تتمايل تقترب تسحبه من رابطة عنقه وهي تعض شفيتها بأسانها لإغوائه وكأنه "زبون الحانة المنتظر" ثم قمم بدلال:

- ألم يتعبك الشوق؟

ثم تغمز بعينيها وتساءل:

- أم نسيت ما كان بيننا بالأمس يا رجل.

تركته وتوجهت للمطبخ، فتحت الثلاجة وأخرجت منها زجاجة عصير، تجرعتها دفعة واحدة وبعد دقيقة تحشأت، ثم التفت لتسأله:
- أين الطعام فمعدتي تننُّ من الجوع؟

مُسمر هو في مكانه لا يقدر على الحراك قيد أنملة، بينما تحركت هي تعبت بالمطبخ ومحتوياته، تخرج بيضاً، تبحث عن مقلاة، عيش جبن، وبمجرد أن انتهت جلست وهي تشير له أن يرافقها، ولأنها جائعة لن تنتظر، مزقت الرغيف وبدأت بالتهام الطعام بيدها عن طريق "التغميس" ولن تنسى لعق يدها بعد كل "لقمة" ولم يسع عارف إلا الركض للحمام والتقيؤ.

خرج طقم الكاسات وتوجه للمطبخ في لحظة تاريخية لن تكرر كون عريس ابنتها سيأتي اليوم.

فقد وُضع عيسوي بمأزق حين هاتفت والدته والدتها وقُضي الأمر وقُدِّر لهم اللقاء يوم السبت، مكره ذهب معها وقد أغلقت عليه كل أبواب الأعدار، فهي من أعدت ملابسه وهي من اشترت الحلوى وهي من حدّدت الموعد، وحين وجد أن كل خططه لإثائها فشلت، قام بثني السجادة عند دخوله مترلهم أسوة ببشير كي يضمن كارثة لو انزلت عروسه المصون بأكواب العصير.

أما هي فكانت بغرفتها وقد ضيقت فاطمة عليها الخناق كي تضمن كبح تمورها إلا أنها قد خبّأت عبلة من دواء "اللاكولوز" بملابسها، وما إن سمح لها بالخروج والتوجّه للمطبخ حتى قامت بسكبتها بدورق العصير كله.

– منورنا والله يا أستاذ عيسوي.

– ده نورك والله يا طنط فاطمة.

وبدا الانسجام واضحًا على حموات المستقبل حد التشديد على تذوق البيتي فور إلا أنه اعتذر بابتسامة وهو يؤكد:

– شكرًا يا طنط أنا مليش في الحلو قوي.

– طيب نعمل شاي بلبن ونحيب بقسماط.

قالها عبد الغفور مازحًا وقد تعالت ضحكاته وزوجته بينما مطت
مشيرة شفيتها وتمت بجواره:

- ده عماد حكايم.

- خلاص يلا نروح.

- اقعد.

و أخيرًا دخلت فرفع عينه وأبصرها، وجه ملائكي بعيد كل البعد
عن تصرفاتها، وزرقة عينيها الواسعة تكفي.

- بسم الله ما شاء الله.

وكانت الجملة من مشيرة حين أطلت، يتبعها سؤال خرج ببلاهة
من فم عيسوي:

- مين دي؟

والإجابة من فاطمة:

- دي شجن يا ابني

- دي شجن، دي حلوة.

وكانت التمتمة منه وهو يهبُّ واقفًا إلى جوار والدته والتي وقفت
لاستقبالها، خطوة أخرى وبعدها تذكر "السجادة".

"حاسبي".

قالها وهو يبعتها كي لا تسقط، لكنه لم يكن يعرف أنه قد فات
أوان تحذيرها.

"طراخ طوخ تبييش بووم تبييش".

"ابني".

وكان الهتاف من مشيرة:

"طقم الكاسات".

وكان الهتاف من فاطمة:

"شوفلنا إسعاف بسرعة، الواد سايح دمه".

وكانت زعقة عبد الغفور.

وشجن مصدومة مما فعله، لماذا جرى من مكانه ووقف في طريقها
وحاول التقاط الصينية وكأنه يظن نفسه "عصام الحضري"، ها هي
انفلتت من يدها وسقطت أكوابها الستة فوق رأسه، ولوحة عشوائية
رسمت على ملابسه من امتزاج الدماء من جرح قطعي في منتصف
جبهته مع عصير الجوافة بينما تتم هو..

"الله يجرب بيتك يا عماد".

ومنذ ذلك اليوم وحتى بعد مرور عدة أيام وجد نفسه رغم أنه
يفكر فيها بجدية؛ هل يعقل؟

معجب بوالدها؟

كونه أسعفه وذهب معه للمشفى ثم رافقه للمنزل ثم انتهى المطاف بالكل وقد صمت:

"إيه حكايته يا ابن حافظ".

شارد دائماً ولا يحتسي إلا الشاي باللبن، كل محاولاته للاتصال بعماد باءت بالفشل كونه قد تسبّب بقطيعة رحم بين والدته وخالته على إثر تكسير "طقم الكاسات".

زفر وهو يدور بغرفته ثم طالع صورته بالمرآة، لا يزال هناك ندبة مكان الجرح القطعي، وأسنانه تعافت بعد التورم:

"أمك محتاجالك يا عيسوي".

لكنه رغم ذلك قرر مقابلتها، توجه نحو العيادة متحججاً بموعد استشارته ودخل:

- دقيقة واحدة وأكون مع حضرتك.

- براحتك.

وصوته فرض عليها الالتفات ليكون أمام وجهها وحسب دون كمادات أو نظارات، والجدبة تليق بها، لحد جعله لا يصدق أنها ذات الشخص الذي سعى لـ"تطفيشه".

- أنت بتعمل إيه هنا، اتفضل اطلع برة.

- يا آنسة شش.....

ولم تمنحه أي فرصة اتجهت نحو الباب لتنادي أحدهم، إلا أنه حال بينها وبين فتحه معقبًا مجدية:

- الموضوع مش مستاهل كل ده، أنا جاي الاستشارة بتاعتي.

- مجد؟

والنبرة ساخرة يملؤها الغيظ، وكونه يتسبب بغيظها يتسم،
ابتسامه فرضت عليها الزفر وهي تكمل:

- طيب اتفضل يا أستاذ عيسوي.

شعر بالانتصار وهو يجلس ولكن ابتسامته تلاشت حين خرجت
وأناه رجل، وأكد الباطو الأبيض أنه زميلها فلم ينتظر عيسوي
وخرج، هرول وهو يتزل الدرج كونه أدرك أنها غادرت، رآها
تسرع خطواتها تريد اللحاق بالأتوبيس فأسرع خلفها وما إن رأت
الزحام حتى قررت أن تنتظر التالي فظن أن الفرصة قد أتت، إلا أن
ركضه بجوار الأتوبيس جعل المتعلقين ببابه يظنون أنه يريد الركوب
وبعقوية مصرية خالصة امتدت أكثر من يد وجذبتته من ملابسه
ودفعوه للداخل بينما هو يهتف:

- أنا مش عايز أركب.

والرد صارم من كل من حاولوا مساعدته:

- ولما أنت مش عايز تركب بتجري جنب الأتوبيس
ليه؟

ولم يملك إجابة بقدر كتم غيظه، بينما شجن انفجرت في الضحك
فهتف:

- والله لأوريكي يا شجن.

صباح جديد بشركة الفيروز وقد سنحت الفرصة لبشير حين
وجد مكتب صبا فارغاً كي يضع ورقته على مكتبها، ثم التفت
ليرحل مسرعاً، إلا أن صوتها استوقفه وقد خرجت لتوها من مكتب
فيروز لتكلم محاولاته بما لم يتوقعه، حين جاهدت نفسها لتقرأ ولم
تفهم فقرر مساعدتها وأخذ منها الورقة وقراها، هل سيختلف الأمر
اليوم

- فهمت حاجة؟

ومع ابتسامة قرأ:

رمت الفؤادَ مليحةً عذراء

بسهامٍ حطَّ ما لهنَّ دواءُ

مَرَّتْ أَوَانَ الْعِيدِ بَيْنَ نَوَاهِدِ
مِثْلِ الشَّمْسِ لِحَاظِهَا ظَبَاءُ
فَاغْتَالَنِي سَقَمِي الَّذِي فِي بَاطِنِي
أَخْفَيْتُهُ فَأَذَاعَهُ الْإِخْفَاءُ

خَطَرْتُ فَقَلْتُ قَضِيبُ بَانَ حَرَكْتُ
أَعْطَا فَهُ بَعْدَ الْجُؤُوبِ صَبَاءُ
- يعني عايز يقول إيه؟
- هه.

صمت بينما زفرت هي معقبة:

- مكش قادر يكتب حاجة أبسط؟

مهمة؛ لن تنكر فمن هي المرأة التي قد تغفل الاهتمام وهي له
دوماً تتطلع.

- هو.....

وحثته نفسه فتجراً::

- خلاص مش مهم.

- لا استني.

تنحج واستجمع أنفاسه وأكمل:

- هو عايز يقول إن نظرة عينيه زي السهم اللي ملوش دوا،
وأفها في عينه استثناء لما بتكون وسط كل البنات اللي بيشبهوها، وإن
حبه ليها ظهر لكل اللي حواليهم وكان واضح من كتر ما اتنى أنه
يخفيه جواه، وأفها....

- هه.

ثم أكمل ببالح ارتباكه:

- يعني هو بيقول أفها زي غصن البان لما بتتحرك بيحس أفها
بتتحرك قلبه، بس كده.

واتسعت ابتسامتها حين فهمت المقصد لتحظى الورقة بمزلة
أعلى، كوفها توسطت حقيبتها، وما إن النفثت لتشكره حتى تبخر،
خرج ولكنه احتباً يراقبها بينما هي شردت تفكر بذلك التقليدي
الذي يوم اختار الشعر اختار عنتره العبسي، تقليدي بشير؛ نعم لكنه
تقليدي حد التفرد.

"خلصت السلطة يا مها؟"

جملة انتشلتها من الشرود حين هتفت بما اعتماد فانتبهت أفها أمام
الطبق ولم تقطع شيئاً.

- اللي واخذ عقلك.

وكان اعتماد لا تعرف، وكأنهم لم يقرروا منذ الطفولة أن:

"بشير لها ومها لبشير" دون سؤالهما أو الرجوع إليهما،

لكنها ليست غبية.

يتفادها دومًا ويشدد على مسامعها أنها كأخته الصغرى، وجدها

يداول على نصيحتها، لا تكوئي إلا لمن يستحقك.

- لا ده أنتِ مش هنا خالص.

- هخلص حاضر.

- طيب اطلعي هاتي من ع السطوح نعناع.

طلبت منها الصعود لصومعة بشير؛ جيد، حيث مزروعاته

ومكتبته وكتبه، وما إن صعدت حتى تناست أمر النعناع واتجهت

لمكتبته، عبثت بكتبه أوراقه وأقلامه، بل كشكول خواطره، وتوقفت

عن العبث حين أدركت أن هناك اسمًا واحدًا بين الخواطر يتكرر:

"صبا".

الآن فهمت!

ترك لبناته المتزل واتجه للمقهى، مسكينة مها وليته قادر على

إخبارها ومسكين بشير بدوره، فحتى لو ضمن صبا فاعتماد ستعلنها

حربًا.

"حاج إسماعيل فينك معدش حد بيشوفك زي الأول؟"

- إزيك يا دعيس.

وكان السؤال من صبي المقهى والذي نادى جميع الجيران من حوله فاجتمعوا وكان الترحيب به والالتفاف حوله، كونه يمثل تاريخ المكان بحكاياته وقصصه، بصوت العود حين يبدأ بالدندنة، بجواره أحدهم يسأله أن يغني كما عودهم، ورغم اقتحام خلوته إلا أن هذا كان له على الدوام مُفرحًا، يكفيه أنه بمرور الزمن لم يُنس، وصوت بشير أكمل المشهد، حين استوقفه وسحب أحد المقاعد وجلس إلى جواره ليسمع:

"شد الحزام على وسطك غيره ما يفيدك".

وللحالة ذكرى خاصة، ذكرى تفرض على بشير النظر لجدته بفخر مطلق، هو حفيد هذا الرجل الذي داوم على دعمه منذ أن توفي والده في صغره، وصوتهم فرض على دخيل أتعنته قدمه من كثرة السير أن يهوي إلى أقرب مقعد ليستريح، ثم تطلع إلى الرجل العجوز وبالتأكيد سأل صبي المقهى عنه:

- ده الحاج إسماعيل، ده عايش هنا في الحلمية من قبل ما يعملوا مسلسل ليالي الحلمية.

ظل يُحدِّق إلى الجميع حتى سأله صبي المقهى:

- أجييلك إيه يا أستاذ.

- اتنين قهوة، واحدة مطبوعة والتانية للحاج إسماعيل وقوله أنها مني.

ذهب صبي المقهى ثم عاد بطلباته فأخرج من جيبه ورقة من فئة مائة جنيه وحدد:

- خد تمن القهوة وخلي الباقي عشانك.

هل يعرف كم سيتبقى؟

وهتافه جاء بصدمة بجوار صوت فوران القهوة.

- 80 جنية بقشيش.

والمبلغ ليس بهين، يكفي أنه من الممكن أن يشتري دجاجة كاملة، تابع عارف فرحة صبي المقهى ثم غادر، غاب عشر دقائق ثم عاد وعندها قرر أن يجلس بجوار المستمعين لإسماعيل في هدوء ثم...

"مش أنت بتاع القرد؟"

قالها أحدهم فتوقف صوت العود، توقف الغناء، والتفت الجميع نحوه.

والغريب هو أن لا دعبس ولا أغلب الجالسين بالمقهى كانوا على دراية بالقصة من أساسها ورغم ذلك أثارهم الفضول لمعرفة المقصد من السؤال.

- إيه موضوع القرد ده؟

أول جملة جانبية.

- آه صحيح، بتاع المطار، هو أنت صح؟

ثاني جملة جانبية.

ثم همهمات من كل اثنين متجاورين، وكل واحد منهما لديه قصة تخصه، يحكيها وعارف بدوره بيتسم ويسمع، ولم يتوقفوا إلا بهتاف إسماعيل:

- جرى إيه منك له؟

ثم نظر باتجاه عارف وأردف:

- متآخذناش يا أستاذ، حاكم إحنا كده ما بنصدق نلاقي حاجة ونفتي فيها.

كانت القهوة قد أتت، وقيل إسماعيل نفحة كرم عارف برضا، هو رجل مدخله التقدير وعارف يعرف، يعرف أنه لو أراد الاستحواذ على الجميع عليه أن يبدأ بأهمهم والآن بعد القهوة والحوارات الجانبية حان دوره هو.

"صدقوني يا جماعة، القصة اتفهمت غلط خالص، أنا كان نفسي من زمان يكون عندي فرصة أوضح فيها الموضوع، وكويس أنها بدأت من عندكم".

وبدأ في السرد، والجميع يسمع، هو دكتور في التنمية البشرية.

– وده لما يوجعي إيه بالطبط أروحله.

والسؤال بهمس كان من إسماعيل لأذن بشير والذي كان يسمع
باهتمام: ده متخصص ف... هبقى أقولك بعدين.

"والجهاز بتاعك ده يعني هيفيد الناس بإيه؟"

والسؤال جاء من أحدهم، وهنا قرر عارف أن يفكر جيداً وهو
يحدق إلى الجمع الرجولي، لو قال الحقيقة سينفض الجمع في لحظة،
ولأنه بنفوس البشر خبير، عرف بالضبط ما هو بحاجة إليه.

حين تحتاج المساعدة خاطب في الناس مصالحهم لا تعاطفهم

الجهاز ده مخصوص للرجالة، ساعة بتضاعف قوة الرجل اللي
يبلسها، أربع أضعاف القوة الطبيعية.

"في كل حاجة".

كان استفساراً جماعياً تابعه رد عارف بثقة:

– أكيد، خصوصاً علاقته بالجنس الآخر، وده كان واضح جداً
مع القرد، لدرجة إن مفيش قردة كانت قادرة عليه.

"هات للراجل ده فخفخينا يا دعبس".

والزعة كانت من صاحب المقهى، بالإضافة إلى ثلاثة قربوا مقاعدهم، وأربعة استوقفهم الجمع بالمقهى فدخلوا، وهنا قام إسماعيل من مكانه وقرر الرحيل ولم ينتبه سوى عارف، فنظرة إسماعيل له ضابقتة.

خرج وخرج بشير خلفه يهتف به عله ينتظره، وما إن جاور جده المُسرع حتى سأله عن رحيله وكانت إجابته ببساطة:

- هذا الرجل يكذب.

- أهو كنا عرفنا حكاية القرد.

- يا شيخ اتبيل، أنت عارف تخطب، ده أنت محتاس بين مها وصبا ومش عارف تاخذ موقف.

وبعد ثوانٍ من الصمت أجابه وهما يتجهتن للصعود نحو منزلهن: -
هاخذ موقف يا جدي واللي يحصل يحصل.

وما إن وصلا حتى استوقفهما صوت زعيق اعتماد وأمنية وكل منهما باتت تكييل للأخرى، بينما مها هتفت فيهما:

- كفاية بقى حرام عليكم.

- فيه إيه يا غجر؟ صوتكم جايب آخر الشارع، إيه اللي حصل؟

والصمت بصوت إسماعيل حل، انتفضت مها دون النظر لأحد مقررة الرحيل ورغم زعيق إسماعيل فيهم كي يفهم إلا أن مها ترجمته أن يدعها الآن، هي تدرك أنه الوحيد الذي سيفهمها، ولكنها لن

تشرح، وفي خضم الضجيج كما العادة آثر بشير الصمت، فهم أن الشجار كان بسبب أن مها قالتها قاطعة؛ لا أريد الزواج من بشير.

وهل امتلكت المرأة؟

نعم، ورحلت بعدما سمعت آخر جملتين من خالتها ووالدتها ومفادهما قطيعة رحم واضحة ما دامت الزيجة لن تتم.

وانتهى الشجار فانزوى إسماعيل بغرفته بعدما صفع بابها بوجه بشير ووالدته والتي ربتت على كتف ابنها وهي تؤكد:

– اوعى تزعل نفسك.

ورغم شعور بالراحة أن الأمر قد حُسم فإنه لم يفرح، تركها وصعدَ لسطح منزله، والعبث بكشكول خواطره كان واضحاً، والفاعل ضميرها حين استيقظ من سباته وعرف الحقيقة المرة، فكانت هي من تصدى للمواجهة نيابة عنه.

حلَّ الليل ولا يزال جده بغرفته، ولم يخرج حتى ليأكل، قرَّر بشير جلب الطعام له وأصرَّ على الدخول.

فتح إسماعيل الباب ثم عاد ليجلس أمام حاسوبه، يتصفح صفحة الفيس بوك خاصته، دون النظر لبشير.

– طيب حتى كُُل، أنت ماكلتش من الصبح.

قالها وهو يضع صينية الطعام من يده فكان رد إسماعيل:

- أنت مش حطيت الأكل، اتفضل بقى، عشان أنا بصراحة كده
لا طابقك ولا طابق أمك.

- طب أنا ذنبي إيه؟

قالها ببالغ الأسى وبصوت متحشرج على إثر دموع هي على
وشك التزول.

- امشي يا بشير.

وما كان له إلا أن يفعل، التفت ليرحل وقد بكى فعلاً، وقبل
الخروج من الغرفة ناداه جده، وحين التفت ورأى دموعه أكمل:

- تعالى يا بشير، أنا عايزك.

جلس إلى جواره بصمت، نظر إليه وبعد لحظة دفن رأسه بصدر
جده وبكى والصوت المتحشرج بالدموع قرر "الفضفضة".

"أنا مقصدتش أعمل في مها كده، والله ما كان قصدي".

"أنا مخنوق قوي".

فربت إسماعيل على كتفه وحثّه ألا يبكي، فالرجال لا تبكي،
لماذا، لأنها قناعة تم إقرارها، فالرجال أقوياء، وما علاقة القوة بالبكاء؟

البكاء ضعف، ما علاقة الضعف بالبكاء؟ البكاء بكاء، والضعف
ضعف، إلا أن الخلط في كل شيء بات من المسلمات.

- ما تسترجل وتقول لأملك لأ.

- هو أنا لما أخاف على زعلها أبقى مش راجل.

ربت على كتفه وعقب:

- محدش قالك زعلها، بس دي حياتك أنت ولازم قراراتك تكون من دماغك أنت، فاهمني.

أوما رأسه بتفهم لكنه مدرك أن الأمر لن ينتهي بعد، ربت إسماعيل على كتفه وتناولا معًا الطعام ومن شروده قطعه فيديو ظهر على صفحة جده وعنوانه استوقفهما:

"فضيحة، لدكتور القروود بالحمية".

فلم يملك بشير إلا أن يعقب:

- شكل حد صوره ورفعته ع النت.

- ومين اللي هيقف يصوره، هنا الناس آخرها تسمع واحد زيه حقيقة أدركها إسماعيل فرضت عليه أن يردف بعد تفكير:

- أنا حاسس إن الراجل ده وراه إن!

(4)

القاعدة الرابعة

(استعبد ضحاياك بمنحهم حرية اختيار
أسلوب سيطرتك عليهم وعندها سيمدحون
ديمقراطيتك).

هو رجل علمته الحياة، أهم دروسها: إذا أردت أن تلعب أي لعبة، وتكسب بل تسحق خصمك، قم بإرساء قواعدها بنفسك.

وبعد أن استأجر أحدهم لتصويره، جلس يُرسي قواعد جديدة وهو يحدد مكاسبه، مال وشهرة ونفوذ يتم تلاعبهم معاً من أجل إنجاح تجربته، ويكفيه أن الضحايا هم من ستأتي بهم رغباتهم، وبمار الخلطة هو إثارة الفضول.

الفضول طعم البشر الأكثر نجاحًا والأثمن صيدًا، وعندها ستعلم كيف تستخدم الكلمات:

"فضيحة" "مصيبة" "كارثة".

وكيف تتلاعب بالمشاعر:

"رهيب" "جنان" "فطيع".

ثم ادفع بما تريد وتوارَ عن المشهد.

واكتفي بدور المتفرج، اسمع القذف في سمعتك واصمت، وبعد برهة ستجد من قرّر تبني موقفك والدفاع عنك، كن صاحب الموقف

الغامض، ولا تصرح بحقيقتك، كن قدر استطاعتك مثيراً للجدل،
وعندها ستضمن أن الجميع سيتحدث عنك، الطيب لظنه أن فيك
خيراً، والشهير سيكون أول المقدرين لقيمتك.

وكانار في الهشيم، كان الهشتاج الجديد:

#شوفتوا_الراجل_بتاع_شوفت_القرود

"مين عارف أبو العزم، اللي كل شوية نشوفه في حاجة ده".

"ايه حكاية الساعة اللي اتجربت ع القرود دي".

"بيقولك محمش قادر ع القرود".

وبالميديا ثمة خطوات عليك أن تعرفها، بإعلان الشوكولاتة يجب
أن تستشعر ذوبانها بفمك، بإعلان المشروبات الغازية يجب أن
تستشعر فورانها وكأن الكوب بيدك، وإعلانات الأطعمة دع كثرة
الألوان تكون كفيلاً لشعورك بالجوع، ومشهد الدخان الصاعد من
الطعام يفرض على عقلك تصديق أنها ساخنة، عينك المدخل لعقلك
ثم سؤال سيُطرح بعدها:

دوقتها؟ لا.

لازم تدوقها!

جربتها؟ لا.

لازم تجربها!

"بطعم وريحة الزبدة الفلاحي وتحدي".

Cut

والتصفيق كان موازيًا لصوته: هاييل هاييل هاييل يا مدام لوللا.

ثم الزعيق بالجميع: عشر دقائق وعازر اللوكيشن جاهز عشان إعلان شركة الفيروز.

وعبد الشكور بدوره يراقب المكان في صمت، عالم اعتاد رؤيته من خلف الشاشات، فإذا به يجلس ليرى بانهار ما هو خلف الكواليس وهو يعقب:

– بتتبعوا قوي أنتم يا أستاذ هيثم

– آه طبعًا، ويا ريت الناس بتقدر، كفاية تعب مدام لوللا، تخيل أنها من الصبح مقعدتتش، وكل شوية تغير لمشهد.

– مسكينة فعلاً دي مش بعيد يجلبها دور أنفلونزا.

والمسكينة أتت إليه، وقفت أمامه والتقدير لوجوده يشع من عينيها وهي تسأل:

– عجبك الإعلان يا أستاذ عبد الشكور؟

وهو بدوره وقف؛ أهو إجلال لجينها، أم لأنه غير مصدق؟ والرد

انساب من فمه:

– أكيد طبعًا، حضرتك موهوبة جدًا.

- مجد يا عبد الشكور، سوري يعني إني شيلت الألقاب، أصلي دائماً باعتبارك أخ عزيز.

والجملة قيلت وهي تقترب منه أكثر، إلى حد فرض عليه التمتمة في سرّه بـ "أستغفر الله العظيم" وهو يعود للخلف بخطوات توازي اقترابها:

- الله يحفظك.

زادت ضحكاتها وهي تكمل:

- لا مجد أنت مشكلة، يا ريت لو كل الرجالة زيك.

ولم يجد كلمات يرد بها ولم ينجده من يدها إلا نداء المخرج باسمها، فاضطرت لمغادرته وهو يهتف من فرط تعرقه:

- روحي يا شيخة منك لله.

"حبيبة قلب مامي تمت أسبوع الهاردة في الحضانة بتاعتها، والحمد لله حضانة ممتازة وبتطبق منهج منتسوري"

كتبت أخيراً منشورها وقد أرفقت به صورة ابنتها وقد شعرت بالزهو لكثرة الإعجابات والتعليقات.

ثم عادت لمتابعة إحدى الصفحات التي على ما يبدو ستقلب مسار الفيس بوك رأساً على عقب؛ الصفحة الرسمية للدكتورة والمستشارة الأسرية نانسي أبو العزم.

كانت تقرأ المنشورات بتركيز وقد شردت رغباً عنها لتتذكر كيف كانت بدايات حياتها مع زوجها وقد استعانت عندها بالمنتديات لتعلمها وقد كان.

"تعالى لما أقولك إزاي جوزك يبقى زي الخاتم في صباغك".

نصائح.

"بالصور، تعالوا شوفوا إزاي عملت لجوزي أحلى ليلة رومانسية".

فضائح.

وما بين الاثنين سؤال؛ هل نحن من نستخدم مواقع التواصل أم

أنا هي من نستخدمنا؟

عادت لتكمل قراءة منشورات نانسي أبو العزم وقد زفرت

بضيق، وهي تُسقط على عبد الشكور كل معلومة.

تغير؟!

أو هي قررت ذلك كونه بات مهتماً بإعلان لوللا بل يتحدث

لكثري بفخر كونه يحضر كواليسه، ويوم المقابلة بحضانة ابنتها أبدى

إعجابه بميس أيتن مدرستها.

شواهد جميعها تؤكد أن عبد الشكور في طريقه لخيانتها إن لم يكن فعلها.

"يا لهوي!"

تمتت بها وقد شعرت أنها بحاجة لمساعدة وبما إن الكثير من السيدات يتواصلن مع صاحبة الصفحة، قررت هي أن تفعل بدورها، فأرسلت رسالتها تشرح وتسال:

- دكتورة نانسي أنا شاكرة في جوزي ومحتاجة من حضرتك مساعدة، تقولي لي إزاي أخليه مبيصيش برة.

- قوليلي كل التفاصيل عنك وعنه وأنا هعملك تحليل لشخصيته وأقولك إزاي تكسبيه.

- بجد يا دكتورة؟

- طبعاً، أنا تحت أمرك.

"يا أبو العيال هاتلك شيال".

وأخيراً أصبح مسعود أبو السعد أباً.

- حور ونور.

قالها وهو يطالع الوجهين الملائكيين لبنتيه وابتسامة سعادة تعلقو شفتيه، وأخيراً أسرة هو ربما بعدما حرم طوال حياته من وجوده وسط أسرة كونه تربي في بيت عمه يتيمًا بعدما توفي أبواه.

- وماله اسم عطيات.

عقبت حماته فابتسمت درة وأجابت:

- إحنا متفقين على الأسماء دي وبعدين يا ست الكل هو فيه زي عطيات.

مطت شفيتها وتركتهما بينما نظر لها مسعود بغيظ للحظة على إثر ولادتها الحرجة ولكن الله سلم.

- حمد الله على سلامتكم.

- الله يسلمك، كنت هزعل لو طلعت ناسي اتفارقنا.

- مقدرش.

ثم قبل رأسها والصغيرتين وكى يتفادى مصمصه فم عطيات قرر أن يخرج لشراء احتياجات بنتيه، عدة أيام ستمكثها عطيات بمزله لخدمة ابنتها لن تكون بالهينة أبدًا.

عليه أن يبدو كريمًا ويصرف ببذخ وإلا فلن يسلم من لسانها، وأنفق كل ما ادخر واستدان حتى أتم "سبوع" التوأمين وبالنهاية رحلت عطيات ليتنفس الصعداء ويحاول تدبر ما يلزمه من مصروفات بالفترة التالية:

"وووووَأَأَأَأ وووووَأَأَأَأ"

حل المساء ففركت عينيها الناعسة بأسى واتجهت حيث سريرهما،
وقفت تمددهد حور، تربت على خصرها كي تتجشأ، تمداً تغمض
عينيها فتضعها في السرير وتتشاءب هي بدورها وتعود لسريرها، تمنى
نفسها النوم ولكن
نامت حور واستيقظت نور:

"عندي شغل الصبح والله ما ينفع كده".

والتعقيب من مسعود فرض عليها الاعتذار بينما قرر هو النوم
على الأريكة الموجودة بغرفة مكتبه.

نامت نور، ولكن النوم جفا عينيها كونه يتذمر من أقل خطأ،
فهل يتعلل كي يجد حجة ويسافر كما ينوي.

مرعوبة هي من تلك اللحظة، ورعبها هو الخرك، تُجاهد نفسها
ألا تخطئ، تنظف، وترتب، وتطبخ، وتكوي، وتفعل كل مجهود
مضاعف فقط لتتفادى ضجره. تُواصل الليل بالنهار ولا تريد تصفيقاً
أو انبهاراً، فقط يرضى.

عاد من عمله وكانت بالمطبخ، شعرها أشعث وعيناها حمراوان
وآثار الإجهاد تآكل ملامحها:

– ده أنتِ لو بتاخدي مخدرات، مش هيكون شكلك كده.

ولم تملك طاقة لترد فقط سألت:

قالها وهو يحاول السير بصعوبةٍ بجواره، وكل هذا كان فقط من أجل الذهاب معه لبيت أمينةٍ عليه يرى مها، ولأن إسماعيل يعرف قرر اختياره بطريقته حتى وصلا لبيت اعتماد فعقب:

- بافكر أجيب بطيخة بالمرة.

هل سقط مغشياً عليه؟

- جيل طري.

وكلامه فرض على مها الضحك حين جمعتهما الشرفة، أمام لعبتهما المفضلة الطاولة، وقد آثرت الصمت رغم حثه لها على التحدث.

- وآخرتها؟

وما إن قالها حتى التفتت تطالع وجهه ثم ردت: ولا حاجة يا جدو، هو هيتجوز صبا ويعيش معاها سعيد، وأنا هتجوز حسن وبس.

- الدكتور السمج ده!

والتعقيب فرض عليها أن تضحك مرة أخرى، بل تتذكر كل ما فعله جدها فيه، منذ أن علم بأنه قد تقدم لخطبتها وأنه منتظر ردها، فهل يختبره؟

وقبل جبهتها وهو يؤكد:

- المهم عندي أشوفك سعيدة.

- ربنا يخليك لنا يا جدي.

بعد مرور أسبوع

بات المتوقع أن يجاوره كل صباح لتناول الفطور بعربة عم شلتوت، ورغم استغرابه لم يجرؤ أن يسأله عن السبب، نظر لمسعود ووجدته مُخرجًا من طلب المزيد من الخبز فمدَّ يده برغيف إضافي دون تعقيب، تناوله مسعود وعاد يُكمل فطوره فإذا بعبد الشكور يعلق:

- المدام طالما ولدت بالسلامة عود نفسك أنك هتفطر كل يوم

هنا.

شعر مسعود بالغيظ من الفضولي، فصمت عبد الشكور وقد ندم على حديثه معه، ساد الصمت لدقيقة قبل أن يسأل مسعود:

- هو أنت بقالك قد إيه متجوز؟

وصُقع عبد الشكور كونه يسأل، وردَّ: حوالي ست سنين،

وأنت؟

- سنتين.

- مستجد يعني، أنا برضو قُلت كده.

ولم يحاول مسعود الاستفاضة، نفص بقايا الطعام عن يده مُقررًا الاتجاه للشركة، تابعه عبد الشكور مكتفيًا بذلك الحديث المقتضب.

يوم روتيني بدأ بزعيق فيروز على أي سبب، وهذه المرة كان الزعيق من نصيب عيسوي الذي خرج من مكتبها يزفر بضيق ولكنه لم يعد لمكتبه فثمة أمرٌ مُلحٌ شعر أنه سيحتاج مساعدة بشير فيه، فقرر طرق باب مكتبه ودخل وجلس، ودون مقدمات طويلة قرر التودُّد بل التحدث بكل أدب:

- ممكن مساعدة؟

- خير يا باشمهندس عيسوي؟

وكاد يتوقف قلب بشير عندما قفز عيسوي فوق مكتبه وأمسك بيده مترجياً:

- أبوس إيدك يا بشير قولي كلمتين أكتبهولها، أنا مبيقيتش عارف أعمال معاها إيه، دي هتجيب أجلي.

- مين دي.

- شجن.

- شجن مين.

- بنت عاوز أخطبها.

أمسك بشير بيد عيسوي يريت عليها ثم طالبه بالجلوس بمقعده، ولم يفهم مقصده إلا عندما حدد: عايز بيتين شعر من اللي محدش يفهمهم دول، يمكن تكون مثقفة وعميقة ويكون ده مدخلها.

- أيوه بس أنا مالي بحاجة زي دي، آسف يا باشمهندس معتقدش إني هقدر أساعدك.

"بجد؟"

قالها عيسوي وبالغ الغيظ، وعقد ذراعيه أمام صدره ثم رفع حاجبه الأيمن وهو يُعقّب:

- ماشي يا بشير، بس متزعلش لو مدام فيروز عرفت أنك كنت بتكتب لصبا شعر وتحطهولها على مكتبها.

والتفت لينصرف فهبَّ بشير مُسرِّعًا ناحية الباب ليستوقفه مُعقَّبًا:
- يا باشمهندس عيسوي، استنى بس الكلام أحد وعطا.

- لا معلش أنا مش فاضي، وقت الشركة يا بشير، إلا الشغل، شوف أنا أضيع وقت أي حاجة إلا الشغل.

زاد ترجي بشير وأضاف:

- إنت فهمتني غلط خالص، أنا بس مكنتش عارف أنت محتاج إيه.

تصرف عيسوي بلامبالاة فرضت على بشير أن يمسك يده ليزيد
إلحاحه فاستغل عيسوي الموقف:

– لا متبوسش إيدي يا بشير، لا يا بشير أرجوك، متبوسش رأسي
طيب يا أخي، ما خلاص يا بشير كفاياك بوس يا أخي.
"بوس"؟

والزعة كانت من عم مدبولي حين دخل عنوة يطالع الاثنين
وكأنه وجدتهما في حالة تلبّس:

– أنتم بتعملوا إيه بالطبط؟

عدل كل واحد منهما من هندامه بينما وضع عم مدبولي الشاي
من يده وهو يعقب بتأفف:

– أستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم، رايحة بينا على فين يا
مصر؟

– خلاص يا عم مدبولي، حط الشاي عندك واتفضل.

ظل يطالعهما بنظرات الغيظ ذاتها قبل أن يخرج وهو يردد:

– قال بوس قال؟

– عجيب كده؟

قالها بشير بغيظ وهو يعود أدراجه لمكتبه، يتناول كوبه وقد زادت
خيبة أمله، ودون استهانة بضيقه أجاب عيسوي:

- متخافش، محدش عارف غيري، ومحدش هيعرف.

قالها عيسوي واتجه للانصراف فاستوقفه بشير بهتاف:

- استنى.

التفت له فأكمل:

- معاك ورقة وقلم؟

انزوت ابتساماً على شفطي عيسوي فتابع بشير:

- يمشي معاك امرؤ القيس؟

- عميق ده؟

ولم يستطع كتم ضحكته وهو يرد:

- أعتقد آه.

بالردهة كان عم مدبولي يحمل على صينية قهوة مسعود ونسكافيه
عبد الشكور وقبل أن يتوجه لأحد مكثيهما تسمر لرؤيته "لوللا"
وقد أتت للشركة

- مكتب الأستاذ عبد الشكور فين من فضلك؟

سؤال فرض عليه أن يشير فقط لمكان الباب، فلم تنتظر منه
مساعدة، فقد طرقت الباب ودخلت وصافحت عبد الشكور بحرارة

بينما مدبولي لا يزال على ذهوله، هي المرة الأولى التي يتأكد فيها أن النساء اللاتي تظهرن على شاشات التلفاز حقيقيات.

"وأنا اللي كنت فاكر إني متجوز ست؟"

قالها في نفسه بينما أمره عبد الشكور بالمغادرة لإعداد كوب عصير للضيفته ليتمتم عندها:

"هي الشركة دي مفيش فيها إلا المهندس مسعود؟"

قالها وهو يفتح باب مكتبه ويضع له القهوة ليسمع عندها:

"وصلني الرد منهم بالموافقة، خلال أسبوعين إن شاء الله هاكون متمم الموضوع، ومراقي مش هتعرف إلا في آخر لحظة، أنت عارف لو عرفت هتقلب الدنيا، تحمد ربنا إني عدتلها اللي عملته، أنا ميتلويش دراعي أبداً".

ظل يطالعه باستغراب وهو يتمتم:

"هيتجوز على مراته؟ هي الشركة دي مفيهاش حد عدل أبداً".

قالها وعاد للمطبخ يضرب كفاً بكفٍّ على حال من حوله:

"هو أيه اللي جري للرجالة بالظبط؟"

وربما تتضح الإجابة لو تابع هو كما البقية وعلى رأسهم صبا، الصفحة الرسمية الخاصة بالموسم الثالث للبرنامج العالمي:

{How to be a famous star?}

وقد ضغطت إعجاب على أولى منشوراتها:

"دي الصفحة اللي هتدعم الموهبة اللي هتشارك من مصر، فريد
أبو العزم، مستنيين دعمكم ودعواتنا لمصر بالفوز".
وآه لو أدركوا حقيقته، وآه لو عرفوا أن نجم الفيس بوك الصاعد
وحديث نص فتيات مصر هو....دعيس سابقاً!

(5)

القاعدة الخامسة

(إذا أردت الاستدراج فاصنع طُعمًا بمذاق
ساحر، واحرص أن يتم تناوله بشغف).

"هل أخبروك يوماً كيف كان اللقاء الأول بين كيلوباترا ويوليوس قيصر؟ كان في قصره يعقد اجتماعاً مع قاداته يناقش الخطط الاستراتيجية فإذا بناجر يطلب الإذن للدخول على القائد العظيم ومعه هدية، سجادة مطوية وبمركبة خاطفة يبسطها فتظهر كيلوباترا، تنهض أمامه بكامل زينتها فتسرق عقله عنوة، جراًة فرضت على القيصر أن يصعق، ولم يعد من بعد هذا اليوم كارهاً للنساء كما كان يُنعت، لقد وجد الساحرة التي أتقنت خيوط جذبته وعرفت متى تشدُّ ومتى ترخي، تماماً كشهرزاد مع شهريارها، وكلاهما وإلى جوارهما ألف قصة، فرضا على كل حواء أن تتعلم الدرس الأكثر أهمية؛ لكل رجل مدخل إن استطاعت أن تدركه حواء صار لعبتها".

#اجعليه_لعبة

#كويني_استثناءه

نانسي أبو العزم.

ويومًا بعد يوم يزداد عدد المعجبين بالصفحة، وليسوا نساءً بل رجالاً أيضاً، يملؤهم الشغف لرؤية من تكتب تلك الكلمات التي تشير حفيظتهم.

آدم بكل سطوته وجبروته "دمية"، مجنونة معقدة أو على الأرجح ساذجة. ويدور السجال حد تراشق حواء مع آدم وهي تدافع عمن تمثلها، أما "عارف" فيطالع كل ما يجري بفرحة، يزفر دخانه فيغطي شاشة حاسوبه حد انعدام الرؤية لدقائق ثم يتلاشى الدخان ولا يتلاشى أثره.

"ستظل الرؤية مشوشة طالما كان اختيارك هو السوشيال ميديا".

"الرجل لو حس بالأمان ناحية مراته فايه اللي هيمنعه إنه يخونها، اوعي تكوني ست خائية، اوعي تحسسيه بالراحة أو تحطيه في حالة سلام نفسي فيدور على ست تانية، استترفيه، اتعبيه، انهكيه، وساعتها لا هيكون عنده وقت ولا طاقة يبص برة".

منشور فاق كل التوقعات في حصد إعجابات لا حصر لها، كونه طرق على ضعف حواء واستفزازها.

حالة انبهار قصوى بمن ستجلب لكل النساء حقوقها، ومن هي رنا لتقاوم وكل النساء قرن أن يكن كليوباترا بل بدأن في سرد تجارهن عن تلك الليلة الخاصة.

#كوني_له_كليوباترا_بكن_لكي_بوليوس_قيصر

"دكتورة نانسي أنا سمعت أنها كانت بتستحمي باللبن، عندي نص

كيلو قطع ينفع للحمى بدل ما أرميه؟"

"آه، طبعًا".

"أنا غسلت السجاجيد كلها وكل يوم هستنحي في واحدة".

"برافو".

وحسنت رنا أمرها، أودعت أولادها لدى والدتها، وبدأت
خطتها.

غلالة قصيرة براقه ذهبية، مكياج بكل درجات الذهبي، وأخيرا
كيس جليتر بـ 75 قرشًا نثرته على شعرها وجسدها ووجهها وهي
تُعقب:

– ملكة ملكة، يخرب بيت الإطالة.

والاختيار وقع على سجادة الصالون كونها الأكبر وتعقيب منها
وهي تختبي بها:

– يكش يطرر.

"معقول"؟

والتعقيب في عقل عبد الشكور وهو يقود سيارته بطريق العودة،
يفكر في عرض لوللا المغربي:

"مدير أعمالها مقابل خمسة آلاف جنيه شهريًا".

"حرامي!"

وجاء لقضائه فعبد الشكور قرر ضرب السجادة بكل ما امتلك
من قوة، ضربت كيلوباترا بالمنفضة.

وحين شعر بالانتصار سحب السجادة للدخل وفتحها ليصدم
حين رأى رنا وقد تورم وجهها وبدت الكدمات واضحة فصرخ:

- رنا؟

ارتمت أرضاً وقد كُسرت يدها اليمنى والتوت رقبته وقرّر
الطبيب أن عليها المكوث بالفراش مدة أسبوع.

نسخت المکتوب بالمشور ثم وضعته بالمحادثة التي تجمعهما عبر
"الفيس بوك":

"آدم اعتاد أن يضعه الجميع موضع المسؤولية، الجدية، صورة
ذهنية عن الرجولة تحمل بين طياتها العقلانية، وكلمة السر هنا
"الجموح" إذا استطاعت حواء أن تجعله بصمتها، عندها سيكون
أسيراً لكلامها، وأفكارها، وأحلامها، حتى نبرة صوتها، شعور إلى
جوارها بالخطورة هو لا يحيا معها المغامرة، بل هي مغامرته الكبرى".

- اعلمي لايك لصفحتها يا شجن دي رهيبه، كلامها في الجول،
يكفي أن الرجالة كلهم بيشتموها، ولا كمية الريبوتات اللي على
صفحتها، ادخلي اقري بوستاها بس، مش يمكن تنفع مع عيسوي؟

أقربيلها

تابعيلها

اسمعي كلامها

وآآه من "الإلحاح" إنه أحد أهم أيقونات الإقناع، حتى لو كانت الكلمات بخلاف المنطق.

المنطق! وأي منطق في كل ما حدث منذ أن وصلت رسالة الأستاذ عيسوي لهاتف والدها وتقابلا وازداد إعجابه به؟ بل يا للقدر حين اختار أحب الأبيات الشعرية لقلب والدها أستاذ اللغة العربية ليحدد موعد جديد يجمع عيسوي بأسرتها، ولكن هذه المرة اختلفت نتيجتها كون فاطمة قد قررت الرفض على إثر ظهور عريس أفضل.

ليتزوي عيسوي في غرفته حزينا من بعدها حتى أنه ما عاد يشرب "شاي بلبن".

"لأن الانطباعات الأولى تدووووووووم".

"عايزين أكبر عدد يكون مع فريد في المطار وهو مسافر للبنان، لأنه هيمثل اسم مصر، ويا ريت وإحنا رايجين ميكونش معنا غير أعلام مصر وبس".
ولم تملك إلا ضغط إعجاب على المنشور وفي نيتها هي أول من سيذهب.

{Branding}

أو العلامة التجارية.

قالها فاستوقف طلابه ثم أردف:

- والموضوع ده مهم جداً بالتسويق، إزاي شركة أو تاجر يستخدم الدعاية لصالحه، وإزاي يملك علامة تجارية معتمدة.
ودون انتظار تعقيب من طلاب الفرقة الأولى بكلية الإعلام أكمل
دكتور بغدادي الشرح:

"في البداية خلونا نتكلم عن أشهر البراندات اللي قدرت توصل المستهلك أنه يتعامل مع المنتج باسم الشركة وكأنه ده اسمه بالفعل
حد يقدر يقولنا أمثلة:

- كلينكس.

- تمام، إحنا بنقول على كل المناديل الورقية كلينكس رغم إن ده اسم الشركة المنتجة وليس المنتج، إيه تاني.
(بامبرز، رابسو، كوكاكولا).

وانتهى المطاف عند الدكتور بغدادي بتعقيب:

- تمام، وفي أمثلة أكثر ومن هنا هنسأل إزاي تعمل براند معتمد
عن طريق الدعاية وهنتكلم عن الفرق بين {Neuromarketing} و
{Behavioral Marketing}، التسويق العصبي والتسويق
السلوكي.

وبينما أتمك الدكتور بغدادي وطلابه، كان هناك من قرّر
انتظاره بمكتبه!

"معنى كلام حضرتك يا دكتور إن في تجارب اتعملت بالفعل على
مدى استجابة المخ للإعلانات والعلامات التجارية".

ردّ الدكتور بغدادي:

- أكيد وأشهرهم تجربة لـ"ريد مونتيغ" اتعملت سنة 2003
واسمها "تحدي البيبيسي".

"التجربة مستوحاة من إعلان تلفزيوني قديم لشركة بيبيسي كانت
بتطلب فيه من الجمهور المفاضلة بين عينات عشوائية من (بيبيسي)
و(كوكا كولا) لكن من غير ما يعرفوا هما يبشربوا إيه!

وحسب الإعلان كانت النتائج غالباً في صالح (بيبيسي).

الإعلان كان حيادي وفعلاً بتكرار التجربة بيبيسي دائماً كانت
بتكسب لكن رغم كده عمر مبيعات (بيبيسي) ما عدت مبيعات
(كوكا كولا) في أمريكا .

ومن هنا جه السؤال اللي دفع الدكتور (مونتيغ) لإعادة التجربة
"ليه الناس دايمًا بتشتري الكولا مش البيبيسي رغم أنه وفق التجربة
شايفين طعمها أحسن؟"

اللي زاد المرة دي هو أنه قام بمراقبة نشاطات أدمغة الأفراد
الخاضعين للاختبار وتسجيل معدلات تدفق الدم لأقسامها المختلفة
بواسطة جهاز الرنين المغناطيسي والنتائج كانت كالتالي:

"في حال تجاهل هوية المنتج الأفضل طعمًا يكسب لكن في حالة
إظهار هوية المنتج كان الإقبال على كوكاكولا تاريخي".

والتفسير كان باختلاف مناطق الاستجابة في المخ في حالة
الإفصاح عن أسماء المنتجات، وده لأن المكان اللي حصلت فيه
الاستجابة في حالة كوكاكولا كان المكان المسؤول عن الذكريات
والمشاعر والعواطف، أما في حالة بيبيسي فالمنطقة اللي استجابت
كانت المكان اللي بيستجيب في حالة الحصول على جوائز أو إتمام
مهمة أو وجود حافظ، ومن هنا نوصل لأهم نتيجة في الدعاية لأي
منتج "كله بالحُب".

وتعال ضحكاهم ولكنه لم يضحك، قال الجملة التي لطالما كان
يعقب بها على صبا وهي تقرأ رواياتهما!

كان إسماعيل ينتظره، يحتسي فنجانًا من القهوة وقد قرر أخذ
الخطوة الأولى نيابة عن بشير عملاً بنصيحة مها:

"أنت حطه قدام الأمر الواقع واتعرف على أبوها وادخل رسمي".

ولأنها محقة كان هذا ما فعله، ليتفاجأ أنه أمام بغدادى، ابن جاره
السابق بالحلمية فهتف بفرحة:

- بغدادى؟

- حاج إسماعيل، إزيك يا راجل يا طيب.

وبعد سلامات وأحضان ومصافحات كان الجلوس، والذكرى
لأيام الجيرة في الحلمية إلى جواره ليسمع حكاياته وغناؤه:

- إحنا لازم نتغدى مع بعض الهاردة.

- الجايات أكثر من الرايجات مين عارف مش يمكن نبقى أهل عن
قريب وساعتها هيبقى غدا وعشا.

والاستغراب عاد ليفرض نفسه فأردف إسماعيل بمباشرة:

- أنا جاي أطلب منك إيد صبا لحفيدي بشير قُلت إيه؟

"ياااااااااااااااااا!"

وأخيرا عريس كما يتمنى بعيداً عن ما يجلبه الفيس بوك، رجل من
أصل طيب وعائلة محترمة، لكنه لم يفرح ومع صمته عقب إسماعيل:
- عارف، لازم تأخذ رأي صبا طبعاً.

ولم تكن تلك وحدها مشكلته، بل ثمة مشكلة أكبر، إذ كيف له
أن يخبر صبا بأن هناك عريساً يسكن بالحلمية واسمه بالكامل "بشير
خليل عبد الجليل"؟

وما يثقنه بشير أنه بانتظار رفضها لكن سرعان ما خالفت النتيجة
توقعاته، كون بغدادى قد اتصل به مساء اليوم التالي ليخبره:
"صبا موافقة".

وما لبث إسماعيل أن وضع الهاتف من يده حتى احتضنه بكل ما
امتلك من فرحة:

"يااااه هيعيش وأشوفك عريس، بعد ما كنت بتعملها عليا!"

والفرحة فرضت نفسها بقوة رغم أن بشير لم يكن يصدق
موافقتها، حتى عادت الزغاريد لتدوي من حوله، لتؤكد عندها أمراً
واحداً لقد أصبح عريساً.

بعد مرور أسبوع

هل من الممكن أن يتغير الواقع، أو تتغير اللحظة، نعود للوراء
عدة أعوام نغمض فيها أعيننا ونحلم، بل لا نستيقظ أبداً!!!
"خلاص مسافر يا مسعود".

وحبست الدموع بعينيها وتظاهرت أنها لا تبالي وهي ترى تذكرة
سفره مجاوراً لها الباسبور وقد تحدد الموعد، صباح الجمعة القادمة
وانزوت عنه لا تتكلم، وكلما حاول امتنعت، صامته بل
مخروسة، وما زالت تحت تأثير الصدمة وغادر هو في الصباح متجهاً

للشركة، إنه اليوم الأخير لمسعود معهم بعدما قدم استقالته منذ عدة أيام، مقررًا الوجود فقط بشكل صوري.

جمَعَ ما تبقى له في حقيبة صغيرة، وقد حانت لحظة مغادرته، ليجد بشير وعيسوي وعبد الشكور وعم مديبولي على أعتاب باب مكتبه، وصبا لم تكن لتأتي لأنهما تكره الوادع ولا تحبه:

"نشوف وشك بخير يا مسعود".

"هتوحشنا والله يا مسعود".

"إن شاء الله ربنا يكرمك ولما ترجع تتزل مصر ابقى خليفنا نشوفك".

محنة درة في أن الأمر ليس بهين، ربما هي المرة الأولى التي يستوقفه فيها إدراك أن غيابه من الممكن أن يشكل فارقًا مع أحد، بل هي المرة الأولى التي تختبر فيها عينه رقرقة الدموع إلى حد تشويش الرؤية في نظارته.

"ما تصلوا ع النبي يا جماعة".

وكان التعقيب من عيسوي حين رأى التأثير في عين الجميع وعندها تدخل مازحًا:

- بقولكم إيه، إحنا نتصور واحدة سيلفي مع بعض ونبقى نسميها "الموظفون في الأرض".

ووافقوا فأخرج عيسوي هاتفه الخلوي رفعه لأعلى قدر
المستطاع، وكانت الضغطة والصورة والبسمة وذكري أربعة باتوا
ثلاثة.

كانت ليلته الأخيرة وما زالت درة غاضبة، أعدّ كل شيء وما إن
انتهى حتى جاور درة ثم قبل رأسها، أشاحت بوجهها وقد انهمرت
دموعها، فأمسك بوجهها بين يديه وعقب: متزوديهاش عليا يا درة،
متوجعنيش قبل ما امشي.

- وأنت متحسسنيش إني مهمة لأن الحقيقة مش كده، أنت
لويت دراعي يا مسعود، حطيني قدام الأمر الواقع وعازيني أفرح.
قالتها وصمتت، وهو نكس رأسه ولم يُعقب حتى زاد بكاءها
فقال:

- مش هقول مين فينا غلطان، لكن فكري معايا، أنا بأعمل كل
ده عشانكم.

ودون مقدمات ضمّ رأسها إلى صدره فلم تجد بُدًا من العناد
فتهاوى كبرياؤها، حتى كان الصباح وكانا بطريقهما لمطار القاهرة،
وكان الزحام على أشدّه.

- هو في إيه النهاردة؟

سألت فأتاها الرد من أحدهم:

- مستنين فريد أبو العزم

ترجّل مسعود وزوجته لداخل المطار بينما وصلت سيارة فريد،
علا الهتاف بمجرد وصوله وقد ارتدى فوق قميصه علم مصر،
الصحافة هنا تتابع عن كثب، وعارف كأب روحي هو من تحدث لهم
وقد اقتضب في كلماته قدر ما استطاع.

وضع مسعود حقائبه للتفتيش وما إن انتهى حتى نظر لدرة قبل
المرور من البوابة لإنهاء أوراقه.

"خلي بالك من البنات، في فلوس هتلاقيها في درج المكتب وأول
ما أقبض هبعثلك، ادعيلي يا درة".

شدّدت عندها على قبضة يده وجاهدت ألا تبكي وهي ترد: سبق
وقُلتك بطل تشيل المهم، ربنا هيدبرها، طمني عليك لما توصل ، ده
كل اللي يهمني.

- أنا بحبك قوي والله العظيم.

قالها وشدد عليها وسحب يده رغماً عنه والتفت راحلاً تتبعه
عينها في صمت، اتّجّه للبوابة وما إن التفت حتى أدرك أن درة قد
تاهت في الزحام ومع التفاتته والتدافع سقطت نظارته، وسط جموع
تسعى خلف فريد وجموع تسعى لحمايته، وما إن انحنى ليحلبها حتى
دعسها أحدهم بقدمه فتهشمت ولم يبال أو حتى يلتفت ليعتذر بل
أكمل سيره بجوار فريد دون مبالاة بما فعل.

"أنت أعمى ومش بتشوف".

وكلماته فرضت على عارف أن يلتفت مستغرباً، لكنه هز كتفيه
بلا مبالاة ولم يعره انتباهاً ورحلَ، ولولا النداء الأخير لطائرة الرياض
ما كان لمسعود أن يصعد للطائرة، وبجوار النافذة كانت النظرة
الأخيرة

"هنا القاهرة".

ولا يدري مسعود أهي نظرة عتاب أم شوق، أم هي بين الاثنين
حائرة.

وبالطائرة المتجهة للبنان كان عارف بجوار فريد، يطالع ذات
المدينة متسائلاً

هل ستصح التجربة؟

(6)

القاعدة السادسة

(أعد صياغة الثوابت وفق أهوائك، فإن لم
ينجح الخطأ يكفيك تلاشي الصواب).

حين يبدأ العرض احرص على جذب الألباب قدر استطاعتك،
اضرب الأرض بقدمك، حرّك كتفيك وذراعيك بتناغم مع وقع
أقدامك، بعدها ارفع يديك لأعلى، ثم ابدأ في القفز ثم توقف.
تصفيق تصفيق تصفيق.

"رقص الزومبا، غني الزومبا، عرض مبهر بل يزيد، صرخ أول
صفق ثان وهذا يشيد، عرض رائع، عرض ساحر، عرض شديد،
والآن اعلِّ بصوتك، كرر، اصرخ، اهتف:
"عايزين فريد، عايزين فريد، عايزين فريد".

أجواء فرضت على المطربة اللبنانية الوقوف والضغط على الزر
الذهبي فتعالى الصراخ، ثم تحركت لتصعد على المسرح، احتضنت
فريد، وقبّلته ثم عقّبت:

- عن جد بتاخذ العقل، ما توقعتك هيك، يا زلمة، فريد
وأنت فريد.

زاد التصفيق فحيا جمهوره بعدما حصل على الزر الذهبي، وقبله
ذهبية:

"اهي دي الستات بصحيح".

والتعقيب من عبد الشكور بعد تدقيق بفستانها الذهبي، فرض
على رنا التعليق:

- سمعك، والله وجياليك.

والهتاف من رنا الموجودة بالمطبخ فرض عليه تغير القناة لبرنامج
"مساء الأنوار" حقناً للدماء.

لكن بدا أن الليلة لن تمر بسلام كون كتري سألته عن أسباب
حواره الجانبي مع مدرستها أيتن باللحظة التي أتت فيها رنا لتجاوره
فابتسم وهو يتنحج وربت على كتف ابنته هاتفاً:

- حبايب بابي مش هيناموا ولا إيه؟

رمقته رنا بنظرة نارية فتمتم:

استر يا رب.

ثم سحبت الريموت من يده وأعدت برنامج المسابقات لتشاهد
نجم الموسم معقبة:

"هيسيسح".

فالتفت لها بصدمة كونها هائمة بذلك الوغد "فريد أبو العزم":

- أنا مش فاهم، فيه إيه زيادة عشان الشوده كله؟

- فيه أنه أرجل واحد في البلد دي.

- نعممم.

قالها مصدومًا فأكدت:

- شايف بيتصرف مع المطربة بتاعة لبنان إزاي؟

- دي تصرفات واحد سافل.

"هه"!

ضحكة هازئة فرضت عليه الضيق والغیظ لإدراكه أن زوجته باتت ترى الوقاحة والرجولة وجهين لعملة واحدة، فتركها وقد قرر حمل كتري وتيم إلى سريريتهما وقد وضع قبلة على جبين كل منهما، ومع تمسك كتري بوجوده إلى جوارها جلس شاردًا وقد شعر بأن رنا قد توجهت للنوم، أيعقل أنها صامتة رغم تفتيشها المتواصل بماتفه وكل أغراضه، ألن تسأله عن مكالمة أيتن فيخبرها أن ابنتهما بالحضانة منطوية وتتصرف بعدوانية، أو مكالمات لوللا فيخبرها أنه وافق على عرضها وأنه الآن يعمل معها!

هي موافقة أو هكذا يبدو، لذلك سيقنع عقله أن تهرّبها المتواصل منه خجل لأن الخطوبة لم تتم بشكل رسمي؛ لذلك حددوا الموعد وشددت هي على يوم الجمعة، والسبب صدم والدها، تتابع برنامج فريد الخميس ولا تريد تفويت الحلقة، وأمام حاسوبها شردت في أحد

فيديوهات فارس أحلامها، ولكن مَنْ هي لتقابل فريد أبو العزم أو
تراه عن قرب، أو يجيها أو حتى يُعجب بها.
"الروايات نقرأها آه، نصدقها لأ".

والجملة من الدكتور بغداددي لابنته التي احتضنها، فكري
واستخيري في موضوع بشير، بدون تسرع، لكنها حسمت الموقف
بالرفض، فبشير أبعد ما يكون عن طموحاتها.

والتدخل كان للدكتور شكري صديق والدها وهو يضع صبا
أمام الحقيقة المرّة:

"كانسر وفي المراحل الأخيرة، ده غير إن باباك رافض العلاج".

وأمام ذات المرض سَتُعاد الكرّة، ستقف صبا عاجزة لا تملك
حيلة إلا دموعها، ففقدت والدتها والآن والدها!

ولكي ترضيه وافقت وادعت أنها سعيدة لتساعده، وتم الإعداد
للخطبة وقرر بغداددي أن تكون بالحلمية.

قرار أزعج بشير خشية أن تتضايق صبا وتفترض فيه البخل ورغم
حرصه على رضاها، قلبها لم يخفق له بل شاءت الأقدار وخفق
لغيره... فريد.

وها هي الحلقة الجديدة ولن تنسى صبا متابعتها، صعدَ فريد على
المسرح وسط تصفيق حاد، وقد بدأ صوت الموسيقى في الخلفية،
تجاوره موديل وقد بدأ رقصه.

خطوة لليمين توازيها أخرى لليساار، ممسكاً بيدها لتدور، يبعدها
يقربها وتكاد تتلامس شفاههما ثم تتباعد ثم تعاد الكرة، يحتضنها يحملها
ويدور بها وهي بين يديه، حتى بالنهاية تقف فوق كتفيه.

تصفيق تصفيق تصفيق.

"رقص التانجو، غني التانجو، عرض مبهر بل ويزيد، صرخ أول
صفق ثانٍ وهذا يشيد، عرض رائع، عرض ساحر، عرض شديد،
اصرخ اهتف من جديد:

"عايزين فريد، عايزين فريد، عايزين فريد".

- لو فاز هياخد مليون دولار.

قالتها اعتماد مع مصمصمة شفيتها ليرد إسماعيل:

- ما إحنا فلوسنا كثير مش عارفين نوديهها فين.

ترك بشير كي بدلة عرسه والنفث ليطالع الشاشة موجهًا تعقيبه
لجده:

- طيب اوعى تتريق عليه قدام صبا أحسن تزعل.

وتعليقه فرض الضيق على اعتماد فمطت شفيتها وكادت أن
تعقب إلا أن نظرة إسماعيل النارية أجمتها فصمتت وهي تحدد:

- أنا رايحة أعمل شاي.

- أحسن برضو.

قالها إسماعيل ثم تابع الحلقة وأردف:

- بقى ده هياخد مليون دولار، ده دعيس يوم ما كنت اتمعظم
كنت.....

"دعيس"؟

وكلاهما هتف بما وقد حدقا إلى الشاشة، ثم حدقا إلى بعضهما
البعض ثم عادا ليحدقا إليه:

- مش ده دعيس؟

- لا طبعاً، ده بيقى أخو الدكتور ده اللي.....

- بتاع القرد.

وكلاهما ملاءه الاستغراب حد تعقيب إسماعيل وقد رفع حاجبه من
فرط الدهشة:

- عارف.

"تاني تاني تاني".

أخفض رأسه إجلالاً لتقدير المتابعين وقد ترققت عيناه بالدموع
وما إن تأكد أن وجهه سيبدو باكياً حتى رفعه وهو يضم يده اليمنى
فوق قلبه ثم أشار بما إليهم فزاد هتافهم، كل لجنة التحكيم قد تأثرت
والموقف بات محموماً بالمشاعر، فاقترب من الميكروفون وقرر

التحدث عن العظيم الذي كان سبباً في نجاحه ودعمه، وعندها حانت لحظة صعود عارف على المسرح، وقد اقترب منه فريد مقررًا الانحناء حد قرار تقبيل قدمه، والتصفيق بات اللغة العليا والدموع ما عاد أحد يملك القدرة على السيطرة عليها، فمنع عارف رأسه من الانحناء، ثم دفعه إلى صدره بحنان أبوي مفرط، بكى فريد، بكى عارف، وبكت لجنة التحكيم.

وحين عرضت هذه الحلقة على التلفزيون بكى المشاهدون جميعًا.

ليس كل ما تربيينا عليه صوابًا، وليس كله خطأً لكن الكارثي بحق أن يتشوش كلاهما بمرور الزمن، علمونا بالمدارس أنه إن تذاكر، تنجح، وإن تجتهد تجد، وهو الآن بات أمام الحقيقة العارية، ذاكر، تفوق، كد، كدح والنتيجة بلح.

وصراخه كان ملء السمع، المهندس المصري القادم منذ أيام يشير الشعب.

– أقسم بري أنا هنا يا قاتل يا مقتول، يا إما العقد اللي اتفقنا عليه من مصر يا إما والله هطريقها على دماغتكم.

قالها وهو يسحب كفيله من جلبابه ويجره، وأمام شعوره بالمهانة أمام عماله دفع بمسعود عنه وما إن عاود الوقوف قبالته حتى صفعه، ثم زعق فيه:

- كل تب، كل هوووا، أجولها لك بالمصري حجك، أعلى ما في خيلك اركبه.

قالها وأولاه ظهره منتظرًا من مسعود الخروج، ولكن إلى أين؛ إلى السكن الجماعي الذي وجد نفسه فيه بعدما كان الاتفاق على سكن مستقل، إلى الرضا والقبول بالعمل المؤقت كعامل لأنهم بحاجة إلى عمال لا مهندسين، بل المرتب المبتور نصفه لأنه لم يعد المهندس، كل الأحلام تماوت لا بل انهارت، ثم اكتمل المشهد بمهانة:
"عجيبك تعيش عجيبك مش عجيبك هويانا".

"خلاص يا مسعود، اعتذرله وبوس رأسه وهو هيسامحك، وكل عيش يا أخي".

والجمل كانت من حوله تتناثر من بعض الموجودين بمكتب الكفيل وقد أرادوا التدخل لمساعدته، لكنه شارد صامت واجم ويده مكان الصفحة.

لم طافت كل الذكريات الميرة على عقله الآن؟
دقيقة، اثنتان، ثلاث، ثم صوت صفعات توالى والتعقيب خرج من مسعود لكفيله متحديًا:
- قلمين قصاد قلم.

وتعالى الزرغاريد لتسمع كل الحلمية، أن اثنين من أبنائها باتا
اليوم عروسين، حسن بجوار مها وبشير بجوار صبا.

فرح شعبي بالحلمية، بمواصفات أبعد ما تكون عن حالمية صبا،
وها هو صاحب المقهى يقف لتحية أبناء منطقته. أجواء فرضت على
عيسوي الذي أتى لتوه الضحك، وقد اتجه ناحية إسماعيل ليصافحه،
وبجواره كانت والدته لا تباي إلا بالنظر باتجاه كل البنات والسيدات
علها تجد لابنها العروسة المنتظرة.

- بتدوري على حاجة يا هانم؟

"هانم"؟

والجملة فرضت على مشيرة الالتفاف لإسماعيل وتحيته وقد
أسعدتها الكلمة، يُعرف بعدها إسماعيل نفسه بل يسعى لفتح حوار
معها فلم يملك عيسوي إلا أن يسعل وهو يعقب:

- إحنا مش هنقعد ولا ايه يا حاج إسماعيل

- ما تقعد يا ابني هو أنا ماسكك.

ثم أتت إشارته لمشيرة للتوجه ناحية بناته وتجلس إلى جوارهن،
وحانت لحظة خاصة بإسماعيل حين صعد على المسرح الخشبي،
سيثبت للجميع أنه قادر على التخلي عن عصاه بل الرقص بها أيضاً،
إسماعيل لا يزال بعزّ شبابه، بل يعيد أيام الشقاوة، رقص بعصاه وبعد
دقيقة جاوره بشير، وحسن ثم عيسوي، وأخيراً عبد الشكور.

"شوية رقص بربع مليون جنيه، حد يصورنا ويرفعها ع البيوتيوب بقى".

والتعقيب من إسماعيل فرض عليهم الضحك وهو يكمل:
- وأزعق وأقول: "إحنا في زمن الهلس".

والهلس إلى جوار المحن بالقرب من السهوكة حد المحلسة على ما يبدو قد باتوا أطراف المعادلة.

تم رفض عيسوي والعريس الذي تلاه، ومن ثم تقدّم حسام لشحن وتمت الموافقة، زميلها بالعبادة التي تعمل بها والتي يملكها والده وأغلب الاتفاقات المادية راقت لفاطمة.

ولم تملك شحن إلا التظاهر بالموافقة لترتاح من إلحاح والدتها مقررّة أنه بأقرب فرصة سيلحق حسام بمن سبقه.

وعيسوي عرف منذ اليوم الأول، من منشور كتبه حسام بصفحته لتغيير الحالة لتكون:

شحن المصري in relationship with

وانهالت التبريكات من أقارب وأصدقاء وفلورز.

وكان المنشور هو مجرد بداية لما أتى بعده.

فباليوم التالي كان من نصيبها tag وعدة صور لمصوغات ذهبية وسؤال لمتابعي الصفحة عن أفضل جواهرجي، لتدرك عندها أنها هي من ستموت كمدًا من تصرفاته وهو العاشق لاستعراض تفاصيل حياته على الفيس بوك، ومشاركة الجميع كل ما ينشر، وها هو منشور جديد يضعه ولن ينسى مشاركة شجن.

"المتسابق الأقرب للفوز يتحرش بالمطربة اللبنانية".

"مصيبة، كارثة، فضيحة".

ومعها انقلبت مواقع التواصل الاجتماعي، وتولى الجميع أمر الدفاع عنه، وصبا كانت أولهم، بل لقد وصل الأمر لدعوات بتدخل السفير المصري لحل الأزمة.

"سمعة مصر من سمعة فريد، وأي إساءة لنجم مصر هي إساءة لكل المصريين".

وحمداً لله؛ فلقد وعد السفير المصري بأنه بالفعل سيتدخل.

"ابقى قابلني لو حد من السفارة عمملك حاجة، آخرك هتترحل وعمرك ما هتقدر تشتغل في السعودية مرة ثانية".

"في حد يضرب كفيله، كويس أنه مقتلكش، ولو جت ع الترحيل يبقى كده محمد ربنا وتسكت".

وما زالت الآراء ذاتها تتناثر من حول مسعود، وهو يهتف فيهم بسؤال أين حقي، والإجابة عن سؤاله بسؤال عن أي حقوق تسأل.

والقنصلية بدورها قررت عقد مؤتمرًا صحفياً، واجتمع الصحفيون وتحدث أحد ممثلي البعثة الدبلوماسية:

"فريد بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب، فريد محترم ولم يخطئ".

وتصريحات المطربة بدورها برأته، ليرتاح أتراس النجم الصاعد كونه لا يزال بالمسابقة.

وأما عن مسعود فقد خرج من السكن الجماعي مُقررًا البحث عن أقرب سيارة لينجيه بما لقنصلية مصر بالرياض، لكن ثمة سيارة أخرى كانت تنتظره، انطلقت مسرعة واجتاحته بطريقها وعلى جانب الطريق كان غارقاً بدمه.

وبصباح اليوم التالي كانت المانشئات الرئيسية بكل الجرائد عنونها:

"الأسطورة المصري لن يرحل".

وخبير جانبي بجريدة هامشية:

"قصة جديدة من قصص دهس المصريين بالخارج والسبب مشاجرة".

(7)

القاعدة السابعة

(لكل فعل ورد فعل جمهور، لن يرى فيه
الاستثناء إلا عند استفزاز من اعتاد المتابعة
في صمت).

ورغم التبرئة خسر المسابقة، والعجب كل العجب يكمن فإن هذا ما أراده عارف، قدّم فريد عرضه الأخير وخسر وبكى، وانسحب تاركًا المسرح خلفه، وأداؤه مثالي للحد الذي فرض على مواقع التواصل الاجتماعي أن تنقلب لتوازر من خسر، والتأكيد بأن ما حدث مؤامرة، ودعوات باستقبال حافل بمطار القاهرة لدعمه وقد استجاب كثير، مشهد فرض على فريد الدهول وعلى عارف الابتسامة، اخسر كل شيء واكسب "التعاطف".

وآه من التعاطف الأيقونة الأخطر، فأمامه ستُدفع للتصرف بقلبك لا عقلك.

وأيتن كآخريين انصهرت بالزحام تتابع بجزن مجريات الأمر، إلى أين سيأخذنا ذلك الرجل الغامض وزوجته وأخوه؟

حتى اقتطعها صوت هاتفها ليأتيها اتصال من بغدادي لتحديد موعدٍ للمقابلة من أجل رسالتها للماجستير.

وما إن أغلق الهاتف حتى طالع التلفاز ليتابع لحظة وصول فريد
للمطار والحزن يأكل قلبه لأن صبا بالتأكيد موجودة بالصفوف
الأولى

غادر لمحاضراته ثم عاد لمكتبه، وكانت أيتن بانتظاره، قامت بتعريف
نفسها، تعمل مدرسة بحضانة رغم تخرجها من كلية الإعلام،
والسبب؟

- محدش بيتخرج ويشتغل بكليته، نفسي أكون صحفية بس
حضرتك عارف مفيش شغل في جريدة كويسة إلا بالوسايط.
ورغم ذلك تتمسك بأمل أن الفرصة قد تسنح مع الدراسات
العليا.

- وليه اختارتي دكتور بغدادي أيوب، وليه اختارتي موضوع
الرسالة يكون عن "self-fulfilling prophecy"

- أنا كنت قرئت بحث لحضرتك في مكتبة الكلية، عن دور
الإعلام في تحديد اختيارات الناس وتوجههم، والحقيقة اخترت نظرية
التوقعات المحققة لذاكها بناءً عن بحث حضرتك، واللي فكرت فيه هو
الاستفادة من وظيفتي.

نظر باتجاهها ولا إرادياً قارن بينها وبين صبا بينما هي أكملت:

- وفق النظرية دي لو إحنا حطينا تنبؤات لجيل طالع في أي بلد أنه هيكون فاشل واديناله الميديا اللي تساعد على كده، هل ده معناه أن ممكن أرسم مستقبل دولة بحالها وأبدل هويتها 180 درجة.

سؤال استحق التأمل وفرض على بغداداي التفكير والربط، هل هذا ما يفكر به عارف أبو العزم:

- تحيي نبدأ من إمتي؟

- من دلوقتي لو أمكن.

- تمام، وأنا هساعدك بكل طاقتي لحد ما البحث ده يكمل ونوصل لإجابة سؤالك.

وأخيرا أطلت على شاشة التلفاز في لقاء استثنائي للخبرة التي استوقفت العقول، نانسي أبو العزم ضيفة ببرامج "الدنيا كده" وقد انهالت الاتصالات على الحلقة والكل يريد أن ينهل من علمها، ما الذي ينبغي على كل زوجة فعله؟

"عجيب أمركن أيتها المصريات، تتزوجن رجالاً لا يستحقون العشرة ثم تتأففن، ثقفن بأنفسكن أنتن تستحقن الأفضل قومي وقفي أمام المرأة وقولي بأعلى صوتك:

"أنا أستحق الأفضل".

وصوت رنا وهي تمتمف بذات الجملة فرض عليه أن يستيقظ وهو يضرب كفاً بكف على حال زوجته التي اقتربت من الجنون الرسمي:

"أنا أستحق الأفضل".

- ربنا يهديك يا رنا.

- أنا أستحق الأفضل.

- آخر عشرين جنية في الحفظة تأخديهم؟

- أنا أستحق الأفضل.

وظلت ترددها بينما سألته كترى:

- هي ماما مالها؟

ولم يملك إجابة لابنته وقد أتنه مكاملة من لوللا فرضت عليه أن يخرج، مقابلة مع المخرج تريد منه حضورها للاتفاق على حملة إعلانات ستؤديها لمركز السراب لتحقيق الأحلام.

- وده جد ولا نصب.

- وإحنا مالنا، إحنا لينا أنه يدفع تكاليف الإعلانات أنا وأنت ولوللا نقبض، حلو لنفسه وحش لنفسه.

والإجابة منطقية جداً فرضت على عبد الشكور الصمت ليتابع بعدها المخرج:

- الجدة بقي منك تقنع لوللا توافق ع الفيلم اللي جايلها مع
فريد أبو العزم، الفيلم ده لو اتعمل هنتقل نقلة تانية خالص،
أنا قُلت للمنتج إن الموضوع في إيدك، قال لو عرف يقنعها له
عندي الحلاوة.

وطوال طريق عودته كان الحزن يورقه، بأي طريق وضع نفسه؛
وضيقه ازداد بعدما قرأ عدة صفحات من الفيلم الذي يحكي عن
قصة حياة بلطجي في حارة بالإضافة لعدة مشاهد ساخنة، هل حقًا
سيقنعها؟ نظر للمبلغ المالي الذي حظى به للتو بأسى ثم تابع طريقه،
متوجهًا لأقرب محطة بترين ليصدمه صوت لم يكن بحسابه:

"مسعود؟"

"أنت بتعمل إيه هنا؟"

والنظرة مكسورة بجوار دموع على ما يبدو تحجرت في عينه،
أشاح بعدها وجهه متجهًا حيث مكان مسدس البترين لملء سيارته
دون أن يتفوه بكلمة سوى:

- اتنين وخمسين جنيه.

نزل عبد الشكور ليجاوره وسأل بقلق:

- طيب احكي لي إيه اللي حصل، إيه اللي عمل فيك كده وليه

بتعرج برجلك؟

أشاح بوجهه مؤكداً: أنا كويس يا أستاذ عبد الشكور، متقلقش

وأهني حواراه سريعاً وتركه مع حيرته، ومع انتهاء الوردية عاد لمزله، أخرج من كيسٍ يحمله سندويتش فول وأكله ثم وضع رأسه على الوسادة وأمنيةً عاليةً جداً تمنأها بداخله، أن يستيقظ ميتاً، عله ينسى كل ما جرى منذ سفره وحتى عودته، فحماته المصون كانت بانتظاره بالمطار متوعة بعدما عاد محملاً بخيبة الأمل، ولم تلمس له أي أعذار، بل راحت تهدده بخيار من اثنين إما أن يشتري شقة ويتمم وعوده لابنتها وإما الطلاق.

"يا فاشل".

أهت بما حوارها وتركته ورحلت وكأنه ينقصها، حتى درة لم تحاول رؤيته أو مهاتفته وكان موته وحياته عندها متساويان.

لتبديل حياته، فيقرر إظهار أسوأ ما فيه، ومع التحلي عن نفسك ستلتذ أكثر بسيجارة تلوكها بفمك، أو مدية تضعها في بنطالك إن كنت ستعمل بوردية ليلية، والاسم مهندس والتصرفات "بلطجي". وهكذا يكون أخذ الحقوق وإلا فلا.

ومنذ اللحظة الأولى اكتشف عمق الاختلاف بينهما، وكل مساعيه للتقرب منها تبوء بالفشل فيعود يجر أذيال خيبته، بينما كلما وقعت عينه على مها قدراً وجد أن حسن يتودّد لها وعلى ما يبدو هي سعيدة معه.

"ربنا يوفقك يا مها".

تمتم بما وهو جالس كعادته بسطح منزله بجوار أخص مزروعاته ليتفاجأ بمجيء عيسوي لمنزله، فهل فعلها إسماعيل؟

قرّر التودد لعيسوي لأنه معجب بوالدته؟ قرار صدمهم عندما صرح جده؛ أنه يريد الزواج وبأنه يراها مناسبة!

ظل بشير يطالع عيسوي مندهشاً حتى جلس بقربه وسأله:

– أنت كويس يا ابني؟

زاد استغراب بشير وعندها أكمل:

– جدك فضل يتحايل عليا آجي وقالي إنك متخانق مع صبا.

وقبل أن يرد ظهر إسماعيل ممسكاً بيده صينية تحمل أكواب الشاي بلبن ثم سأل بشير بشغفٍ مُصطنع:

– عامل إيه دلوقتي؟

هل يلعب إسماعيل الدنيئة؟

وقبل أي رد فعل وجد إسماعيل يجذبه من ذراعته ويتبعه به عن عيسوي مطالبًا إياه بمساعدته، الآن فهم، افتعل إسماعيل موقفًا يجلب به عيسوي لمزله عله يوطد علاقته بحفيده ومن ثمّ تسنح له فرصة لطلب يد والدته، وأمام رجاء إسماعيل لن يملك بشير إلا المساعدة.

– أنا هزل أجيلكم بقسماط مع الشاي اللي أنا عملته بإيدي.

قالها إسماعيل فسأل عيسوي:

– وأنت عرفت منين إني بحب الشاي بلبن والبقسماط.

– من صفحتك ع القيس بوك، ده أنا حتى بعثلك الآد، باسم

إسماعيل الفولالي.

وانفجر عيسوي في الضحك فعقب إسماعيل:

– في حاجة يا... يا عيسوي؟

– لا أبدًا يا عم فولالي، هفتح القيس وأقبله حالًا.

تركهما إسماعيل فقرر بشير التودد لضيفه فسأله:

– لقيت عروسة ولا لسة؟

تغيرت ملامح عيسوي للضيق وآثر الصمت متطلعًا للمكان من

حواله وعلق:

– حلو قوي بيتكم يا بشير.

قالها وقد بدأ يتحرك في المكان ثم أخرج هاتفه من جيبه لقبول طلب الصداقة فسأله بشير:

- إيه رأيك في جدو يا عيسوي؟

"شخص قذر حقير".

صرخ بما عيسوي ثم أكمل:

- إن ما وريتك يا حسام الكلب!

قالها وكسر أكواب الشاي ودفع بشير وهو يهتف:

- هقتله، والله لأقتله.

ثم ركضَ مُسرِعًا وبشير لحق به وهو لا يفهم ما الذي دهاه ولا حتى إسماعيل بدوره.

- طيب بس حصل إيه لكل ده.

والسؤال من بشير كان بلا إجابة وقد وجد نفسه خلف عيسوي فوق دراجته البخارية ليهتف عندها وقد انطلق:

- أبوس ايدك اقف، أنا عندي فوبيا من الموتوسكلات.

لكن فات أوان ما أراداه فبعيسوي لم يكن ليسمعه، وما إن وصل حتى استوقفه أن والد شجن قد سبقه وبالشارع كانت المشاجرة.

فما إن صممت شجن على الرفض بل وضع الجميع أمام قرارها حتى قام هو بنشر منشور ومعه صور لمخادئات جمعتهما، وقد تم تزييفها، مع خاتمة مفادها:

"بنت قدرة، الحمد لله إن ربنا نجاني منها".

ودون بيّنة شارك منشوره كثر وكان الطعن بسمعة شجن.

وما فكر به عبد الغفور هو بالضبط ما فكر به عيسوي، فثمة أشياء غير قابلة للتلاعب وعلى رأسها الأعراض، على الأقل إلى الآن عند بعض الرجال، فكان من نصيبه الضرب واللكم والصفع، وقد تكوّم حسام أرضاً بجوار حائط كان بشير قد استند عليه يحاول التماسك من شدة الدوار الذي أصابه، وقد زاد تقلُّص معدته فكاد يشير لحسام أن يتتعد إلا أن الوقت لم يسعفه فتلقّى حسام كل القيء فوق رأسه، هل اكتفى حسام؟

على ما يبدو أن الإجابة لا، كون طفل صغير كان يمر بجواره أراد أن يقضي حاجته فتبول فوقه.

والزريق كان بقسم الشرطة حيث والد حسام يتحدث للضابط:
- افتح محضر واثبت حالة حسام، وكل اللي اتعرضله حتى البيبي والترجيع.

- حالة إيه اللي أثبتتها بربخته دي، طلعهو برة الأوضة، ولا اقعد بيه في الحمام.

- يا حضرت....

- خلاص خلاص.

والإشارة من الضابط للعسكري بفتح المحضر، ثم الإشارة لبشير ليتقدم مجاورًا الضابط الذي سأله عن اسمه وعنوانه، وكاد يجيب لولا شعوره بالغثيان الذي ما لبث حتى فرض عليه القيء فوق المحضر ليهدف أحد العساكر عندها:

- يا باشا ده من ساعة ما جه وهو مغرق القسم.

وهيئته فرضت على عيسوي الاعتذار، بينما إسماعيل قد أتى وأحضر معه محامي الحلمية، فرصة وأتت على طبق من ذهب حين اختلى إسماعيل بعبد الغفور مقررًا فهم القصة برمتها وما إن أغلق المحضر حتى قرر التدخل وخارج القسم بادر بطلب يد شجن لعيسوي.

ولن ينكر عيسوي انبهاره بإسماعيل:

- أنت إزاي كده يا جدو؟

- تاني هيقولي يا جدو، طب والله...

- ما خلاص يا جدو.

قالها بشير ثم نظر لعيسوي وأكمل:

- وأنت كمان يا أخي متقولوش يا جدو، جدو بيتنرفز من كلمة جدو.

- هو زملكاوي ولا إيه؟

والاستفسار من عبد الغفور لم يجد له إجابة مع تأكيد بموعد جديد بمثل شجن وقد قرر مرافقتهم.

والدهشة كانت من نصيب بشر فسأل:

- وأنت هتروح معاهم بصفتك إيه؟

ولم يكن إسماعيل بحاجة إلى صفة، كونه قرر أنه سيكون ولي أمر عيسوي وممثلة والده.

صباح جديد بشركة الفيروز بدأ بزعيق فيروز بالمهندس الجديد الغبي كما اعتادت نعته، معاملة أيقن أنها الأسوأ فقرر تقديم استقالته، ومع مغادرته فكر عبد الشكور بإخبار فيروز بعودة مسعود، مسعود كان بالفعل كفؤًا وكفي أن الشركة قد كبرت على يده.

"نزلي إعلان، أما نشوف آخرتها".

زعقت بصبا ثم نظرت لعبد الشكور وقد بدت كالعادة عصبية، فراجع ولم يستطع إخبارها.

عاد لمكتبه وبطريقه كان عيسوي متجهًا لبشير فاستوقفه وبعد تردد عقب:

- في موضوع مهم يا عيسوي عايزكم فيه.

جمعهم مكتب بشير، وقد سرد عبد الشكور ما عنده ثم تطلع
لوجههم بسؤال:

- قُلتُم إيه، هنساعده ولا لا.

وأغلب الاختبارات الإنسانية قاسية، مسعود لم يكن أخًا أو
صديقًا هو مجرد زميل كانوا يرونه في بعض الأحيان متغطرًا، أحقًا
يستحق مسعود المساعدة؟

- طيب ما نجمع من بعض مبلغ ونديهوله، أصل موضوع نكلم
فيروز ده شبه مستحيل.

والكلام من بشير تبعه التعقيب من عيسوي:

- مسعود مستحيل يقبل مساعدة، بالعكس ده هيعتبرها إهانة
مننا.

ثم أكمل بوضوح:

- إحنا نقدر نتجمع إحنا الثلاثة زي ما قال عبد الشكور
ونحسسها أننا عايزينه يرجع، وهي محتاجة مهندس فعلًا فمسعود أولى
من الغريب، هه؟

- تفتكر فيروز ممكن توافق.

والسؤال من عبد الشكور كانت إجابته قاطعة من المتردد:

– مين دي اللي توافق دي غالبًا هتنفخنا، ده إذا خلطنا نكمل في الشركة.

ورغم القلق كان هناك رأيان ضد واحد، وبحكم الأغلبية توجهوا لمكتب فيروز، ليعلنوا طلباتهم، وعيسوي من تولى مهمة الطلب نيابة عنهم:

"خلصتوا؟"

والسؤال متهمكم وقد عقدت ذراعها أمام صدرها غاضبة ثم أردفت:

– عاملين رباطية أنتم الثلاثة، بتجتمعوا وتتفقوا وتاخذوا قرارات، وإيه كمان؟

– يا مدام فيرووووز...

– بس يا بشير.

والكلمات بُتت على لسانه لتكمل بعدها:

– اللي عايز يشتغل عندي هنا يشتغل زي ما أنا عايزة، واللي مش عاجبه يمشي.

- يا فندم إحنا شرحنالك ظروفه، ثم هو أولى بشغل الشركة،
والشركة محتاجاله.

- مش شركة الفيروز اللي تحتاج لحد يا عبد الشكور، الشركة
دي هي اللي بتضيف لكم مش أنتم اللي بتضيفوها، أنتم من غير
الشركة دي عواطلية، لا وظيفة ولا مرتب، ومصيركم من مصير
مسعود، ويا ريت تفهموا ده كويس، أنتم ولا حاجة من غير الشركة
دي.

وكادت تظن أنها أهدت كلامها، لكن رد عيسوي كان المؤكد أن
ثمة بداية أخرى ستفرض نفسها عليها، حين فرض ما قالته على
المتهور الرد على إهانتها:

- شركة ايه دي اللي بتضيفلنا وإحنا من غيرها ولا حاجة.

والزعيق من عيسوي فرض على ثلاثتهم الدهول، ولسان حال
عبد الشكور وبشير كان "اصمت" لكنه أكمل:

- حضرتك عارفة، إن الشركة محتاجة لضعف العمالة اللي فيها،
وعارفة أن كل ما فينا بيعمل شغل بمقام اتنين مش واحد، مرتب إيه
اللي حضرتك بتمني علينا بيه، ده حقنا وأقل من حقنا كمان،
حضرتك مش بتكرمي علينا، بالعكس أنت بتدينا مرتب أقل من
اللي نستحقه.

- اخرس يا عيسوي.

- خلاص يا عيسوي اتكتم بقى.

"سيبوه، وايه كمان يا عيسوي".

والزعقة من فيروز بصوت حاد ألجمت كليهما وفرضت على
عبد الشكور الزعيق به:

"اسكت بقى الله يخرب بيتك".

- لا مش هاسكت، الشركة دي من غيرنا ولا حاجة ومدام
فيروز عارفة كده كويس، ومن يوم ما مسعود مشى مش عارفين
نجيب حد مكانه، كل اللي بييجي مش بيستحمل يومين ويمشي، ولو
استميرنا ع الوضع الشركة اللي هتخسر.

والزعيق يواجهه زعيق حين ضربت فيروز مكتبها بيدها وهتفت:

- أنت إزاي تسمح لنفسك أنك تكلمني بالأسلوب ده، كل ده
عشان مسعود يرجع، طيب اعمل حسابك إن أنت وهما من اللحظة
دي برة الشركة وابقى خلي مسعود ينفعكم.

والقرار فرض الخوف على عبد الشكور وبشير فحاولا التهدة
علها تتراجع، فزاد زعيقها وهي تلعن وتسب حتى خرج الثلاثة من
مكتبها، وجملة واحدة تتمم بها عبد الشكور طول طريق عودته لمكتبه:

الله يجرب بيتك يا عيسوي، أنا أستاهل ضرب الجزمة، أنا مالي ومال مسعود ما يتحرق مسعود على بشر، ما تتحرقوا أنتم الثلاثة.
والصوت العالي منه فرض على عيسوي أن يركض وراءه ليهتف فيه:

– أنا مكش قصدي الأمور توصل لكده، هي اللي استفزتني لما أهانتنا.

– ما نتهان يا أخي، هي يعني جت عليها، يا فرحتي بكرامتي المحفوظة وأنا مش لاقى أأكل ولادي، ولا عارف أدفع مصاريهم، ولا أنت عشان مفيش وراك حد تقوم تضيعنا.

قالها وهوى لأقرب مقعد يسعى لبعض هدوء بينما بقايا دموع تتجمع في عينيه، وعندها اقترب منه بشر محاولاً تهدئته مُعقَّباً:

– هي متقدرش ترفدنا بالسهولة دي، لأنها مش هتقدر تجيب غيرنا بسرعة، خصوصاً أن معاد تسليم الوحدات قرب، ولو مسلمتهاش في معادها في شرط جزائي هتدفعه عن كل يوم تأخير، والغرامة كبيرة؟.

– ولما هو كده مقولتش الكلام ده قدامها ليه يا عم الفليسوف، خفت مش كده.

ولم يجب لأنها الحقيقة التي يخشى الاعتراف بها.

بينما فيروز بمكتبها تكاد تموت كمدًا، موظفوها تمردوا وثاروا من أجل عودة مسعود ولو نجحت ثورتهم قد يتبع ذلك المزيد من المطالب لأنهم أدركوا قوتهم.
"اللعنة"!

لأن ذلك المتهور قد أظهر حقيقة موقفها الضعيف من دون تعمُد، هي في أمس الحاجة لوجودهم وعلى رأسهم مسعود نفسه، لكن ماذا ستفعل لو أدركوا لحظة أنهم أقوى.
وبعد أن هدأت جمعيتهم وقررت:
- خلوا مسعود يجي يقابلني بكرة.

وثلاثتهم لم يكن يصدق حين خرجوا من مكتبها، هل نجحوا حين اتحدوا وكانوا على قلب رجل واحد أمامها، ودون الخوض في تفاصيل انطلقوا لمسعود يحملون له البشرى، بينما هي فكرت: هل من سبيل لكبحهم وترويضهم؟

(8)

القاعدة الثامنة

(لكل قاعدة شواذ، لكن لا أحد سيُعيرهم
الاهتمام حتى لو كانوا على الحق، لأن القلة لا
يعترف بها أحد).

اتجه للمترو يرمي نفسه على أقرب عمود معدني ليستند عليه،
زعق بزملائه الثلاثة، وحسم أمره هاتفاً: "لا أحتاج للشفقة أو
المساعدة"، استوقفه وجه لطفل صغير يحمله والده، فكادت تدمع
عيناه لذكرى درة وبنتيه، لكن تخليها عنه فرض عليه الجمود؛ هي لا
تستحق!

بات لا مبالياً، حتى صاحب الشقة حين أدرك ظروفه قرر أن
يكمل عليه بفرض مهلة شهر كي يبحث عن شقة غيرها، فماذا بقي؟
وكعادة كل يوم افترض أنه سيتناول طعامه وينام كمدًا، إلا أن
اليوم اختلف، صدمته رؤية درة جالسة على درجات السلم تجاورها
الطفلتان وحقيبة صغيرة بما بعض ملابسها وقد غفت.

— درة؟

واحتضنته فلم تجد منه سوى الجمود بمكانه ومطالعتها بغيظ، أهي
حيلمة منها لطلب الغفران، أم زيارة لتأكيد طلب الطلاق وكسره،
أولاها ظهره بمجرد دخوله دون النظر لها أو لبنتيه فوضعتهما على
الأريكة المقابلة لها، وقبل أن تتفوه بكلمة التفت إليها بزعيقه:

- جاية ليه يا درة، أنت مش طالبة الطلاق وقاعدة عند أهلك،
متخافيش ورقتك هتوصلك بمجرد ما أجمع فلوس المؤخر، عايزة إيه
تاني؟

صمت بعدما زفر ثم ظل يطالعها، كانت تبكي بلوعة غير قادرة
على الرد، لكنه لم يشعر حيالها بالشفقة، بل هو من يستحق الشفقة
على كل يوم مر كانت أعصابه تحترق؛ لأنه يُمني نفسه برؤيتها ولو
على سبيل المصادفة، اقتربت لتمسك بيده فنفضَ يده عنها وابتعد
فقررت هي الرد:

- قبل ما تظلمني اسمعني، مسعود أنا كنت في المستشفى منهارة لما
عرفت بالحادثة، وماما جمعت خلاني وعمامي بعد ما خرجت وقتلتهم
لازم نطلقها منه، بنتي مش هتعيش مع مسعود بعد الهاردة، أخذت
مني مفتاح الشقة وتليفوني وقالتلي هو بايع وما صدق وعايز يطلق،
حتى البنات أنت محاولتش تشوفهم.

- أمك رفضت يا درة، وأنت بعيتيني
- قُلتلك أنا كنت لوحدي قصادهم، يا أخسرك يا أخسرهم.
وأنت كلماتنا منهارة وقد زاد بكاؤها، وهوت لأقرب مقعد
تدفن وجهها بين يديها، وأمام حالتها كان رده:

- وأنا ميخلصنيش إنك تخسري أهلك عشان خاطري.
جملة فرضت عليها أن ترفع وجهها لتطالع وجهه بذهول وهي
تعقب:

- ده كل اللي عندك.

- إحنا اللي بينا خلص، سيبك من الحب والكلام الفارغ ده وشوفي مصلحتك.

قالها وأولاها ظهره ليشعل سيجارة، وقد قرّر التحدث بنبرة باردة وغير مبالية:

- إحنا مش أول ولا آخر اتنين يطلقوا، وحقوقك هتوصلك.

ولم يملك الاستطاعة بإضافة كلمة واحدة فصمت، فأدركت أن عليها الرحيل.

إلا أن صوت بكاء حور فرض نفسه، طفلتها جائعة والأخرى بدورها استيقظت وعندها سألت:

- ممكن بس أحضر للبنات رضعتهم وبعدها أنزل.
- ممكن.

قالها واتجه لغرفة مكتبه صافعاً باهما خلفه، دقيقة أخرى إلى جوارها وبعدها سير جوها باكيًا كطفل يخشى رحيل والدته وهذا لا يليق به،

بعد دقيقة مرت كدهر انفتح باب الشقة وأغلق؟

رحلت؟

فخرج مُسرِعًا يقف بوسط الصالة هاتفًا بأنين:

- درة.

ليلتفت على صوت حور ومن ثمّ صوت درة وقد خرجت من

المطبخ معقبة:

- كنت ناسية الشنطة اللي فيها حاجتهم ففتحت جيبتها.
واللعنة على الجمود والكبرياء والتظاهر بما ليس في قلوبنا، ودون
مقدمات وجدته يسحبها من ذراعيها ليضمها دافئاً رأسها في صدره
وقد أرخى رأسه على كتفها، دون عتاب أو لوم.

ساد الصمت حتى قالت:

- بلاش تتخلى عني يا مسعود.
- ومين قالك إني أقدر، أنا بس خايف أظلمك معايا.
- الظلم الحقيقي أننا نسمح لحد يفرقنا.
- هتستحملي معايا اللي جاي؟
- أيوة، لأني مهما حصل بجبك.
- تأكيد كان في أمس الحاجة إليه، وقد أعاد له الحياة مرة أخرى.

ليلة سعيدة بجوار زوجته وطيف أمل لاح في الأفق فقرّر معه
العودة لشركة الفيروز، وصوت مدبولي وهو يهتف باسمه فرض على
البقية الهرولة لرؤيته.

عاد مسعود لموقعه، وانتصرت إرادتهم وعاد الرباعي البغيض
لقواعده.

اجتمعت بهم فيروز بمكتبها وقد حددت لمسعود مهمة إن لم
ينجزها بثلاثة أيام ستطرده.

ورغم التحدي نجح، عمل مجدُّ بل أصلح أخطاء المهندس الذي سبقه، وفي اليوم الرابع كان اجتماعهم؛ وبشير من أدار الحوار يسرد النجاحات ويشرح لفيروز أن كل أخبار اليوم سارة، فكان هذا هو الخبر الأسوأ.

نجحوا!

ولكي تنفادي ضجرهم تم إلهأؤهم بمكافأة، وحين خرجوا زاد غيظها، فموظفوها خرجوا عن السيطرة أو بالأحرى، ما عاد يمتلك الديكتاتور سبباً ليزعق.

"مركز السراب لتحقيق الأحلام".

على مشارف الخامسة مساءً كانت الاستعدادات لتصوير الإعلان وكالعادة لا يوجد أفضل من لوللا حين ترتدي جلباباً فضياً مُرصعاً بالترتر، مزوداً بفتحة طويلة من الجانبين تكاد تصل لخصرها، وموقع التصوير بات أشبه بسطح بناية عشوائية، أمامها قارورة بلاستيكية كبيرة يوجد بها قطع ملابس والإيجاء بأنما تنظفها، بجوارها عدة فتيات هي تنوسطهم لتغني، والمتوقع أغنيه لنانسي عجرم، والمسموع أغنية أخرى أكثر شعبية.

وسر المهنة:

"اكسر توقعاتهم"

"وياني ياني ياني وهاروح لنانسي تاني"

عليهم أن يمدقوا إليها إلا واحدًا ظل شارداً يطالعه هيثم بغيظ كونه قال رأيه بصراحة بالفيلم فرفضت بدورها لوللا، فكانت تمتمة هيثم وهو يطالعه:

- دورك جاي يا شيكو، ويا أنا يا أنت.

إعلانات بالتلفاز وأغنية باتت نغمة للهواتف المحمولة، بجوار محاضرة ذات اسم براق "القيادة الاستثنائية"، والمكان "جامعة القاهرة".

"إزاي تكون قيادي مش بس لنفسك، لا ده أنت ممكن تقود أي حد حواليك".

وصبا من قالت لفيروز وقد قررتا الحضور بجوار الآف وقد بات عارف، رمز النجاح والوعي والتقدم.

اتجه الدكتور بغدادى لمحاضرتة ليجد المدرج شبه فارغ إلا من قلة قليلة.

- أنتم بتعملوا إيه هنا؟

- منتظرين محاضرة حضرتك يا دكتور.

- محاضرة مين يا ابني، كل سنة وأنت طيب.

والنظرة كانت حائرة من بغدادى لطلابه، أحقاً لم يعد هناك فائدة؟ صمت ثم نظر لعيونهم، ولم يدر ما يقوله، فلا مهزلة توازي تعييبك بالحديث عن الوعي، لا غسيل مُخَّ يضاهي تشويش كل

"وقوفكم نقمة".

"فكروا أرجوكم فكروا".

"اطلقوا زمام أفكاركم بدون قيود أو ضوابط".

"مش كل المنق من الكلام يستاهل، أوقات كثير بتكون

الشعارات خديعة".

"الخديعة أن أحطلك حدود والكون بكل اتساعه قابل لتطويعك،

إني أحجم قدراتك المطلقة تحت دعوات القانون أو الشريعة، أنت

تقدر ودي أعظم حكمة لازم يدركها كل واحد فينا".

والتصفيق كادت تدمي معه أيديهم، ومن سيملك القدرة على

منافسته وهو صاحب المعرفة والعزيمة.

ومع نهاية المحاضرة خرج عارف يتبعه جمهوره، وخرج بغدادي

يتبعه طلابه، والأول حذق إلى الثاني وكان ليكون التحدي لولا ظهور

صبا بالصورة ليدرك بغدادي أنا معركته الأولى ينبغي أن تكون

"ابنته".

ومع تلاشي التزاحم تحركت هي حتى وقفت أمام سيارة عارف،

سعت للتعارف، وتبادل أرقام الهواتف، وبالأخير عرضت عرض

سيفرض على عارف التفكير فيه:

- تأخذ المبلغ اللي أنت عايزه مقابل تعلمني إزاي أسيطر على

موظفين شركتي.

والفكرة براقعة، عدد من البشر سيدفع له المال في مقابل أن يكونوا فتران التجربة:

- تجي نبدأ من إمتي؟

- بكرة لو تحب.

أخرجت الكارت الخاص بما ومنحته إياه ورحلت فقراه:

"فيروز عز".

"شركة الفيروز للاستثمار العقاري".

(9)

القاعدة التاسعة

(لا تكن الغاية ولا تكن الهدف، بل كن
الغاية والهدف والوسيلة الوحيدة لأي إنجاز
مُنْتَظَر).

كان إلى جوارها مُبتسماً بينما هي شاردة، لو عادت والدتها سينقلب كل شيء للأسوأ، نظرت لمسعود فابتسم فوجودها هو رمانة الميزان بحياته ولكن هل فرحته بعدما عاد لعمله ستكتمل، هل ستتركهما عطيات مجاهم؟

وطرقها على الباب حمل الإجابة عن سؤاله، تجمع حولها الجيران بينما أسرع مسعود لفتح الباب وهيأته كانت كفيلة لإخبارها أنها أتت بالتوقيت الخطأ، دفعته للدخول واتجهت لغرفة النوم بينما الجيران يتبعونها لإرواء فضولهم، زعق وهو يدفعهم مغلقاً بابه، بينما عطيات جلبت درة من شعرها تكيل لها نصيبها من السباب:

- بتعصي كلامي يا درة بتنصفيه عليا.

- كفاية فضايح بقى.

- فضايح أنت لسة شوفت فضايح، لاقيتني سافرت ادخلت وأخذتها، وربي وما أعبد يا ابن نعمة لأفرجك وانهاردة قبل بكرة هتكون مطلقةها.

- مش هطلق وأعلى ما في خيلكم اركبوه.

قالها بكل ما نبع من داخله من غيظ، بينما درة وقفت خلفه وقد تشبث بكتفه تبكي، أدركت عطيات عناده وتمسكه بابنتها فقررت الضغط بالوسيلة الأسوأ "إهانته"، عايرته بفشله وعجزه عن توفير احتياجاتهم، أوجعته بأن صاحب الشقة سيطرده، وخلطت كل جملة بسبة ولم تصمت إلا عندما استشعرت أنها أجهزت على كل ما بقي من كرامته ورجولته.

صَمَّ يده بقوة واصطكت أسنانه ببعضها البعض من حريق ناشب بداخله، لو لم تكن أم زوجته لدفعت الثمن حياتها.

ولأنه لا يريد أن تكون هذه النهاية، تركهما واتجه لمكتبه وأغلق بابيه بينما أصرت عطيات أن تجمع درة ملابسها لترحل معها.

أخرج علبة السجائر لينفث فيها غيظه، ولم يدر كم سيجارة حرق إلا عندما وجد علبة سجائره فارغة.

فطواها وقذفها أرضاً مقررًا بعدها الدفع بكل محتويات الغرفة وتهشيمها، لتظهر عندها مدينته، تلك التي كان يحتفظ بها في جيبه عندما كان عاملاً بمحطة البيترين، خرج ليجدها جالسة على إحدى الأرائك دون حراك، وما إن ظهر حتى وقفت أمامه ترحوه:

– مسعود قول حاجة، أرجوك.

– امشي يا درة، خدي البنات وامشي.

صمت دهرًا ونطق كفرًا، هل انتهى كل شيء الآن؟

شعرت به لا يُبالي فقالت بكبرياء:

- تطلقني ودلوقتي.

وجملتها نزلت عليه كالصاعقة، ألا تعلم أنه لو كان يملك شيئاً لفعله، يخشى أن يطلب منها الانتظار فتعانده الظروف، فيجد نفسه وأثائه بالشارع، قد يقبلها على نفسه، لكن هي وبنتيه...

ظلّ صامتاً يطالها بقلة حيلة حتى عادت لتؤكد:

- طلقني يا مسعود.

"ما تطلقها يا تلم طلقها".

وها هي حماته تطرق الحديد وهو ساخن، عليها تحصل على غرضها، زاد سبابها، زاد زعيقها ثم تلاشى كل شيء من حوله، باستثناء دموع درة وحرارة شفتي عطيات.

"قوليلها تسكت".

زعق بها وكررها ولكنها لن تمنحه أهمية حتى اشتعل غضبه، وفي لحظة لا يدري كيف بدأت كانت المدية مفتوحة ونصلها فوق عنق عطيات وقد أحكم قبضته على كتفها اليسرى وألصق جسدها بالحائط فشبهت رعباً بينما صرخت درة كي تبعده، لكنه ما عاد يسمع بل تدفقت الكلمات من لسانه وهو ينظر لها بجدة:

- عايزة بنتك تطلق يا عطيات؟

"مسعود أنت التجننت، أبعد إيدك عن ماما، أنت سامع أنا بقولك

إيه؟"

والصراخ من درة كان مع محاولة دفعه إلا أنه هو من دفعها بعيداً
بينما عطيات ترتجف وهي تشعر بالنصل الحاد يكاد ينغرس في عنقها،
حد قطرة من دمانها قد سالت فوق يده، لم تكن تدرك وهي تحضر
شياطين مسعود بأنها أول من سيعجز عن صرفهم كونه أكمل زعيقه:
مش هطلق، فاهمة؟
- فاهمة.

- وعازيك تروحي تحضري الغدا، وأوضة درة عشان أنا هقعده
معاك يا حماتي لحد ما أعرف أدبر مكان، مفهوم؟
وما إن رفع يده عنها حتى أجابت بخوف:
- بيتك ومطرحك يا أخويا.

قالتها فتركها فخرجت مسرعة ولم تستطع درة حتى النظر إليه
وقد غادرت خلفها لتتركه وهو يطالع المدينة بأسى، وقد أخرجوا
أسوأ ما فيه رغم أنفه.

طالع قصر المنتج بكل استغراب، قطع كثيرة ليست متناغمة من
الأثاث والتحف لكن المشترك بينهم غلو ثمنها، وحتى هو نفسه كان
مظهره مثل قصره، يزفر دخان سيجاره الغالي وهو يطالع لوللا وهيثم
وعبد الشكور وقد خصَّ الأخير بنظرة غيظ كونه تسبَّب في رفض
لوللا للفيلم، وحين بدأت المناقشات هتف في هيثم وقد أبدى ضيقه
من كثرة اعتراضات لوللا:

- ما تقولها حاجة يا هيثم، إزاي أحذف مشهد الاغتصاب ده
أهم مشهد، دي الناس يمكن متدخلوش إلا عشانه، ويا سلام بقى لو
هيثم يتزل في الإعلان الواد البلطجي وهو يقطعلك الفستان!

قالها بتيجح وهو يغمز بعينه ويضغط على شفتيه ففرض على عبد
الشكور أن يضرب يده بالمنضدة بفوط غيظ وهو يهتف:

- يعني هو مفيش حاجة أحسن من كده تبدأ بيها، الفيلم مقرف
جدًا، بلطجة وضرب واغتصاب، أصلًا كفاية اسمه.

تعقيب فرض على المنتج أن ينظر لعبد الشكور بغضب ويكمل:
- ماله اسمه بقى، ده حتى فيلم كله استوعاظ، ولا أنت عايز حاجة
عميقة، بعدين ما أحمد زكي عمل حسن اللول، إيه يعني أما فريد
يعمل توتو اللول، طالما هادف.

وقبل أن يُعقَّب قرر أن يؤكد:

- الفيلم عايز يقول أن أي واد توتو ممكن يبقى جواه لول.

- الله عليك يا معلم عتريس... يا معلم باسم، هو ده الكلام،
إحنا فعلا مفتقدين الأفلام الهادفة دي.

- مستر باسم، خلاص ربنا تاب علينا من المعلمة يا سي هيثم.

ولم يُعقَّب عبد الشكور بأكثر من زفرة وآثر الصمت، استشعر
عندها هيثم أن لوللا لا محالة سترفض، فقرر تنفيذ خطته البديلة،
اصطنع أنه يشيح بيده، فدفع إبريق الشاي الصيني الذي كان يتوسط
المنضدة المقابلة لهم لينسكب بكل ما به فوق ملابس عبد الشكور

وما إن وصلا حتى جلبت أولادها من عند جارقتها واتجهت لشقتها، أخرجت حقيبة كبيرة وبدأت تضع فيها ملابسها، مشهد اعتادت كترتي رؤيته آلاف المرات حتى باتت تألفه، لكن هذه المرة كانت تشعر صدقًا بالخوف ولا تدري سببه، فوالدها واجمة غاضبة تقذف بالملابس دون أن تتفوه بكلمة ووالدها يقف على باب الغرفة يطالعهما بغیظ، يجاهد كبج ثورة تسعى للطفو لكنه يخشى نتائجها.

تحركت لتخرج من الغرفة لكنه منعها وجذب الحقيبة من يدها وقذفها ليتناثر ما بها أرضًا، عندها تبادل الاثنان نظرات نارية فرضت على كترتي الخوف، فهي لم تنتج لغرفتها كما فعل أخوها الأصغر، بل شعرت أنها يجب أن تعرف ما الأمر وعندها هتفت بخوف:

– هو في إيه؟

وبكت وقد زاد خوفها، طفولتها لم تسمح لها بعد أن تدرك أن الكبار عند الغضب عميان، ولم يستوعب والدها حاجتها للطمأننة، جذبها من ذراعها ودفعتها لتجلس على سريرها ثم زعق فيها وفي أخوها ليلزما غرفتهما صافعًا الباب خلفه.

ثم عاد لرنا مغلقة باب غرفتهما وقد جذب ذراعها وزعق:

– إيه اللي وداكي فيلا باسم الصافي.

– وكمان ليك عين تتكلم بعد ما شوفتك معاها.

وصوتهما كان عاليًا بما يكفي ليخترق غرفة الطفلين، لكنهما لم يدركا هذا، بل زاد زعيق عبد الشكور وهو يعيد السؤال ليفهم وهي

قالت ما توقعه، خطَّط هيثم ليعده، فأعد فخًا لزوجته وقعت فيه دون لحظة تفكير واحدة، والآن تصرخ فيه وتسب أخلاقه وأنه على علاقة بتلك الحقيبة الساقطة.

وفي لحظة فارقة لا يدري كيف بدأت هوت يده فوق وجهها بأقصى صفة، والشهقة لم تكن منها بل من كتري التي فتحت الباب عنوة لترى والدها يضرب والدتها، وخط رفيع من الدماء انخرط من شفقي رنا، بينما نزلت دموعها بلوعة:

– كل ده عشان لوللا.

قالتها بينما جرت كتري واختبأت في رنا تبكي أكثر منها وتُعقَّب: – خيلينا نمشي ونسيبه ده وحش وبيضربنا.

وجملتها كانت الصفة الأشد لعقله، استفاق لينظر ليده ثم لرنا وآثار أصابعه على وجهها ثم لابنته التي تبكي همستيرا وقد ضمتها رنا لصدرها وبكت بدورها، وقف بمكانه منكس الرأس ينقل بصره بين يده وبينهما بصدمة أكبر.

ولن تصدق أن الدافع كان غيرة وخوف من ذهابها إلى هناك ولكنه هو من فتح الباب للتعامل معهم، يوم وافق أن يكون مدير أعمال لوللا، يوم قرر ألا يخبر زوجته.

جاورهما يسعى لتخفيف حدة الموقف، وضع يده فوق رأس رنا ويمسح عليها فدفعتته وهي تمثف:

– متلمسنيش.

ففكر في همدئة كترى فسحبها فصرخت وتشبثت برنا، ثم خرجت
رنا تحمل طفلتها واتجهت لتنام إلى جوارها بينما هو أخذ يجمع
الملابس ويُعيدها للدولاب.

انتظرت رنا حتى نامت طفلتها ثم عادت لحجرتها، كان قد أعاد
الحقيبة والملابس لأماكنهما فهتفت:

- أنت فاكروني ممكن أقعد معاك يوم واحد بعد الهاردة.

قرر أن يحتوي غضبها، فلم يملك إلا الترجي:

- بلاش تسيبي البيت عشان خاطري، عشان خاطر ولادنا، مش
كل مشكلة يا رنا لازم الكل يبقى عارف، مش كل خلاف تسيبي
البيت وتمشي

لم تعر كلامه اهتماماً، بل أعادت الحقيبة فأمسك بيدها مقرراً
ضمها إليه عنوة، حاولت أن تدفعه لكن تشبثه بما كان أقوى وقد
قبل جبينها وظل يكرر:

- آسف أنا آسف والله، يا رب كانت تنقطع إيدي قبل ما أمدها
عليك.

قالها وبكى وعندها استطاعت أخيراً دفعه عنها وهي تهذي:

- بعد إيه؟ بعد ما كترى شافتك وأنت بتضربني، بعد ما دخلت
لوللا في حياتنا وخربتنا.

وكانه كان يملك فرصة أخرى ظل يشرح وهو يترجأها أن تفهم،
كان يعمل مع لوللا وما حدث ما هو إلا فخ من هيشم، لكنها ردت
بقوة، هي ليست ساذجة لتصدق كذبه

زاد رجاءه حدُّ التوسل، واللعنة على كبريائه ورجولته لو كان
ثمنهما خسارته لبيته، لكنها لن تعباً وستكمل إعداد حقيبتها.
لتنجبره على الزعيق بأسى:

– هو أنا كنت بعمل كل ده عشان مين مش عشان أرضيك،
كترتي لازم تدخل حضانة منتسوري يا عبد الشكور، حاضر، مفيش
قدامنا إلا مدرسة خاصة ولازم تكون لغات، حاضر، أنا عايزة
والولاد عايزين حاضر حاضر حاضر.

زادت حدة صوته وزاد معها أنينه: آسف إني اضطررت اشتغل
معها، آسف إني مرتبي مش مكفي، آسف إني مش معايا مصاريف
مدرسة كويسة، آسف بجد آسف

هوى بجسده على السرير، ساد الصمت ثم قرر بعدها هو من
سيرحل لمرهم القديم تاركاً زوجته وأولاده بمكانهم، وقبل المغادرة
أطل على غرفة أبنائه ليقبلهما ويلعن كل لحظة عجز كانت دوماً
المحرك لحياته.

وأخيراً أتته اللحظة التي كان يريها، حين وافق على عرض
فيروز وهل كان من الممكن أن يرفض؟
جمعتهما الشركة ومكتب فيروز وقد وضعت أمامه ملفات
موظفيها الأربعة وأردفت: صورهم الشخصية وكل المعلومات اللي
طلبتها جمعتهالك هنا.

رشف من فنجان القهوة المجاور له ثم سحب ملف مسعود، وقراه
وعندها سارعت هي بالتعقيب:

– أنا دائماً شايفاه مش سهل أبداً، هو وعيسوي.

قالتها بعصبية بينما أكمل هو قراءة الملف دون تعقيب، وما إن
انتهى حتى قال بترؤ:

– الشمال.

طالعه وسألت:

– يعني إيه؟

– نخط شخصية مسعود، رجل المهمات الصعبة.

"بنسميه أيقونة القيادة على الأرض، رجل القانون والعدالة،
إنسان واعى طموح عقلاي، وشاطر جداً في تحقيق أهدافه".
– يعني خطر.

والسؤال من فيروز تابعته الإجابة من عارف:

– مش هقدر أحدد مين فيهم بيمثل خطورة غير لما أشوف كل
ملفاتهم، أنا دلوقتي بجلل شخصياتهم وبأحدد نقط القوة والضعف.

– هتعلمني إزاي أسيطر عليهم؟

سألت بشغف فرض عليه أن يبتسم ثم قال دون مبالاة لسؤالها:

– خيلنا ناخذ الملف الثاني، وبعدها هنتكلم باستفاضة أكثر عنهم.

وسحب الملف الثاني حيث ملف عبد الشكور، تابعته عيون فيروز
بغيط بات واضحاً لشعورها بحبته، احتسى قهوته ببرود ثم طالعها
وهو يجدد:

- تعرفي أنه تقريباً عكس مسعود في كل حاجة، مسعود النمط الشمالي وهو الجنوبي، مسعود القيادة وهو عضو الفريق الشاطر، أيقونة الحب والسلام".

- وأنا مالي بكل الهرتلة دي أنا عايزة أعرف إزاي أسيطر عليهم.

- اللي زي عبد الشكور ده ميتخافش منه، لأنه شخص غير صدامي، شخصية اجتماعية، ينجح في التسويق، ينجح في أي شغل فيه علاقات عامة، اللي زي ده آخره يأكل وينام ويشغل بإخلاص وبس.

- دكتور عارف حضرتك متأكد إنك فعلاً، بتعرف تحلل الناس صح، أصل أنا أشك.

قالتها وقامت من مكانها تشعر ببالح الضيق على وقتها الضائع، عادت لمكتبها فقام عارف ولحق بها ليجلس على أحد المقاعد المقابلة لمكتبها ثم عقب:

- ليه؟

- عشان عبد الشكور ده خبيث جداً، ومسعود ده وصولي وطماع.

- طيب لما أنت فاهمة موظفينك كده، طلبتي مساعدتي ليه؟

- عشان تعرفني إزاي أنا ألوي دراعهم ورقايمم تبقى في أيدي، للأسف يا دكتور، أنا شكلي هكتفي بجلسة الهارده، لأنك طلعت مش عارف.

قالتها بجدّة انتظرت مقابلها غضبه لكن ما قابلها كان ابتسامه ملأت شفتيه تسخر منها ورد ببرود:

- زي ما تحبي .

وقام بعدها ليخرج لكنها استوقفته وقد بدا له أنها تريد التراجع .

- أنا آسفة يا دكتور عارف، بس...

ومع النفاتته ابتلعت بقية ما كانت تنوي قوله وقد اضطربت من هيئته، خطا نحوها فوقفت أمام مكتبها، جذبا إليه فشهمت بخوف لتجده يُحيط خصرها بذراعه وقد الصقها بالحائط وقبل أن تنطق بكلمة وجدت يده الأخرى تكمم فمها، نظر لعينيها فشعرت أن الخطوة التالية ستكون سحب روحها من جسدها لكن النظرة تحولت شيئاً فشيئاً لاحتواء أسر انسابت معه كلماته:

"فيروز عز، شمالية شرقية للنخاع حد التطرف في شخصيتها مستبدة مغرورة غير صبورة وشكاكة، طلباتها كثير جداً، صعبة الإرضاء، مستمعة سيئة على الدوام، جدلية في كل كبيرة وصغيرة وديماً على حق، متمركزة حولين ذاتها وبس".

صعقتها كل كلمة فأذهلها، نظرة عينه كانت توحى بشيء بينما لسانه تدفق بشيء آخر، ومع ابتسامه طفيفة كان تعقيبه:

- وده اللي خلى فيروز عز تبقى مميزة، ده اللي خلاها استثناء في

مجتمع الستات فيه بتتنفس ضعف وخنوع.

هل يعقل؟ كيف فعلها؟

عيوبها التي ظنته يصدق بها ذمّاً أحالها لمديح في اللحظة ذاتها

وأكمل:

- فيروز لا فيروزة، فيروزة نادرة، صعب تلاقي اللي يقدرها،
ويمكن ده سر أنها وحيدة، لأنها لسة ملقتش اللي يفهمها.
ورغم أنها استجابت لكل كلمة وكانت الاستجابة تنهيدة
حارة، عندها رفع كفه بعيداً عن شفيتها ليتأمل وجهها بعناية فرضت
عليها الخجل.

فيروز تخجل؟ هل يعقل؟ كيف فعلها؟

هي نفسها ما عادت تدري، وما عادت تملك من نفسها إلا أن
تسمع وهو يكمل:

"أعترف أني من أول ما شوفتك قررت أستغل الفرصة، وأنارده
مقولتش كل حاجة أعرفها عن موظفينك، ولا حتى أشوف كل
الملفات، وده عشان عايز أتواجد في الشركة ومعاك أطول وقت
ممكن".

وصدق وهو كذوب، وهي كيف لها ألا تصدق صدقه بعدما
صدقت كذبه، وآخر ما كان منه قبلة على إحدى وجنتيها، كدليل
دامغ لصك ملكية وتحقيق لمبدأ يتقنه عارف وقد حدد أول ضحية:
"اضرب الراعي تتفرق الرعية".

(10)

القاعدة العاشرة

"فرق تسُد" أو "اضرب الراعي تتفرق
الغنم" أو في مواجهة ضحاياك امزج
الحكمتين معاً).

Pygmalion

مسرحية لجورج برنارد شو تم اقتباسها لتكون "سيدتي الجميلة"، حين راهن كمال الطاروطي أنه قادر على تحويل "صدفة بعضشي إلى صدفة هامم بنت التفاكشي باشا" والقصة عن أسطورة لنحات اسمه بجمالون، نحت امرأة جميلة وسقط بحبها وآمن أنها ستكون حقيقة وكانت بالفعل، والخلاصة أنه كلما زادت توقعاتك تجاه شيء كانت النتائج تتوافق وما تتوقع، وما دفعها للتفكير بكل هذا لم يكن مطالعتها لأحد فيديوهات دكتورة نانسي على موقع فيس بوك، بل السبب كان بالتعليقات:

"الست دي كنت دائماً باشوفها في بار في الزمالك، وكان اسمها

نبيهة".

"دي إنجليزية واتعلمت العربي برة عشان كده بتتكلم فصحي".

"فصحي إيه ده أسلوبها بيئة".

"فتتكروا عارف غيرها من نبيهة بقت نانسي، آمال لو حاول مع

حد زينا ده مش بعيد يخليه زويل".

وتوقفت أيتن عند هذا التعليق رغم أن التعليقات لم تتوقف، وتوقفت بدورها سيارة الأجرة التي كانت تقلها لجامعة القاهرة، لمقابلة دكتور بغدادي، وبمكتبه سردت ما دار بينها عن عارف أبو العزم، هل يعقل أنه يفكر بنفس طريقته أو كلاهما استوقفته الفكرة ذاتها، كيف ترسم لدولة بأكملها مستقبلها عن طريق إقناع الناس بأفكارهم أو ربما التحكم في تخيلهم للغد، غداً أسود قاتم السواد فلا ينبغي لأحد أن يسعى ليغير، غداً سنكون أضعف فلا تفترضوا في أنفسكم قوة، أو إعلاماً يوجه "كن البلطجي هذا إن كنت تريد القوة".

ومن نانسي لفريد يا قلبي لا تحزن، ولا تلعن التوقيت أو اللحظة.
"فيلم توتو اللؤلؤ"، فيلم الموسم وكل موسم، للنجم الصاعد
الواعد "فريد أبو العزم".

ذلك الرجل يدرك قيمة كل توقيت بحياته، ولا يضيع وقته أبداً
"يعني مفيش فايدة".

وكان هذا هو أول سؤال منها حين جلست أمام بغدادي، وزاد
استغرابها حينها كانت إجابته:
- تسمعي عن براغادينو.

وإنصاتها عاد به لذكرى صبا عندما كانت تجلس على قدمه
لتسمع ما يسرد:

- زمان قوي، سنة 1570، لما كان فينسيا اسمها البندقية حصل
أنها فلست بعد ما كانت بلد غنية، الناس مكنتش مصدقة وفضلوا
فترة منتظرين أن أيام العز ترجع، انتظار على أمل المعجزة تتم، لحد
ما حصلت المعجزة فعلا، سنة 1589 ظهر راجل كيميائي اسمه
"براغادينو" قال إنه يقدر يضاعف الذهب عن طريق استعمال مادة
سرية هو الوحيد اللي عارف تركيبها.

التمعت عينها بيريق عكس ما بها من فضول وهي تسأل:

- والناس صدقت؟

- طبعاً، لأنه قدر يخلق لنفسه صورة ذهنية تأكد كلامه رغم أنه
نصاب، براغادينو كان معدم وفقير ومحتوش حاجة، هاجر من
البندقية وبقي يعمل عروض وشغل شعوذة باستخدام التفاعلات
الكيميائية لحد ما كسب مبلغ كويس سافر على إيطاليا وهناك فتح
دكان يبيع فيه مواد الكيميائية واقتصرت عروضه على عرض واحد
بس "تحويل التراب لذهب"، الناس اتقربت منه وملوك وأمراء
وفلوس ملهاش آخر على أمل واحد، يعرفوا السر وبيقوا أغنيا، لحد
مجلس شيوخ مدينة البندقية ما صوت بالإجماع على رجوعه، صرفوله
مرتب وبيت وكل طلباته مجابة، بس يحول التراب لذهب، وصاحبنا
مكانش محتاج لأكثر من إثبات بسيط عمله بمنتهى الإلتقان، هيئته، في
إيده ساعة من ذهب وهدومه الغالية بأزرار من ذهب، قصره الفخم
فيه كل حاجة من الذهب، وعاش في البندقية ملك ووعد الناس

بأمل، المادة السرية لازم تتحفظ مش أقل من سبع سنين عشان تدينا نتيجة مرضية، والناس فضلت صابرة ومنتظرة، وصاحبنا فضل يأخذ منهم فلوس ومحدش قادر يكذبه، أصل يكذبوه إزاي وكل حاجة حواليه بتأكد أنه فعلاً يقدر وزى ما...

- زى ما حول نانسي يقدر يحولهم.

والهتاف منها قاطعه وفرض عليه الصمت، ضيق بين عينيه وعقب:

- مش فاهم تقصدي إيه؟

- بس أنا كده فهمت يا دكتور.

قالتها بين فتور وحماسة لا تدري أتفرح أم تبكي، الآن باتت تشعر أنها فهمت عارف ولكن، لماذا كل ما يفعله!؟

- دكتور عارف ساب الناس تفترض أنه غيرها من واحدة من إياهم لدكتور نانسي، وده كافي إنهم يصدقوا أنه يقدر يغير حياتهم. وأمام جملتها صمت وبعد لحظة شرد، وجملته إسماعيل فرضت نفسها يوم عقبوا على معشوق صبا.

"اسمه دعيس وكان في شارعنا صبي قهوجي".

"معقولة"؟

تمتم بها ثم سحب مفاتيحه واعتذر لأيتن عن استكمال كلامهما، وإلى شركة الفيروز انطلق، لو صدق إسماعيل في كلامه فإننا على اعتاب مهزلة، ما الذي يريده بالضبط هذا الرجل؟ ومن وراءه؟ ومن

يموله؟ وتوقفت سيارته أمام الشركة ليجد عارف خارجاً منها، جاء إذاً كما أخبرته صبا، جاء بالأمل ليحول الفيروز لذهب، لكن ما فرض عليه الخوف كان ظهور صبا إلى جواره، تتكلم دون انقطاع، وبنهاية المطاف اتجهت لتركب سيارته.

نادها بعصبيةٍ فصدمت لوجوده، فخرجت من السيارة لتقبله وخرج عارف بدوره يُدقق بملامح الرجل الذي سبق أن قابله بجامعة القاهرة، تصافحا ثم قامت صبا تعريف والدها الذي تحدث باقتضاب ثم ودعه وسحب ابنته ليرحلا.

وبسيارته زفرت صبا وقد تضايقت من مجيء والدها، فقد وعدتها عارف بأنه سيصحبها إلى الاستوديو لرؤية تحضيرات فيلم فريد بعد سردها مقدار الإعجاب والاهتمام به، كانت على عتبات رؤية فارسها لكن تلاشت الأمنية.

"آمال بشر فين؟"

والسؤال كان من بغدادى وهما في طريقهما للمنزل، التفتت بعد شروء لتجيبه:

– عامل زعلان، أصلنا اتخانقنا.

ولم تزد، وهو بدوره صمت مقررًا التحدث معها ببدوء بعدما يتناولا غداءهما، وصلا لمتزلهما واتجهت هي لغرفتها واتجه هو لتحضير الطعام بالمطبخ كعادته منتظرًا منها أن تأتي لتساعده وبخلاف عادتها لم تأتِ وآثرت المكوث بغرفتها، فبدأ بتحضير طاولة الطعام، إلا أن

رنين الهاتف استوقفه وكان المتصل "شكري" والذي سخر منه عندما سأله عما يفعله وعرف:

– مش لو كنت تجاوزت كان زمانك قاعد بتتغدا من إيد مراتك دلوقتي ولا أنت صدقت أنك عيان بجد.

واللعنة على كل وسيلة حديثة تظن بلحظة أنها تساعد وباللحظة التالية تدفع في وجهك بكارثة، سمعت صبا ما قاله شكري عبر مكبر الصوت، لتدرك أكبر صدماتها، والدها كان يكذب، اندفعت لغرفتها دون إعطاء فرصة لوالدها وكل ما يشغلها رسالة واحدة ألزمت نفسها أن تكتبها بلا مقدمات أو مجاملات، بغض النظر عن حدتها وقسوتها وانكسار قلب من ظنها رسالة اعتذار أو تودُّد فأسرع ليقراها بلهفة فكانت الصفحة:

"شوف الميعاد اللي يناسبك إمتى وتعالى خد الشبكة، أتمنى تتفهم إن كل شيء قسمة ونصيب".

"صبا يا ريت لو نخط النقط ع الحروف، يا ريت تقولي لي إحنا إيه مشكلتنا مع بعض، يمكن نلاقي حل".

"أصلًا أنت لو مهتم كنت عرفت، بس كل اللي أقدر أقوله لك إن الاهتمام مبيطلبش".

"طيب أنا قصرت في إيه؟"

"عايز تعرف فعلاً، أو كي يا بشير، عايزك تدخل كده على أكونت أي واحد خاطب وتشوف يعني إيه خطوبة، أنت عمرك كتبت بوست عبرت فيه عن مشاعرك ناحيتي وعملتلي فيه منشن أو تاج، بلاش عمرك فكرت تدخل إيفينت (قولنا حبتها ليه) وتكتب عني كلمتين زي أي بنت في صحباتي لما خطيبها بيعمل، الاهتمام والاحتواء يا بشير، كلمتين أقوى وأعمق ما في الحب، مينفعش أطلبهم، أنت اللي لازم تحسني ياني مهمة عندك، مش بس آخرك تعملي لايك ده إن عملت"

وتوقف عقله عن سرد ذكريات آخر لقاء وعاد ليطالع رسالتها، خطوة كان يعلم جيداً أنها القادمة، لكنها صاحبة السبق، هي من قررت أن تضع النهاية لتلك العلاقة التي لا محل لها من الإعراب، هي من قررت أن تعترف أنها لم تكن خطبة بل ادعاء، وأوان الحقيقة قد آن، فما هي الإجابة المثالية الآن؟

أنا على ما يُرام أم عليّ تقديم الاعتذار.

"آسف يا صبا لأن مفردات الاهتمام بيننا معكوسة، آسف لأنني الغبي المتذაკي، المدعي بما ظنه عشقاً واكتشف لتوه، أنه الوجه الآخر للبلاهة".

قذف هاتفه أرضاً وظل يضرب فيه بقدمه حتى حطمه، بشير ما الذي دهاك؟

صعد إسماعيل حين سمع صوته بل عيسوي كونه أتى كي يرافقه
إسماعيل لمزل شجن.

هيئة بشير فرضت على إسماعيل الاضطراب وبدا واضحاً حزئه،
منذ الخميس وهو لا يتحدث لأحد ومتر وبعرفته، والآن هشم هاتفه،
ربت إسماعيل على كتفه فأبعد يده عنوة وهتف:

- أنا مش عايز أصعب على حد، أنا أعرف أعمل زي فريد
وعشرة زيه، بس أنا للأسف محترم، مش عارف أبقى وقح، مش
عارف أبقى تافه، أنا كده كده ولا حاجة، هتفرق في إيه إني أبقى
هايف".

قالها وغادر، وعندها استشعر عيسوي جذبه إسماعيل وقد ترجّاه:
- روح وراه يا عيسوي، دي أول مرة أشوفه كده.
فأسرع خلفه يناديه بكل ما يملك عله يستوقفه وعندها التفت
قائلاً:

- خد جدو وروح مشواركم لبيت شجن.
- طيب، إيه اللي حصل.
- اللي كان لازم يحصل.
ودون زيادة شدّد:
- ارجع جدو وروحوا مشواركم، أنا محتاج أكون لوحدي يا
عيسوي، ومتخافش أنا هبقى كويس.

"عيسوي إلا عيسوي واد ذوق ومؤدب وأخلاق، ميتخيرش عن عماد".

والكلمات كانت في مكاملة توؤد جمعنها بأختها، ولم تهدأ فاطمة من تكرار الفعل، سبل من المكالمات تخبر من خلاله جميع الأقارب أن سوق خطاب شجن لم يتأثر بما فعله الحقيير حسام، والدليل... ثم تبدأ في سرد ما فعله العريس السابق لثقتة الجمة بأخلاق ابنتها التي لا غبار عليها وبناء عليه:

"قراية فاتحة شجن الهاردة، أنا بعرفك بس العزومة بقى في الخطوبة إن شاء الله".

هل اكتفت فاطمة أم أنها بحاجة لإخبار من هم خارج الكوكب؟ كانت واجهة بعدما أمت شجارها مع والدتها التي سبت ولعنت وتوعدت إن رفضت أو حتى فكرت أن يكون لها رأي آخر، وأمام ضيقها لم يملك عبد الغفور إلا المسح على رأسها وهو يؤكد: - أنا مش هغصبك على حاجة يا شجن، أنا بس عايزك تديله فرصة يمكن يكون شخص كويس.

ولم تملك إلا أن تفعل، حضر عيسوي ومعه إسماعيل وللصالون اتجها، وبعد الترحاب كان السؤال الأول عن مشيرة التي لم تأت، تحجج عيسوي بأنها مريضة كي لا يخبرهم بأنها رفضت، وعندها جاءه طلب شجن بأنها تريد التحدث إليه على انفراد، بينما جمعت الشرفة إسماعيل ووالدها.

ساد الصمت وقد تبادل عيسوي النظر وشجن، عقدت ذراعيها أمام صدرها وقد قررت ستفعل المستحيل كي ينتهي الأمر بقراره فبدأت:

- عارف يا عيسوي، مصر تعتبر الأول على العالم في الطلاق.
صدمه بداية الحوار وشعر أنها ما زالت على عنادها، صمت فتابعت:

- منظومة الجواز عموماً فاشلة، ومفيش أصلًا زوجيين عندهم تفاهم، يعني مقدمات تسد النفس عن الجواز.

انكمشت ملامحه وقد امتعض ونظر لعلبة الشوكولاتة التي أحضرها للمرة الثالثة بحسرة، ثم قرر تخفيف الأجواء فعقّب:

- مش يمكن إحنا نبقى استثناء؟

ردّ أشعرها بإصراره فردت بضيق:

- واحد اسمه عيسوي هيتجوز واحدة اسمها شجن، أنت مدرك الكارثة.

ضحك رغماً عنه وأجاب:

- والله هو اسمي وبجبه، إنما لو مش عاجبك فدي حاجة تانية. شعرت أنها أخرجته، فخجلت وعندها تحدثت بنبرة هادئة أو بالأحرى هو لمس خوفها وهي تسأله:

- إيه اللي ممكن يخليك تتراجع عن الارتباط بيا يا عيسوي؟

علت الابتسامة وجهه فأجاب بثقة:

- والله أنا مرتاح جداً ليكَ يا شجن، وحاسس إنك هتبقني نصي
الحلو.

تنهدت بفراغ صبر فعقب:

- إلا لو...

صمت ثواني ثم سأل:

- أنت رافضاني ليه؟

- أنا مش رفضاك، أنا مش عايزة أتجوز، الموضوع ملوش علاقة
بيك.

فهم فأدرك أن عليه الرحيل، فقام من مكانه، وقال بهدوء:

- خلاص يا شجن، ربنا يوفقك.

ثم غادر هو وإسماعيل، بينما انزوت هي في غرفتها مشوشة،
نجحت فيما نوت لكنها شعرت بالندم، وما عادت تدري أي تصرف
كان عليها أن تفعله؟

عاد لمتزله وانزوى بغرفته، ليجد مشيرة تقتحم عزلته لتزعق
مؤكدة: - أنا كنت عارفة من الأول وقُلتلك مترووحش، مشيت ورا
جد بشير الطاقق ده وروحت، ماشي يا ابن حافظ.

وما إن نعتته بابن حافظ حتى هتف فيها بضيق، كلما غضبت منه
ذكرته بوالده وغدره وبأنه بالتأكيد سيكون مثله، يريد الزواج
بشجن التي لا تهتم ولن تهتم أبداً.

وبالنهاية وجد نفسه على عتبات شجار حتمي فقرر أن يترك البيت ويرحل.

صباح الأحد، جمعتهم الشركة وزعيق فيروز...
لا لم تعد فيروز تزعم، بل أتت متأخرة قرابة نصف الساعة عن موعدها، شعرها مصفف بطريقة متدرجة تنم أنها قد خرجت لتوها من صالون التجميل، مكياج، عطر، ملابس منمقة ومختارة بعناية فرضت على مدبولي الاستغراب والاندھاش، وصوت أشبه بكروان عذب قال بهدوء:

- عم مدبولي القهوة على مكثي، من فضلك.

"من فضلك"؟

فيروز تطلب بأدب!

"الواحد أكيد هيطلع من الشركة دي ع السراية الصفرة، الطف

بيننا يارب".

وحال فيروز المقلوب رأساً على عقب لم يكن أفضل من حال موظفيها، فمسعود أتى متأخراً يتبعه دخان سجائره، بينما عبد الشكور على العكس أتى مبكراً جداً وانزوى بمكتبه، أما عيسوي فلم يأت بالأساس، بينما بشير لم يظهر بعد.

أيعقل أنه تأخر؟

ولم يكن متأخرًا بل ينتظر صبا بمدخل البناية، فهي لن تتغيب لأن عارف سيأتي، وبعد عشر دقائق ظهرت واتجهت للمصعد وما إن فتحت بابه حتى وجدت بشير خلفها، استشعرت الرهبة، وساد الصمت ولأول مرة استشعرت الخوف من بشير ما إن نظرت لعينه التي كانت تتطلع لها بتحفظ حتى توقف المصعد وتوقفت معه نبضات قلبها حين وجدته يدفع بابه ويجذبها من ذراعها مبتعدًا بها عن باب مقر الشركة ليسأل بغضب:

– إيه معنى الرسالة اللي بعنيها امبارح؟

والدهشة امتلكتها وهي تتابع نبرة صوته بجوار ملامح وجهه وهي

تكاد تهتف فيه؛ أين بشير؟

لكن حتى هذين السؤالين لم تملك لهما فرصة، فبشير التقليدي الخلق جذبها من كلتا ذراعيها حتى صارت بين يديه كدمية، وعلى مقربة من أنفاسه بدى لها كم هي مشتعلة، ربما غيرة ربما غضب أو حب أو خوف أو افتقاد أو كل ما سبق، والرائع لها كان استجابة دقات قلبها، وآه يا بشير لو تكمل المشهد كما الروايات لآخره، بصفعة أو قبلة أو الاثنين معًا، لكنك لن تفعلها أبدًا، مهما تتغير سيظل بداخلك فتات رجل محترم، واحترم يا سيدي لا يبهر امرأة.

– عايزة تفسخي الخطوبة يا صبا.

– أنا وافقت عشان بابا اللي صمم يا بشير مش عشان أنا اللي

عايزة.

- في حد ثاني، انطقي

زعق بما فهتفت بعناد:

- أيوة في، أنت من الأول عارف إن في، ومع ذلك محاولتش

تــــ....

ولم يدعها لتكمل جملتها، دفعها من بين يده ونظر لها شزرًا، نظرة احتقار فرضت عليها أن تتألم وهو يكمل:

- كفاية، كفاية لحد كده، أنا معنديش استعداد أبقي تريقة الناس من حواليك وأنا عارف قبل منهم إن في غيري.

قالها وهو يضع بيدها الدبلة الفضية خاصته وقد تركها واتجه لمكتبه، دون صفعات أو قبالات فتمتمت بهدوء:

- لو فعلًا كنت بتحبني يا بشير، كنت مستحيل تسييني، حتى لو كان حب من غير أمل، لأن هو ده الحب اللي بجد.

"إيه اللي موقفك هنا يا صبا؟"

والسؤال من عارف فرض عليها أن تلتفت لترحب بمجيبته، وبعد الترحاب جاورها ليتجها لمكتب فيروز.

تلك الحاملة لا تحتاج لأي مجهودات تذكر، لقد برمجتها الأفلام والروايات بما يكفي - وياليت الجميع مثلها - لا يحتاج لأي مجهود سوى تقدير قناعاته.

- أنا حكيت لفريد عنك وطلبت منه تصريح عشان تحضري البروفات بكرة، هه إيه رأيك.

وأشرق وجهها بل كادت تقفز في مكانها من شدة ما امتلكها من حماس، و أخيراً ستقابل فريد، ستدخل استوديو تصوير سينمائي، ستكتب على صفحتها بالفيس بوك عن ذلك، بل إنها قد تكلل كل ذلك بصورة "سيلفي" بجوار فريد شخصياً.

– أنا مش عارفة أقول لحضرتك إيه، حضرتك أعظم دكتور في الدنيا.

– قوليلي إن مدبولي هيعملي فنجان قهوة مضبوط، وأنت هتجيبهولي في مكتب مدام فيروز، عشان يومي يكمل بعد ما شوفت ابتسامتك الحلوة دي.

والابتسامة زادت حتى بدت نواجذها، والسعادة كادت ترفعها من كوكب الأرض لتضعها فوق السحاب، بل هي على السحاب حرفياً.

خرجت من مكتبها لتأمر مدبولي بإعداد ما طلب عارف، بينما بشير أسرع بالعودة لمكتبه بعدما انتهى من سماعهما.

منّت نفسها لو أنه عقب على هيتها ولو من باب المجاملة، لكنه بدأ باحتساء قهوته دون تعقيب على أي شيء سوى طلب ملفات الموظفين مرة أخرى، تطلّع إلى الملفين الباقيين ثم سأل:

– تحبي نبدأ بعيسوي ولا بشير.

انتاهما الضيق من لا مبالاته لكنها أجابت:

- زي ما تحب .

تطلع للملفات في صمت فسألت:

- هي ملفات الهاردة صعبة للدرجة دي ولا في حاجة مضايقك

ولم يُعبرها أي اهتمام وردّ:

- أبداً.

وقبل أن تسأل أي أسئلة أخرى بادر هو، أشار لأحد الملفات ثم

قال:

- بشير خليل عبد الجليل، الشرقي.

- سيبك من بشير، بشير مجرد موظف عادي

- إنت متأكدة؟

قالها باستنكار فرض عليها الاستغراب:

- بشير ده... أكثر واحد لازم تخافي منه.

زادت دهشتها فأردف: اللي عند بشير مش عند حد منهم، أكثر

شخصية بتستخدم عقلها، ودي نقطة مش سهلة، شخصية منظمة

بتحلل كل كلمة وكل فكرة، ممكن يقرى عشرين كتاب بدون ما

يمل عشان بس يتأكد من معلومة واحدة.

- وايه اللي يخوف في كده؟

أجابها بثقة:

- لأنه أكثر واحد ملم بنغرات شركتك، أكثر واحد واصل

لنفاصيلها، ومش بعيد يكون هو اللي كان ورا موقف عيسوي وعبد

الشكور لما قرروا يرجعوا مسعود حتى لو منطقتش بكلمة، من الآخر كده بشير يوم ما يقرر يحط خطة، هتكون كاملة، منظمة، تفصيلية.

– والعمل؟

قالتها برهبة فأكمل:

– لازم تضمني ولاء ده بالذات، صحيح هو بطيء ومتردد لكن في النهاية لو عرف يتغلب على العيين دول هيبقى لعنة. ومع توقفه عن الكلام قامت من مكانها وتحركت نحو النافذة، زفرت وقد أولته ظهرها ثم عقبت:

–أنا لما طلبت منك تيجي الشركة هنا مكنتش خائفة من حد قد عيسوي، مكنتش متوقعة أي أخاف من حد تاني منهم وخصوصاً بشير.

"عيسوي حافظ عيسوي".

قالها وهو يطالع ملفه وصورته ويدقق بملامحه ثم عقب:

– النمط الغربي، المممم.

عادت لجاورته فقال:

– هو صحيح جريء، بس ده ميمنعش أنه متهور جداً واللي زي ده ميتخافش منه بالعكس، اللي زي ده أسهل واحد فيهم يلبس في مصايب لأن تسرعه مش هيخليه يفكر، أهم مميزاته أنه مبدع بس دي حاجة متخوفش.

زفرت بشدة ثم قامت واتجهت لمكتبها، ترك هو منصدة الاجتماعات واتجه ليجلس أمامها ودون انتظار تعقيبها قال بتحديد.

"إزاي تسيطر على الأربعة، السؤال اللي كان سبب في أنك تستعيني بيا في شركتك، تعرفي أنك محظوظة جداً يا فيروز".

وما استوقفها كان نطق اسمها بدون ألقاب، عندها لانت واستشعرت أن غضبها تلاشى، حركت جملته فيها الفضول فسألت:

– ليه؟

– لأن الأربعة الاختلافات اللي بينهم كفيلة توقعهم في بعض، لو عرفتي تستغلي الاختلافات دي كويس.

ساد الصمت وبدت حيرتها فتابع بنقّة:

– تشيكك تحوين ومش بس كده، تعرفي ازاي وامتي تضربهم ببعض كويس".

ظلت على صمتها دون أسئلة تتطلع لوجهه وللحماسة البادية على ملامحه حتى وقف من مكانه وتحدث بصوت عالٍ يسترعي انتباهها.

"والبداية عند مسعود، الطموح اللي جواه نزعة قيادة، اديله صلاحيات مش من حقه، قوليله أنت اللي هتشرف على شغل الأربعة لأنك أحسن منهم وهو هيصدق، وساعتها أول المتضررين عيسوي، عيسوي اللي هيتمرد لأنه شايف أن ازاي مسعود يبقى رئيس عليه ويدخل فشغله، بتمرده هيحاول يقلب عليه الباقيين عشان يثوروا

وياخذوا موقف، لكن بشير وعبد الشكور هيتخلوا عنه، عبد الشكور هيبعد نفسه عن المشاكل ويتزوي منهم كل همه يستمر في شغله ويحافظ على مكانه ...

صمت ففهمت وهي من عقب بسؤال:

- وبشير؟

تنهد وهو يكمل:

- لازم يحس بالدونية والتقليل منه، الشرقي بيحب اللي يقدر نظرتة للأمر، اللي يقدر دماغه، نقاشاته وتحليلاته، أوعي ياخذ الفرصة دي، دائماً مسعود يضغطة وعيسوي يضغطة، وساعتها مش هيكره حد قدهم".
"فرق تسد".

لم يتطرق بما لكنه فندها بطريقة مثالية بحتة، لاحظت تشتتها وكأنها تفكر بكل ما قاله فقرر أن يطرق على الحديد الذي أشعله.

ببطء اتجه ناحيتها حتى جاورها ثم أسند يده اليسرى فوق مكتبها واليمنى فوق ظهر مقعدها وتسلسل مباشر لأذنيها وعقب:

- يعني مسألتنيش أنت هيكون دورك إيه في كل ده؟
تطلعت لوجهه بريبة فانزوت ابتسامة على شفثيه وهو يتطلع لعينيها ويكمل:

- عارفة قصة الملك اللي كان محتاج يسلم ابنه السلطة فقرر يختبره، جاب شوال مليون فيران وطلب منه أنه يخرجهم من الشوال

وبعدين يجمعهم مرة ثانية، الأمير استلم الشوال وبمجرد ما فتحه كل الفيران جريت وفشل في الاختبار، ثاني يوم جه والده وجاب شوال ثاني وقرر يعلم ابنه أهم درس في السيطرة، مسك الشوال المليون بالفيران وقبل ما يفتحه فضل يخبطه في الأرض والحيطان وبعدها فتحه، ساعتها مفيش فار اتحرك من مكانه ومسك كل الفيران ورجعهم الشوال مرة ثانية، كل ده عشان يعلم الأمير أهم دروس السلطة.

"إذا أردت أن تملك زمام القوة، فاسع خلف إمناك ضحاياك نفسياً وجسدياً".

وبعد نفس عميق أكمل:

- كل فار جوه الشوال مكنش شايف غير خبط بقية الفيران فيه، وكل فار مكنش قادر يقاوم كل الضرب اللي بيتعرضه لوحده، لما خرج منهك، مشافش غير اللحظة اللي مناحهاله الملك وهو بيخرج من الشوال عشان يتنفس، وساعتها كانت نظرتة الوحيدة للملك هي الامتنان والشكر، لأنه خلاله يبعد عن الفيران اللي كانت بتضربه ويرتاح ويتنفس، فهمت".

"ربما".

لم تنطق بها ولكنها كانت لسان حائها، ربما فهمت وربما سيطر عليها الآن عجزها، الكلمات واضحة لكنها صدقاً مرعبة، الأمر ليس بالصعب ورغم هذا مخيف، ظنوها أنها ستزعق كما اعتادت تلاشت، وما رأته بعين عارف كان جملة واحدة.

"آن أو ان كل تصرف قذر".

البويو هم، والخيط بيدك، ولشدّه وإرخائه متعة خاصة لا تضاهيها متع، أنت السيد وهم العبيد ومكنون أنفسهم رضا، تستعبدهم فيسبب ذلك انتشاءهم، وكأنهم سعداء بأسر عقولهم، بل هم من سيقدمونها على طبق من ذهب.
"فيروز".

والنداء باسمها انتشلها من شرودها لتجده يقرر بعدها:
- القرار ليك ومن أول بكرة ممكن أقولك اللي هتعمليه معاهم بالظبط ومن هنا لبكرة فكري، ولو عايزة تغيري رأيك مفيش مشكلة، أما بقى لو عايزة تكلمي ف.....
أخرج من جيبه الكارت الخاص به وضعه أمامها ثم أكمل:
- ده عنوان فيلتي هستناكي بكرة الساعة 8 نكمل كلامنا واعتبريه عشاء عمل.

قال جملته وخرج متجهًا للمصعد غير متوقع أن هناك من كان ينتظره وما إن وقف حتى سمع من عقب من خلفه:
"فريد يبقى دعبس مش كده، صبي القهوة اللي كان شغال في الحلمية، اختفى بعد قعدتك في القهوة وكلامك مع الناس عن جهاز يقدر يعمل حاجات كتير لتغيير البشر".

والصوت محمل بالحزن بالكاد يتماسك صاحبه، يرتعش كمن يموت من القهر ويقاوم حد إقرار أن هزيل النفس لديه قوة، صوت

فرض على عارف الالتفاف وعلى ما يبدو لم يجب ظنه به، ذلك
الضعيف صاحب العقل القوي.

"بشير".

"أبوة أنا بشير يا دكتور عارف".

التجربة

(11)

خرج من مكتب فيروز وهو على يقين بأن ساعات تفصله عن بدء تجربته، ليجد بشير بانتظاره ينظر له بحدة بعدما قال ما في جعبته، وما ظنه بشير بأن عارف سيضطرب من كلماته لكن ما وجدته كان ابتسامة هادئة وهو يمد يده ليصافحه مُعقَّبًا:

– أنا سعيد قوي إني اتعرفت عليك.

لكن حال بشير لم يكن كذلك، نظر ليده الممدودة نظرة ازدراء ثم عقد ذراعيه أمام صدره، فسحب عارف يده واتسعت ابتسامته وهو يكمل:

– على كل حال، فرصة سعيدة.

قالها والتفت ليرحل فهتف بشير:

– مش قادر تواجهني بعد ما كشفتك، بتديني ضهرك وتمشي يا جبان.

ورغمًا عنه تعالت ضحكاته بمستير يا فرضت على بشير الغيظ ثم أتاه تعليقه باستهزاء:

- شكلك بتتفرج على أفلام أبيض وأسود كثير، الديالوج ده
أقرس من الخمسينات على فكرة.

عاد للضحك رغماً عنه ثم هدأ ليجيب:

- الحقيقة أنا مش فاهم أي حاجة من كلامك.

- لا فاهم كويس قوي، بس عايزك تعرف إني مش هاسكت
وهعرف كل الناس حقيقتك وحقيقة فريد وابقى وربني هتواجه الناس
إزاي ساعتها.

عقد عارف ذراعيه أمام صدره ثم أجاب ببرود: شوف أنا كنت
مختار إزاي أمهد لمسألة فريد، إزاي الناس تعرف إن صبي القهوة بقي
نجم الموسم، فلو ناوي تعرف الناس بالنيابة عني، أبقى شاكر جداً
ليك، واهو تبقى وفرت عليا.

- يعني مش فارق معاك إن الناس تعرف الحقيقة.

- هو كان فرق قبل كده، نسيت اللي حصل في المسابقة.

والنظرات من بشير كانت بين تيهه وضياح وعارف يكمل:

- ومين قالك إني مش عايز الناس تعرف، إمال هنعمل دعاية

للفيلم والمركز إزاي؟

انزوت الابتسامة على ثغره بانتصار ثم تابع:

- دعبس بقي فريد لما دخل بـ"توقيت جرينتش"، وشوف أنت

ساعتها كام واحد هيدخل الفيلم للفيلم وكام واحد هيدخل الفيلم

عشان يشوف فريد نفسه، وتخيل بقي بعدها لو طلع وقال أنك حقود

وانتهازي وعازيز تشهر بيه، ساعتها هيتفتح في وشك طوفان من
ألتراس البنات والولاد اللي بيدعموه على الفيس، وساعتها هتتأكد
إن الناس بتكره اللي يقولها الحقيقة، لكن ده ميمنعيش أنك لو ناوي
على الخطوة، جو أون، اعمل البوست واكتب عن عارف النصاب
وفريد الغشاش وأول ما تنزل البوست ده اعلمي منشن، هتلاقني
الأكونت بتاعي باسم "د.عارف أبو العزم"، ومش هدخل اشتم أو
أقول كداب، ده أنا هعملك لايك وأقولك ميرسي.

وما ظنه بشير فحًا بانتظار عارف رأى انزلاق قدمه فيه، همهم
بضيق: أنت مين بالظبط وبتعمل كل ده ليه، وجيت الشركة هنا ليه؟
- فعلاً دماغك استثناء، أنت نفسك استثناء يا بشير، ألف
خسارة إن الدماغ دي مدفونة في المكان ده.
قالها وهو يشير للشركة ثم النفث راحلاً وهو يُدرك كيف هي
الحالة التي ترك عليها بشير.

تبدلت هيئته عن الأمس، بدا وكأنه يحمل هم الدنيا فوق رأسه،
شارد وبصعوبة يستمع لها حتى منحته ما كتبت ليقراً.
تهتد بضيق ثم مد يده يتناوله منها دون تعليق، ففرض عليها
التعقيب:

- واضح إن حضرتك متضايق، تحب نأجل كلامنا لوقت تاني.
- أبداً.

قالها بفارغ صبر وما إن انتهى من القراءة حتى زفر بكل ما يملك
وقال بحدة:

- وإيه فائدة اللي أنت كاتباه ده.

- بس ده مكانش كلام حضرتك إمبراح.

"لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي".

قالها بيأس صريح ونظرة بائسة، فصمتت ولم تُعقب بينما ترك هو
مكتبه ووقف بالنافذة التي كانت تطلُّ على ساحة كليته، ناظرًا لجبل
كامل سيخرج من هنا يومًا ما ليكمل مسيرة الإعلام؛ فهل من أمل؟!
"تعرف يا دكتور، بيت الشعر ده تم اقتباسه بين الشعراء من أول
الشعر الجاهلي لغاية الشعر الحديث، وإلى الآن محدش عارف مين اللي
كتبه، اتكرر واتعاد مش شرط عشان نفهم إن مفيش فائدة، إنما يمكن
عشان نعرف أنه في كل زمن بيظهر اللي ينادي، حتى لو محدش
سمعه".

انزوت ابتسامه على ثغره وعاد لمقعده فكرر لثوانٍ ثم سألها إن كان
بإمكانه أن يحكي لها عن ابنته، عن حمل ثقيل كان ولا يزال يؤرقه
سمعه حتى توقف وزفر بأنين منتظرًا تعقيبها، فسألت:

- ليه حضرتك كدبت عليها؟

- كنت مضطر، جايز معنديش نفس مرض والدتها بس مش معنى

كده إني سليم، ودي بنني الوحيدة، لو جوالي حاجة هتعمل إيه من
بعدي.

خَفَقَ قلبها لذكرى والديها ووفائهما وشعرت بقلقه فقررت
الإجابة بتفهم:

– محدش بيموت بموت حد عزيز، وإلا أنا وأختي كنا مُتنا بموت
بابا وماما، بعد الشر على حضرتك طبعًا، ولو كده فكان أي حد من
اللي اتقدموا، اشعنى يعني بشير.
ردّ مؤكداً:

– أهله ناس محترمين، وراجل أقدر أأمنه على بنتي.

– ده جواز يا دكتور يعني مينفعش يجي بالغصب.

– أنا مفكرتش غير في حاجة واحدة أطمئن على بنتي وبس.

أجمتها الجملة فلم تنطق، محظوظة صبا ولكنها لا تدري، أب
يخاف وحبيب يسعى ليكسب قلبها، ليته تستفق قبل فوات الأوان.
قطع حوارها رنين هاتف بغدادي وقد علمت أن خطيب ابنته
بالطريق إليه فاستأذنت واتجهت للمكتبة، حاولت أن تقرأ بأحد
الكتب، ولكنها لم تستطع، فبحثت بحقيبتها عن اللبان الذي اعتادت
مضعه بنكهة الفراولة، وجدت بالعلبة آخر ثلاث قطع، فالتهمتها
دفعه واحدة، وانزوت بوجهها لتصنع من اللبان بالونات ثم تقوم
بفراقعتها، فهي لازمة تفعلها رغماً عنها كلما شعرت بالتوتر، حتى
قاطعها رنين هاتفها باتصال من مديرة الحضانة التي تعمل بما كان
آخر ما ينقصها، كان هناك مشكلة بخصوص كتري عبد الشكور
بحاجة لحضورها على وجه السرعة.

قررت قبل رحيلها أن تمر بمكتب بغدادي للاطمئنان عليه وقبل
طرق الباب استوقفها صوت الزعيق وقد استشعرت إهانة أستاذها:
- يعني هي كانت رافضة بس حضرتك خلتها توافق بكذبة
كذبتها، ولما عرفت الحقيقة فركشت، طيب وأنا:

- بشي... ..

قاطعته محتدًا وأكمل:

- هتعتذر؟!!

"سوري إننا مفكرناش فيك يا بشير وإحنا بندوس عليك في النص
عشان الموضوع كان لعبة، وطظ في مشاعرك وكرامتك ورجولتك
اللي اتبعرت".

- أنا آسف يا ابني أنا... ..

ولأن نظرة بشير له مألها الكبرياء، بُتت الكلمات بفمه، ابتلع
بقية جملته وصمت، وطيف ابتسامه ساخرة على شفطي بشير ظهر ثم
عقب بعدها متهكمًا:

- وفر أسفك يا دكتور بغدادي، يكفي أنك هتخط إيدك في إيد
صبي القهوة، طالما ده اللي هيسعد صبا، بس عايزك قبلها تسأل عنه
كويس، ولا يكفيك إنك هتخط إيدك في إيد دكتور عارف، عموما
أنتم الاتنين لا يقين على بعض، واحد نصاب والثاني كداب.

قالها بحدة فرضت على أيتن الدخول لرد كرامة أستاذها،
وكعادتها ستضع نفسها بالمشكلات دون أن تفكر.

"أنت إزاي تسمح لنفسك تتكلم مع راجل في سن والدك بالطريقة دي".

"أيتن؟"

قالها بغداداي عليها تسكت، لكنها وقفت قبالة بشير وأكملت: مهما كان اللي حصل، دي عمرها ما هتكون طريقة نقاش أبدًا. - وأنت مالك.

هتف بما بشير بغيظ فقررت ألا تسكت:

- لما أستاذي يتعرض للإهانة قدامي يبقى مالي ونص، أنت فاكرني هخاف منك.

"كفاية يا أيتن، أرجوك".

وأمام توسلات بغداداي لم تملك إلا أن تصمت، وقد هوى الرجل على أقرب مقعد بينما بشير طالعه باحتقار مقررًا المغادرة. - مسكين.

قالها ما إن رحل بشير وقد نكس رأسه شاعرًا بالخزي فجلست أيتن قبالته وعقبت:

- لا يا دكتور، ده شخص مش محترم، أكيد ربنا نجا الآنسة صبا منه، ثم مين دعبس ده اللي حضرتك ممكن تجوزه لبنتك، ده... صمتت وكأن عقلها في أقل من دقيقة رتب الأمر ففهمت وهتفت: معقول!؟

بدا واضحًا أن دكتور بغدادى سىرحل، شعرت بالقلق عليه
فعرضت أن تساعده لكنه شكرها فغادرت، ثم اتجه بغدادى لسيارته
وكل ما بات مسيطرًا على عقله فكرة واحدة، لن يترك عارف دون
فضحه.

عاد من عمله قبل مواعده، اندفع نحو غرفة إسماعيل وكأنه ما عاد
يُميّز هو بأي شخص ينوي أن ينفجر، والصاعق أن الغرفة فارغة،
والصادم إعلان السبب.

فقد ذهب مع عيسوي لزيارة والدته بالمشفى.

"عيسوي"؟

قالها بشير بغيظ ثم زعق:

– طبعًا ما عشان مصلحته لازم يجري مع عيسوي.

– أنت التجننت يا بشير؟

قالتها اعتماد مذهولة من تصرفات ابنها الذي هتف فيها:

– أنتم خليتوا فيا عقل، عيسوي وأمه أخذوا جدو مننا، راح

معاه يخطبله امبارح ورجع مفكرش يسأل عليا عشان سي عيسوي

عمل مشكلة مع أمه وجه بات معانا، ومها وحسن بقوا سمنا على

عسل، وأنا بقى مين حاسس باللي أنا فيه، مين جنبي في لحظة زي

دي.

قالها بأسى ثم ضرب أحد المقاعد بقدمه وغادر المتزل كالأمس
وعاد مساءً متأخراً.

طرق إسماعيل بابه فتظاهر بالنوم وعندها عاد لغرفته، تردد كثيراً
في سرد ما عنده خشية أن يجرح مشاعره، فاليوم قد تم تحديد خطبة
شجن وعيسوي بالمشفى.

ولو بدا ذلك غريباً فإنه قد حدث، فمن نقل والدة عيسوي
للمشفى كان والد شجن حين توجهها لبيتها هو وابنته برفقة عماد
على إثر مكالمة منها لصديق ابنها استشعر فيها إعياءها، وطوال الليل
لم يرد عيسوي على مكالماتهم واكتفى بالمبيت بمتزل بشير دون
إخبارها، ومع الصباح رد وما إن عرف حتى غادر برفقة إسماعيل،
اطمأن على والدته، واعتذر عما فعله، وهناك تبدل حديث شجن معه
وقد أعلنت له عن موافقتها على طلبه، بل واعتذرت بدورها على
الطريقة التي عاملته بها.

فهل أجبروها؟

بدا واضحاً أن الإجابة لا، حتى مشيرة قد تغير موقفها وباتت
سعيدة بما حدث فأهملت التبريكات على كليهما، عندها قرر إسماعيل
بدوره حسم موقفه وإخبار عيسوي بنيته في الارتباط بوالدته، ولكن
هل سيفرح بشير لو علم؟

أغلق على نفسه باب غرفة مكتبه منذ عودته، لم يشعر بالتشويش
يحتاج عقله على مدار سنوات حياته كما يشعر اليوم، ترك ابنته بجوار
الروايات لتهرب بها من الواقع وهرب هو لكتبه ودروسه وطلابه.
واليوم تنجلي أمام عينه صورة الواقع دون رتوش، رحلت زوجته
وبدلاً من أن يحاول تعويض وجودها دمر بقايا علاقته بابنته، عادت
صبا وهي بدورها ظلت بغرفتها تحلم بالغد، تحلم بمقابلة النجم،
فعارف بنهاية اليوم أخبرها أن فريد سينتظرها غداً، لقد عرف اسمها؟
خفق قلبها بقوة وعادت تطالع مقاطع الفيديو خاصته بينما
أمسك بغدادي بقلمه مقررًا إعلان الحرب على غريمه بطريقته، تذكر
عرض من إحدى الجرائد لكتابة مقالات يومية فاتصل برئيس تحريرها
وعرض فكرته.

والثاني رحّب، بل شجّع بكل ما يملك، لو صدق بغدادي وكتب
مقالات أشعل بها الحرب على عارف فهذا يعني أن الجريدة ستبيع
أضعاف مبيعاتها، فالفضائح دوماً جاذبة، أمسك بغدادي قلمه
وكتب.

"براغادينو عصره ظهر، دكتور يدرس الطب الإيجائي ويغير من
حياة البشر بما يملك من علم لا يدري أحد مصدره، أما عن الباطن
فحدّث ولا حرج، أسألوه من تكون نانسي، أسألوه من يكون فريد،
ودعونا ننفد معاً أكبر عملية نصب نتعرض لها لنسأل من وراءها ومن
المستفيد منها".

وما إن انتهى منه حتى أرسله كاملاً عبر بريده الإلكتروني، وتنهَّد لأنه سيسبق عارف بخطوة، وبصباح اليوم التالي كانت النتيجة المنتظرة، بدلت صبا ملابسها وتأنقت لتكون الأجل، وتوجهت للاستديو ومن خلال التصريح دخلت، كان يتدرب من أجل فيلمه القادم يتوسط عدة رجال مفتولي العضلات يضربهم لا بل يوسعهم الضرب واللكم بكل قوة:

هيسيسيسح.

والتمتمة من إحدى الواقفات بجانبها:

"يا اختي عليه!"

وغيرة ما كانت تظنها ستظهر لكنها ظهرت وبقوة حد أمنية أن تقتلع عين كل واحدة منهن لأنها تشاركها مشاهدته، أتمى التدريب فأمسك بزجاجة ماء ورفعها على فمه ليرشف منها وما تبقى سكبها فوق رأسه ثم نفضه وتابعت هي قطرات الماء التي تتسابق في الهطول من شعره لتلامس عضلاته، وقد ناوله مساعده منشفة وقميصاً جافاً عوضاً عن ذلك الذي يرتديه.

هل سيبدله هنا؟

لم تنتظر أن يفعل وقد اضطربت كل مشاعرها دفعة واحدة: حجل حب، خوف وغيره، عليها أن ترحل من هنا، فاتجهت نحو السلم المعدني الذي صعده من قبل بصعوبة ليزداد أساها لأنها تعثرت بالترول، فكعب حذاءها قد انحسر بين درجتين فكان عليها أن تخلعه، بكت بشدة فاجأها من نفسها، لم تقابله وانحسر حذاؤها والآن هي

مضطرة لخلع الزوج الآخر والسير حافية القدمين واللعنة لو رآها هكذا.

خطت بسرعة لتخرج من المكان لكنه استوقفها بنداءه فالتفتت بصدمة لتجده يسأل وهو ممسك بزوج حذائها المحشور بيده:

– بتاعتك؟

هزت رأسها بنفي قاطع وقد حاولت أن تمسح آثار الدموع من وجهها وجوابها فرض عليه أن يضحك وهو يرى الزوج الآخر من ذات الحذاء بيدها فصمتت ثم مدت يدها لتتناول منه زوج حذائها لكنه لم يفعل بل جثا على إحدى ركبتيه ليلبسها إياه بيده ولم تصدق أنه فعل، بل تناول منها الزوج الآخر ليكتمل ارتداؤها للحذاء، وبعدها رفع يده ليستند عليها ليقف لكنها ابتعدت، فهتف بأسى مصطنع:

– يعني أنا هفضل على كده، الله يسامحك ده بدل ما تساعديني أقوم.

توقفت لحظة لكنها خشيت أن تلتفت فلحق هو بها يهتف:

– سندريلا.

فوقفت وابتسمت والتفتت تطالعه فابتسم ثم تمتمت:

– صبا اسمي صبا.

لكنه رغم معرفة اسمها أعاد النداء والتعقيب:

– يا سندريلا هتروحي إزاي بس بجزمتك بعد ما كعبها اتكسر.

والكلمة استوقفتها فوقفت بمكانها وكأنها لا تجد إجابة، فلحِقَ بها
وَقَرَّرَ:

- ممكن تيجي معايا، وأكيد في أوضة اللبس هيكون في جزمة
مقاسك، ومتقلقيش مش هدفعك تمنها.

ولو لم يتوقف عن مجاملاته واهتمامه فإن قلبها سيقف، أشار لها أن
تتبعه فبدت خطواتها غير منتظمة فعقب بجرأة:

- ممكن تتسندي عليا لحد ما نوصل، أنا مش هضايق على فكرة.
احمرت وجنتها وصممت خاصة بعدما أتى واحد من مساعديه
ليخبره بأمر بدا واضحاً أنه ذو أهمية قصوى، أعطاه إحدى الجرائد
وقد قرأ له ما فيها وعندها تغيرت ملامحه، قبض على الجريدة بكل
عصية ثم قذفها أرضاً والتقط هاتفه وابتعد قليلاً ليهااتف أحدهم،
حشها الفضول لتعرف سرَّ عصيته فالتقطت الجريدة لتقرأ ما بها،
قرأت العنوان وأيقنت أنه من أحد أعداء النجاح الذين استفزهم
نجاح عائلة أبو العزم، وقبل أن تقذف الجريدة تتطلعت للصورة
والاسم "بقلم: بغداداي أيوب".

(12)

خطت ببطء متجهة نحو مكتبها وقد تبدل حالها عن الأمس، وجهها عابس كالعادة، ولكنها ما عادت تزعق، جلست على مكتبها وأخرجت الأوراق التي كتبها عارف والتي أسماها بـ"الجهات الأربع" وقد قررت أن تجتمع بهم فطلبت من مدبولي إخبارهم فاتجه للمقلوب حالهم.

مسعود.

منذ ذلك اليوم ولم يعد هو، بالطريقة ذاتها التي تعامل بها مع حماته تعامل مع صاحب شقته، كسر قدمه ثم أرغمه على تمديد عقد الشقة لثلاث سنوات إضافية، تصرفات أيقن بها أن الأخلاق نقمة، وعادت معه درة لكن ثمة شيئاً كُسر بينهما، حد شعور مؤلم بأن درة كرهته.

عبد الشكور.

حزين مهموم فزوجته لا تريد الغفران وابنته تأثرت للحد الذي فرض على حصانتها الاتصال به لإخباره أن ابنته "تبول بشكل لا

إرادى" نتيجة تأثر نفسيته وأن الأمر تكرر على مدار يومين، بينما لولا تلاحقه باتصالهما كي يعود للعمل معها.

بشير.

صامت ناظم غير مكترث بأحد، حد استيقاظه ومغادرته المنزل مبكراً ليتفادى جده.

عيسوي.

مُرتبك، مُشتت ليس فقط من طلب إسماعيل بل من موافقة شجن، لظنه أنها وافقت مرغمة، وماذا لو وافقت والدته على إسماعيل، بل أليس من حقها؟

النفوا حول الطاولة وهيتهم بالمقارنة بما كتبه عارف عنهم زادت من تشتتها، فهل ستخسر لو نفذت ما قاله؟

قطعت ترددها وبدأت كلامها بالإعلان عن مشروع جديد ستنفذه الشركة، وكان الأمر ليبدو اعتيادياً لو أنها كلّفت كل واحد منهم بمهامه ككل مرة، إلا أنها قررت إعلان الاستثناء حين نظرت لمسعود لتقرر: مسعود سيكون المدير التنفيذي، والمشرف على شغلكم كلكم.

وبقية جملتها قالتها وهي تنظر للبقية الذين صدمهم ما سمعوا، لكنهم تمهلوا لعلها تكمل كلامها فيكتشفوا أنهم سينالون من إغداقها جانب، لكن الصدمة زادت بسحبها من مهام عبد الشكور وعيسوي

لتوسع صلاحيات مسعود، تصرف فرض على المتهور الشعور بالضيق
فعقب:

- يعني إيه كل رسم هندسي ارجع فيه لمسعود ويشترط موافقته
عليه، هو مدني وأنا عمارة، وفي فنيات كثير مسعود عمره ما هيكون
ملم بيها، لأنه مش هيفهمها.

والجملة أشعرت مسعود أنه يتعمد إهانته؛ ولأنه قد أقسم بعدم
التهاون مع أحد لم يفرق بين زميله وعدوه فصاح بغضب:

- أعتقد في طريقة أفضل من كده للنقاش.

- أنا باتكلم كويس وكلامي واضح، ولا أنت عايز تعمل مدير
من دلوقتي.

"عيسوي".

والزعيق منها فرض عليه أن يصمت ثم طالع بشير وعبد الشكور
بكل غيظ لأنهما لم يعترضا، ولأنهما أكملت كلامها التفت إليها
يسمع:

- اللي أنا أمرت بيه هو اللي هيتنفذ، ودلوقتي اتفضلوا كل
واحد على مكتبه.

ورغم قهر عبد الشكور فإنه لم ينطق، خرج بينما تبادل عيسوي
ومسعود نظرات نارية فالأول مغتاظ والثاني يبتسم بتشفٍ، وقبل أن
يلتفت بشير للخروج استوقفه نداؤها وهي تحدد:

- استنى أنت.

وكما أمرت فعل واتجه ليجلس قبالة مكتبها، بدا غير مبالي بكل ما قالته وعندها سألت:

– أخبرارك إيه أنت وصبا.

أجاب باقتصاب:

– كل شيء قسمة ونصيب، وأتمنى أننا نتكلم في الشغل أفضل. وطريقته فرضت عليها أن تطالعه وكأنها تراه لأول مرة، كونه يُحدّد بحسم إلى أي دفة سيتجه الحوار، فهل عليها بالفعل أن تشعر بالقلق منه؟

– بشير لو طلبت منك تقرير مفصل عن ثغرات الشركة ممكن

تفيدني؟

"ثغرات".

قالها مندهش وكأنه لم يفهم المقصد فعقبت:

– قصدي المشاكل المالية أو الإدارية اللي واضحة لك.

وعيناه التمعت ببريق وكأنه عكس ما دار بعقله، بدا وكأنه سيسأل: أهو تقرير سيكتب من أجل عارف أم أنه اختبار لشخصه، ودون إفصاح لما دار بخلده جاء رده: تمام، عشر دقائق ويكون على مكتبك.

– بس.

– الموضوع بسيط، أنا كل يوم باكتب ورقة وبأرخها بتاريخ يومها بفصل فيها أي مشكلة حصلت وبسجل أي حاجة مهمة عشان

لو حصل أي حاجة على مدار الأسبوع أرجعلها، وممكن أجيب
لحضرتك أوراق الأسبوع ده تراجعها بنفسك.

عادت تطالعه بشك وبدا وكأنها تختبره حين سألت:

- وإيه أكثر مشكلة موجودة حالياً؟

- أكيد هنغير التعامل مع المقاول اللي كان في كومبوند مدينة
نصر لولا رجوع مسعود كانت هتتحصل مشاكل أكثر، الفترة اللي
غابها، حصل تدمير في المون، عامل من عنده كان بيسرق من
الأسمنت، والأزمة دي خلصت وهو مشاه، كمان في مناقصة هتطرح
كمان أسبوعين تبع هيئة الإسكان هبعث لحضرتك كراسة الشروط
تدرسها ولا أرجع لمسعود بما أنه بقى المدير.

قالها بنبرة ساخرة فرضت على فيروز النظر بجدة ثم ردت:

- أنت تحديداً يا بشير شغلك هيكون معايا، تقدر تتفضل.

غادر بينما ظلت هي تجوب الغرفة بتوتر ثم اتجهت صوب
حاسوبها تتطالع المواقع الإخبارية الخاصة بالصحف التي اعتادت
قراءتها لتُفاجأ بضجة على إثر مقال للدكتور بغداداي أيوب، وغالبية
التعليقات قد قررت أن تدافع:

"عارف أبو العزم لا يمكن يكون نصاب".

لم يشعر بحياته أن عليه الندم حيال شيء، فعله بقدر الندم على مقاله بحق عارف، تلك الضجة التي حدثت على مدار اليوم فرضت عليه الخوف، وما زاده كان تعليق رئيس تحرير الجريدة:

"المبيعات وهمية يا دكتور بغدادى، أنت كنت فين من زمان يا راجل!"

مؤكدًا انتظاره مقال الغد بفارغ الصبر.

زفر وأهى المكالمة وسؤال واحد يئنُّ برأسه؛ هل قرأت صبا ما كتبه؟

والإجابة كانت نعم، قرأت ما بالجريدة ولم تنتظر حتى عودته للمترل فاتجهت لمكان عمله، كان بمكتبه يقاوم فكرة إلغاء المحاضرة، يُمني نفسه أن تأتي آيتن ويتحدث إليها، أو يتحدث لشكري أو إسماعيل.

لِمَ التشتت ما دمتَ على الحق؟ الحق بالنهاية ينتصر.

ورغم التوتر اتجه للمدرج لتصدمه رؤيتها، تركت عملها وأتت باكية، ممسكة بالجريدة في يدها تطالعه بضجر، خطأ عدة خطوات نحوها فرضت الاندهاش على الطلاب الذين تجمعوا من حولهم، وقد أخرجوا هواتفهم لتصوير مقطع فيديو استثنائي لأستاذهم وابنته. "صبا".

قذفت الجريدة بالأرض وخطت نحوه تدعسها بقدمها حتى وقفت أمامه تعقد ذراعيها أمام صدرها وهي تعقب:

- كذب كل كلامك كذب، كل وعودك كذب، كله كذب يا
دكتور بغدادي.

تعقيب قاتل، الثفاف أكبر، طلاب أكثر، والمهمة بينهم مفادها
الدكتور بغدادي كاذب بشهادة ابنته، دليل قوي أن عارف نزيه
والأمر سيتأكد حين يتم تداول الفيديو عبر مواقع التواصل
الاجتماعي.

"أنا يا صبا، أنا كذاب".

قالها بحسرة، حسرة أب يرى خسارة ابنته ويشهد الأمر طلابه
وزملائه وهي لن تتوانى بل ستكمل:

- كذبت عليا عشان تجبرني أتجوز واحد محبوبش ودلوقتي
بتكذب عشان إيه، بتشهر براجل محترم وعيلته ليه، عشان الشهرة
ولا الفلوس، ولا في غرض تاني ومش عايز الناس تعرفه.
ولولا المكان والناس لكنت الإجابة صفة تُفيقها، لكنه تماسك
وهي نظرت شزراً وتابعت:

- لكن لعلمك الناس هتعرف الحقيقة مهما قُلت ومهما عملت،
عن إذنك.

والنفتت راحلة وهو مُسمّر بمكانه دون حراك، هل سيلتفت
ليعود للمدرج ليبدأ محاضرتة؟ هل سيدافع عن نفسه؟ لا لن يفعل!
إذًا هل سيكمل ما بدأه؟ شعر بالتشويش، ولكنه حسَم أمره، نعم
سيكمل.

خرج من عمله ودون وجهة هام بالشوارع، يفكر فيها،
يتذكرها، ويُميني نفسه أن ينسى، حتى استوقفه صوت إسماعيل وهو
يُنادي باسمه، فالتفت بشير بصدمة:

- أنت كنت جاي لعيسوي.

ضرب إسماعيل كفا بكف وهو يرد:

-آه طبعاً وعشان كده مشيت وراك يمكن ألحقه.

صمت وكأنما شعر بالخجل من نفسه فسحبه إسماعيل من ذراعه

وسأل:

- إيه رأيك هعزمك ع الغدا، أعرف واحد بيعب كبدة في العتبة

هايل، ثلاثة بس اللي ماتوا معاه لحد دلوقتي.

ضحك وقد شعر براحة ما إن تجاوزا وسارا حتى وصلا لأحد

المقاهي، ابتاع إسماعيل "سندوتشات الكبدة والطعمية والمخلل"

وطلب المشروب المفضل لبشير "السحلب"، وتناولوا طعامهما ليتفاجأ

بشير بأن جده قد هاتف بغداداي وعرف، نكس بشير رأسه وصمت

فرفع إسماعيل وجهه لينظر في عينه ثم عقب:

- أنا متأكد إن جواك كلام كثير يا بشير، إيه رأيك نخلص الأكل

ونطلب الطاولة ونتكلم للصبح؟

وبعض دموع ترقرت بعينه أوماً رأسه بالإيجاب وعلق بندم:

- ربنا يخليك ليا يا جدي.

دون مقدمات عاد لمزله، ورنّا بالتأكيد لن تعير وجوده أي اهتمام إلا أن كترتي سعيدة، هتفت عند رؤيته بفرحة مبتورة، احتضنها بشدة وقبلها ومن ثم أخوها ثم اتجه إلى غرفة نومه ليضع حقيبة ملابسه وقد قرر أن يغتسل ويبدل ثيابه ثم يعود أدراجه للمكوث بجوار أبنائه وهو يمسك بيده كيسًا مملوءًا بالحلوى أحضره لأجلهما.

"كترتي نفسيتها متأثرة جدًا يا أستاذ عبد الشكور، يا ريت تتعاملوا حضرتك ووالدتها مع الموقف بهدوء، طالما الموضوع نفسي مش عضوي، وربنا يطمنكم عليها".

تلك الكلمات التي قالتها أيتن له بالأمس عبر مكالمة هاتفية، وكأنها قررت أن تضعه أمام مسؤولية وجوده فقرر عندها ألا ينتظر وعاد، لطالما كان يعلم مدى تعلق أولاده به وخصوصًا كترتي، وربما هذا ما زاد صدمتها بأبيها الحنون.

"كل الحاجات الحلوة دي عشاني أنا وتيم".

قالتها بانهار فأجلسها وأحاها فوق قدمه وقال:

– آه يا ستي، كلها عشانكم.

نظرت لوجهه وسألت:

– أنت مش هتيجي تاني.

– ليه بتقولي كده؟

– ماما قالت لنتية أنكم هتطلقوا، وكلهم زعلانين منك.

طوّفها وأخوها بذراعه وجلس معهم يطالع قناة الكرتون حتى نام
تيم بحضنه، دثره بسريره وظن أن كترى ستفعل مثله، لكنها عادت
لحوارها:

- هي ميس أيتن كلمتك؟

وقبل أن يرد بكت بشدة، تسرد ما حدث معها، تحكي عن
تعنيفها من إحدى المدرسات وزعيق أيتن لأجلها وقد طلبت منهم
تفهم ظروفها، ورد فعل والدتها التي كالعادة أهمتها بالغباء.

أجهشت بالبكاء فضمها إلى صدره، ولم تستطع مرة أخرى
السيطرة على الأمر، ارتعشت وتبولّت وخافت حين سمعت رنا
تزرق، وهو من تدخل استوقف زوجته وهدد:

- رنا لو مش هتعرفي تتصرفي صح متدخليش أصلاً.

وكانت تلك أول جملة وجّهها لها منذ عودته، تلاها أمر بإحضار
ملابس نظيفة لكترى وهو من نظفها وبدّل لها ثيابها، وبقيَ بجوارها
حتى نامت وآثر هو النوم بجوارها.

لم تشعر رنا بالغيظ قدر شعورها به اليوم، عاد يفرض وجوده
دون اعتذار، عاد مُقرّاً تجاهلها، شيء ما دفعها للتفتيش مرة أخرى
بماتفه، ويا لتبجحته! لم يغير كلمة السر التي تعرفها، ربما لترى رسائل
الاعتذار والتودّد من لوللا.

"الحقير لسه بيكلمها ويتكلمه".

قالتها ووضعت الهاتف والتفت لتصطدم به خلفها يُحدِّقُ بها
بأسى ودون أن يعقب بكلمة سحب هاتفه لضبط المنبه، ثم حَضَّرَ
لنفسه العشاء وأكل وحده وعاد ليجاور كتري النوم، والحسرة تأكل
قلبه، تبحث عن أي ثغرة تُثير بها المشكلات، دون محاولة استيعاب
واحدة له هو.

أوقفت سيارتها أمام فيلا عارف أبو العزم يملؤها التردد، بقدر ما
فكرت بالجيء بقدر ما فكرت بالألا تراه مرة أخرى، وكان باستطاعتها
أن تفعل؛ ترسل المبلغ المتفق مع أحدهم وتبتعد عن ذلك الرجل الذي
يُشير جنونها، لكنها بنهاية المطاف أتت، والخلاصة هي تريد رؤيته.
طرقت باب الفيلا وانتظرت أن يفتح واحد من الخدم، لتُفاجأ به
يفتح الباب بنفسه وأول تعليق من صاحب الحُلة المنمقة كان:
- في وقتك.

تقدمت خطوة وأغلق الباب وجاورها وهو يتابع:

- اتفضلي.

تطلعت للمكان من حولها بريية، بدا هادئاً وغير مُستأنس، شعور
بالانقباض قابله شعور بالانجذاب لا إرادياً لذلك الغامض الذي أثار
فضولها حد السعي لسبر أغواره، ربما تريد فرض سطوتها عليه بقدر
فرض سطوته عليها، فللقوة مذاق خاص لا يدركه كُثر لكن ما إن
تتذوقه مرة حتى يصيبك إدمانه.

- شاي.

قالها وهو يضع على المنضدة التي تقف أمامها صينية موضوع عليها فنجانان من الشاي لتكتشف أن الكلمة انتشلتها من قاع شرودها، جلس على الأريكة التي تُقابل المنضدة ثم أشار لها بيده كي تجلس، وحين فعلت عقَّب:

– كنت متأكد إنك جاية.

وطريقته استفزت فيها قوة هو بات على يقين من أنها قشرة مهترئة، أكسبت صوتها نبرة ثقة وردت:

– أنا بس حبيت أدفعلك حساب الاستشارات بنفسي.

انزوت ابتسامه ساخرة على ثغره، بينما أخرجت هي دفتر شيكاتها لتسجل قيمة حسابه ووضعته فوق المنضدة ليكون في مقابلته، زادت ابتسامته وهو يمسك الشيك بيده ويضعه في جيبه وعندها سألت:

– هو أنت لوحده؟ اقصد فين فريد ونانسي؟

– اعتبريهم مش موجودين؟

بدا باردًا وهو يمنحها فنجان الشاي وقد بدأ يشرب من فنجانه،

شعرت بالغيظ وسألت:

– إيه اللي خلاك متأكد إن خططك ممكن تنجح مع موظفيني.

– واضح أنك بدأت التنفيذ ولاقيت النتيجة اللي قُلتها لك.

وقبل أن تم بالرد تابع هو:

– وإلا مكنتيش جيت تشكريني بنفسك.

"مغرور".

لم تنطقها ولكنها بدت في عينيها، ارتشفت من فجانها ثم عَقبت:

- مجاوبتش على سؤالي.

ابتسم ببرود وأجاب:

- شغلي، شغلي اللي خلاني متأكد من النتيجة زي ما كنت

متأكد إنك هتيجي.

- لو كنت خليت أي واحد فيهم مدير عليهم ده كان كفيل

يفرق بينهم، اختيارك لمسعود مكش فيه أي ميزة.

- تمام، تقدري تغيري الخطة وتنفذي اللي يريحك أنت، أنا قلت

رأبي وخلص أخذت المقابل.

هدوء وبرود لم تعدده فرض عليها الغيظ فوضعت فجان الشاي

بعصبية ووقفت مقررة الرحيل، وما إن التفتت حتى استوقفها صوته

بنبرة تحدُّ وهو يجيب:

- عايزة تعرفي ليه مسعود بالذات.

وقف ثم خطا نحوها ونظر بعينيها وكأنه يسأل من منا سيسبر

أغوار الآخر، خَفَقَ قلبها ولم تحدد أهو الخوف منه أم أنها مشاعر

أخرى، حوط كتفيها بيديه ثم جذبها ناحيته بقوة فشبهت، ثم أدار

جسدها لتجد نفسها أمام مرآة وهو يهتف فيها:

- بصي في المراية كويس، مسعود أكثر واحد فيهم يشبهلك،

مسعود جواه البذرة اللي لو اتروت هيطلع منها ألغن ديكتاتور،

البذرة دي مش موجودة إلا فيه هو، عبد الشكور أطيب واحد فيهم
يوم ما هيحكمهم هيغلب الرحمة على قراراته وساعتها هيحبوه جدا،
عيسوي هيديهم مساحة حرية بيدعوا ويطوروا من نفسهم تفتكري
شخص زي ده ممكن يتكره، أما بشير بقى فبدقة تصرفاته لا تتوقعي
منه غلطة، لأنه هيقدر لهم الصغيرة ويكافئهم عليها قبل الكبيرة، مش
معنى كلامي إن مسعود ظالم لكن أنت تقدري تخليه يظلمهم، فهمت؟
أدارها لتقابل عينيه عيناها وكلما أمعن نظراته شعرت وكأنما
يسحبها لجهول باتت لا تدركه فأغمضت عينيها، هل ستستسلم
ذات العرش لتعلن عن لحظة سقوطها، ظنت قرب أنفاسه سيُتوج
بقبلتها لكنه تركها وابتعد خطوتين لتتسمر هي بمكانها تطالعه بعينين
ضائعتين، ترجاه إن كان يعرف الطريق أن يعيدها لمسارها لكنه بكل
كبرياء لم يبال، آثرت الصمت فحدّق إلى قسماهما وسأل:

– خايفة كلامي يطلع غلط ولا خايفة يكون صح.

– دي أول مرة أثق في حد غير فيروز.

– خلاص متثقيش.

– أنت مفيش حاجة بتفرق معاك أبداً.

قالتها وقد ترقرت بعينيها الدموع ليصدمها هو بإجابته:

– لا.

ثم خطا باتجاهها خطوة وأكمل:

- عارفة ليه، عشان عارف أبو العزم مش محتاج لحد، لكن أنتم اللي محتاجين له، مش عايزة تثقي متثقيش، عايزة تمشي امشي، عايزة تصدقي عارف صدقيه ولو عايزة تصدقي مقالة بغداداي الهاردة صدقيها، عارف يا فيروز عمره ما هيصيح من وقته ثانية يعمل فيها حساب لحد.

ارتجفت بكت زاد شتاتها، هل ترحل أم تبقى، وكادت تسأل فقط لأنهما باتت لا تعرف، وكأنها ستعلنها بوضوح، لقد فقدت عقلي، لم أجن ولكني عاجزة.

عاجرة عن الفرار.

عاجزة عن القرار.

عاجزة عن الاختيار.

أولاها ظهره فهمست:

- عارف.

لم يرد فاقتربت هي طوقت خصره بذراعيها علها تعرف وعلى شفيتها ملمح ترج لم تصرح به رغم شعورها بالضعف وبدت كلماتها وكأنها تتعلق ببقايا مقاومة حين قالت:

- أنا عمري ما وثقت في حد، وغصب عني شكيت في كل كلام بغداداي.

وبكلماتها انتفض جاذباً إياها من ذراعها لمعمله، حتى وصلا وكانا وجهاً لوجه أمام جهاز ظننت ألا وجود له، طالعته فهمس:

- توقيت جرينتش، ده بجد؟

أشار لجهازه وهو يُعقّب بثقة:

- اللي بغدادي بجهله معتبره نصب ده يبقى أقوى اكتشاف في

تاريخ البشرية، بغدادي بدماعه العتيقة متخيل إن نانسي وفريد

بيمثلوا على الناس، لكن الحقيقة أهم فعلاً اتغيروا.

وبعينها أكمل بقية جملته:

- عارف بجهازه أو من غيره يقدر يغير الكون كله، تفتكري اللي

القدرة دي عنده ممكن يوقفه حد.

والانبهار نفسه أقر بانهاره بهذا الرجل.

"مَن أنت؟"

"عارف أبو العزم"

- أنت... أنت رائع!

- تقدري تمشي لو عايزة.

ومن علياء التعلُّق جاءت الجملة لتهوي بها أسفل سافلين، هو لا

يبالي بقاءها من رحيلها.

- عايزني أمشي.

- أنا قلت لو عايزة.

وبين ضيق وانجذاب زاد التشتت التفتت لترحل فخطت ثلاث

خطوات ثم عادت إليه، طوّقت خصره بذراعيها وهي من أعلن عن

المبادرة، والبداية قُبلة.

ظنت أنها ثمن كبير؛ أتظنه مراهقاً سيسعد بالفتات منها، الصياد الماهر إما أن يحصل على كامل الفريسة وإلا فلا قيمة لما اصطاده. قُبلة أخرى علّه يرضى، لكنه لا يزال غير مُبالٍ، إذاً ستعلن التنازل إن أرادها فلا اعتراض، وتنازل خلف تنازل، وتنازل يتبع تنازلاً حد الفوز، نال فيروز، وهي من قدمت نفسها على طبق من نحاس، حتى انتهى الأمر برمته، أرضيت الآن؟

قام عنها يرتدي ملابسه ويُلقي لها فستانها ياهمال وهو يُعقب:

– اخرجني من الباب الخلفي عشان مش عايز حد يشوفك.

وكادت تبكي بل هي بكت وكأنه يتعمد إهانتها، ودون اهتمام ودّعها حتى عادت لسيارتها، وكأنها استفاقت حين نظرت لوجهها بمرآة السيارة.

والآن...

"من أنت؟"

"لا أدري".

"فيروز عز".

"لا لم أعد بنت عز، فبنت عز اندثرت، ذاك لأنها معه اختارت المذلة".

مقال الثلاثاء.

والإعلان عن المقال يتصدر الصفحة الأولى.

"إلى متى سنترك عقولنا للأكاذيب، أليس منا رجل رشيد؟ لو أنه على حق لكان أقدر عليه أن يواجهنا".

كان إسماعيل بالمقهى حين نادى بائع الجرائد بحماسة مُروّجًا الخبر الأهم، اشترى إسماعيل الجريدة ليقراً المقال وما إن انتهى حتى تتم:

– وآخرة اللي بتعمله ده إيه يا بغداداي؟

قلقٌ فُرض عليه أن يهاتفه ليكتشف أنه آثر المكوث بمقره بعد ما حدث بالأمس مع صبا، حديث اعتمل صدره ففاض به لإسماعيل الذي قرر أن يتحدث إليها.

فاتجه لشركة الفيروز، التي انقلبت صباحًا لأكثر خبر صادم:

"مدام فيروز مش جاية أتماردة".

قاتلتها صبا ببالح دهشتها بينما ذهل مدبولي متمتمًا:

– دي عمرها ما عملتها، معقول تكون عيانة.

سمعهم عارف كونه أتى لتوه، وما إن رأته صبا حتى نكست رأسها، فهم نظرتها فانزوت ابتسامته، هل تريد الاعتذار نيابة عن والدها؟

فتح باب غرفة فيروز واتجه نحو مقعدها وجلس، تابعه مدبولي ثم صبا وقد شعر الأول ببالح الغيظ، هل جاء للاستحواذ على مكان فيروز؟

طلب قهوته فخرج مدبولي لإعدادها، فقررت صبا أن تحسم أمرها وتعتذر عن مقالات والدها، والرد كان ابتسامه ودودة وهو

يرد: - أنا عمري ما هقدر أزعل منك، وهتستغربي لو قتلتك إني
مش زعلان حتى من والدك.

- معقول يا دكتور عارف، بعد اللي عمله؟

- يا صبا، الشجرة المثمرة وحدها التي تقذف بالحجر، وأنا
اتعودت على كده.

- حضرتك أخجلتني بتواضعك وسعة صدرك، أنا كده بقيت
متضايقه أكثر من اللي بابا عمله.

كلمات فرضت على عارف أن يربت على كتفيها بأبوية حتى
انصرفت.

وبعد خمس دقائق قرر الاجتماع بموظفي الشركة الذين أتوا تبعًا
بينما اصطنعت صبا الانشغال كي تتفادى النظر لبشير الذي بدوره
تجاهلها

وعلى طاولة الاجتماعات كان اجتماعهم:

عارف VS الأربعة.

مسعود بجوار عبد الشكور وبالجبهة المقابلة جاور عيسوي بشير
بينما عارف على رأس الطاولة.

وبقدر ما تطلع لوجههم بقدر ما تطلعوا لوجهه حتى نظر لمسعود
وقال:

- ألف مبروك يا مسعود على الترقية، الحقيقة أنت الوحيد اللي
يستاهلها.

وجملة كهذه كفيلة بزرع بذرة كراهية بين مسعود والبقية،
فمسعود فرح بالمدح وهدق عيسوي بكليهما بغيظ بينما انتابت
الحسرة عبد الشكور.

– واشمعى بقى الأستاذ مسعود، إيه اللي فيه مش فينا.

والسؤال من عيسوي فرض الابتسامة على عارف وهو يرد:

– الاعتراف بمميزات مسعود مش معناه التقليل منكم، كل
واحد فيكم جواه مميزات كتير هيجي الوقت اللي نحتاجها وساعتها
هيعرف قد إيه هو مهم.

– معنى كده إن الترقية دي مش ثابتة.

والسؤال من مسعود الذي بدا عليه القلق، كانت إجابته من
عارف ابتسامة مع إيماءة رأس لم توضح إن كان يقصد الإيجاب أم
الرفض ليتبعه سؤال من عبد الشكور:

– يعني هيبقى فيه ترقيات ومكافآت تانية؟

– أكيد.

ورغم أنها إجابة قاطعة من عارف فلم تكن كافية أو شافية، قيلت
لتترك الثلاثة على حيرتهم بينما بشير لا يزال صامتًا يطالعه عارف
بهدهوء بينما يتفادى هو نظراته.

– على كل حال، مفيش حد منكم هيتظلم، كل واحد فيكم

هياخد اللي يستحقه.

قالها عارف بهدوء وبشكل قاطع فرض عليهم الصمت أو للدقة الصبر، وظن هو أن أمر اجتماعهم قد انتهى حتى قرر بشير كسر الصمت فسأل:

- ويا ترى إيه هي المعايير اللي على أساسها هيتم ترقيتنا أو مكافئتنا؟

سؤال راق لعيسوي فصاح يؤكد:

- صح، هو ده السؤال اللي كان لازم نسأله.

انتظر رد عارف لكن مسعود من تولى التعقيب:

- ويا ترى لو دكتور عارف اختارك كان هيفرق معاك تعرف

على أي أساس؟

قالها وقد وقّفَ بمكانه ففرض على عيسوي الوقوف بدوره ليرد:

- أظن من حقنا نفهم الشركة هتمشي إزاي، وده ميزعلش ولا إيه.

- وهو ده برضو اللي فارق معاك، ولا الحقد ماليك عشان أنا

أستحق وأنت لا؟

- بعد ما ادخلنا عشان ترجع بقينا حقودين دلوقتي.

- أنا محدش له فضل عليا يا عيسوي، أنا لو مكمل فده

بمجهودي.

"خلاص يا جماعة بقى استهدوا بالله".

والزعة من عبد الشكور فرضت على كليهما السكوت جبراً،

بينما نظر عارف للجميع وعقّب:

- أعتقد الاجتماع انتهى، تقدروا تكملوا خناق بس في مكاتبكم.

جملة فرضت على مسعود الاعتذار وكذلك عبد الشكور بينما استشعر عيسوي نفاقهم فقرر الخروج من الغرفة ومن بعده عبد الشكور وكذلك بشير الذي طالع عارف بغيظ قبل أن يتركه مع مسعود ويغادر، التفت عندها عارف لمسعود ليقر:

- عايزك تكون قد المسؤلية، أنا اللي رشحتك لفيروز، عايز قيادة من حديد، مش عايزك تسمح لحد أنه يغلط واللي يغلط عايزه عبرة للباقيين.

- حاضر، أوعدك إني هكون عند حسن ظنك.

رد زاد من لمعة عين عارف وقد زادت ابتسامته وبخروج مسعود عاد النظر للمفاهم مرة أخرى، وأمام ملف بشير توقّف، الوحيد الذي سعى أن يفهم فسأل، ولكنه قهَرَّب بفرض سياسة "لغوش لغوش"، وسط ضجيج شجار مسعود وعيسوي تلاشى سؤال بشير ولم تعد له أهمية رغم أنه كلمة سر الأزمة.

عدة طرق على الباب قطعت شروده فلباها هاتفاً:

- ادخل.

وجاءه من توقّعه، يحمل بيده أوراقا ومسودات أفكار لحملة الدعاية للـ"كموند الجديد"، طريقة فرضت على عارف الشعور

بالانتشاء، عبد الشكور يريد إثبات تفوقه وتميزه، عبد الشكور يريد أن يضع عارف أمام ما يفعله.

- ممتاز جدًا.

قالها عارف ففرض على عبد الشكور السعادة بل هو كاد يلمس السحاب لإطراءه، شكره وأوشك على المغادرة لكنه عاد يطالعه بجدية وبنيته سؤال في هيئة طلب:

- دكتور عارف، هو جهاز توقيت جرينتش ممكن يغير حياة أي

حد فعلًا؟

- أكيد، بس ممكن أعرف بتسأل ليه؟

- لأني عايز أدخل جهاز حضرتك، عايز أبقى بـ"توقيت جرينتش"؟

(13)

نقر نقرات طفيفة على مكتبها ثم همس: صباح الخير يا سندريلا،
خفق قلبها بشدة وصدمة أن فريد قد أتى للشركة فتلعثمت
الحروف بشفتيها وهي ترد:

– أنت هنا بنفسك؟

– أعمل إيه، روح أتكلم في الفون رجعت لقيت سندريلا
اختفت، ولولا إن عارف يعرف مكانها كان زمني بادور عليها في كل
بيت عشان أعرف أوصلها؟

تنهيدة طويلة مع بعض تلبك، بينما اقترب هو منها ليسأها عن
حضورها لبروفات عمله، وكلما اقترب شعرت أنها سيغشى عليها،
فلم تملك ردًّا سوى الاستسلام لنظراته حتى قاطعتهما طرقات
إسماعيل على باب مكتبها، عبت حين رآته وزفرت لظنها أنه جاء
يتحدث بشأن بشير، وقبل أي تعقيب منها، حدق إلى من جاورها
هاتفًا: دعبس.

- مين الراجل الخرفان ده .

- نعم!

قالها إسماعيل ثم جذب أذنه يسحبه منها وهو يهتف:

- أنت نسيت نفسك ولا إيه، ده إحنا كنا عارفينك من ريحتك .

- أنت أكيد مجنون؟

قالها ودفعه بقوة أشعرت إسماعيل بالإهانة فبدأ زعيقه وقد رفع عصاه مُقررًا أن يضربه على مؤخرته بكل قوة، وصرخات الاستغاثة من فريد فرضت على الجميع الوجود، خرج عارف وعبد الشكور بينما هرول عيسوي وبشير ومسعود، ليتبع صراخ فريد هتاف صبا وزعيقها بإسماعيل دفاعًا عن فريد بينما أمسك فريد بعصا إسماعيل ليرميها مُقررًا سحبه من قميصه إلا أن يد بشير منعه.

"إلا جدي".

والصدمة ارتسمت على وجوه الجميع حين قرر العادي أن يضرب وحش الشاشة الفضية، أين عضلاته الآن بعدما أوسع بالأمس عدة فتوات ضربًا؟ ولا يدري بشير كيف فعلها، لكنه استفاق حين وجد عيسوي وعبد الشكور يسحبانه سحبًا كي لا يموت فريد بيده، ألا يستحق ما فعله بشير بعض التهنيدات من صبا، حدقت به مصدومة بينما هو بادها نظرًا بنظرة احتقار، وصوت فريد وهو يناديها كي يستند عليها انتشلها، وقد مد يده لتلتقطها يدها بينما حاول الوقوف مستندًا على كتفها وهو يزعق:

- إن ما وريتكم يا كلاب مبقاش أنا فريد أبو العزم.
وكاد بشير يضربه ثانية لكن يد عيسوي منعه فالتفت راحلاً
لمكتبه إلا أن صوت عارف استوقفه وقد تحدث لمسعود:
- أظن موقف زي ده لازم تقابله بحسم وإلا دي مبقتش شركة.
والتفت مسعود حوله وكأنه يتأكد أن الكلام له ثم طالع زملاءه
ثم نظر لعارف ليجده يأمر:
- خصم لبشير لسوء تصرفه وعايز أمضي الخصم قبل ما أمشي.
والإجابة من بشير جاءت حادة ومحددة:
- بأي سلطة هتمضي يا دكتور عارف وأنت ملكش أي
اختصاصات هنا.
ولأن الكلام حق أكمل:
- عشان كده مسعود اللي هيمنه بنفسه وأشوفه على مكنتي
قبل ما أمشي.
قالها وعاد لغرفته تاركاً مسعود يواجه الثلاثة صامتاً تطلع لعيونهم
بخجل وقد شعر بالارتباك بينما حدّق الثلاثة إليه منتظرين رؤية ردة
فعل مديرهم الجديد حتى أولاهم ظهره وقال بمجدة اجتهاد اصطناعها:
- مخصوم منك 3 أيام يا بشير عشان تتعلم تحترم المكان اللي أنت
شغال فيه.
والتفت راحلاً لمكتبه تتبعه نظراتهم وخيبة الأمل.

حين تكون الرؤية ضباباً والجنون هو المحرك للعقلاء، هل علينا توقع التصرفات، أم أن المتوقع سيكون ما تم دفعك إليه؟ والزعقة كانت من عيسوي حين اجتمعوا بمكتب بشير:

- واطي ولو سيبتوني عليه وربنا...

وقبل أن يكمل قاطعه عبد الشكور عله يهدأ:

- مسعود معذور برضو، بشير أقور وو.....

ثم لاحظ نظرة إسماعيل وقد التوت شفثاه، فزفر عندها وآثر الصمت، ومن قرر أن يتولى الرد عليه كان عيسوي وقد أكمل زعيقه: - آمال كنت عايزة يعمل ايه مع واحد بيستظرف على خطيبته.

- كانت وكل واحد راح لحاله، أنا ضربته عشان مد إيده على جدي وبس.

قالها بشير بحسم فرد عيسوي بغیظ:

- أنا مش قادر افهم ازاي ده حصل، أنت وصبا كنتم بتحبوا بعض جداً

- لا يا عيسوي، صبا اتغصبت على الموافقة، فكان طبيعي عند أول فرصة تفسخ الخطوبة، وطالما عرفت أنها رافضة فعند النقطة دي مفيش كلام.

وكلماته صفت عيسوي واستشعر وكأنه يحكي عن شجن وعنه، هتف قلبه شجن ليست صبا، فعقب عقله وما أدراك أنت!

- وحتى لو اتجوزنا بالغضب زي الأفلام والروايات، فمش هتحصل قصة الحب الملهلبة، عشان الجواز مش لعبة، ومهما كان في حب مع اختلافات كبيرة وعقول بتتخبط في بعض، أولادنا اللي هيتبعوا.

وكلماته صفت عبد الشكور واستشعر وكأنه يحكي عن رنا وعنه، هتف قلبه رنا ليست صبا، فعقب عقله وما أدراك أنت! قاطعهم اتصال دكتور بغدادي يسأل إسماعيل عما جرى ولم يملك إسماعيل إجابة، ولم يملك بغدادي إلا الإلحاح بكل رجاء أن يجتمعا بمزله ويتحدثا بشأن بشير وصبا.

وكغريق سعى خلف قشة، متى نفسه لو أنقذته لكن الصاعقة كانت بوصول صبا بعدما قام فريد بإيصالها حتى باب منزلها، وصعدت لتجد والدها بجوار إسماعيل وبشير، فلم تجد إلا المهجوم مبدأ.

"طبعاً قالولك إني كنت مع فريد وخرجت معاه وروحت معاه الاستوديو، ما هو الأستاذ بشير فاكرني طفلة فجاي يشتكيني لبابا عشان أحبه بالعافية، مش كده".

وقف بمكانه وتطلع لعينيها وهي تطلعت بدورها وأردفت:

- افهم بقى يا بشير، أنا عمري ما هحك، أنا بحب فريد، سامع، بحب فريد.

وصفحة والدها كانت أبلغ رد تسمرت بعدها بمكانها وهي
تطالبهم بغضب، وكاد يعيدها لولا أن بشير قرر منعه وسعى لتهدئة
الموقف أمراً صبا بتركهم.

هوى بغدادى على أقرب مقعد، تطلّع لصبا ثم عاد بنظره لبشير
ثم هتف فيها:

- فحرك على بشير هيكون بعد شهر من دلوقتي، هتتجوزوا
معيا هنا لحد ما شقتكم تخلص، وده قرار نهائي.

تركتهم واتجهت لغرفتها ناقمة على والدها، بينما شعر بغدادى
بالانكسار، من قال إنه هو من صفعها بل هي فعلت، بكل ما ملكت
من قسوة وغباء وحدة، لا ليست صفعة بل طعنة.

أغمض عينه علّه يُخفي لوعته ثم ترجى بشير:

- أرجوك أرجوك يا ابني، بلاش تتخلى عنها، أنا عارف أنك

معذور، بس....."

وكاد يبكي إلا أن إسماعيل منعه ورد:

- اهدا يا دكتور، الأمور متتحلش كده أبداً، ادخل لبنتك
واتفاهم معاه، وخرج بشير من الموضوع، أنت بطريقتك دي
بتعقدها، حاول مرة وعشرة، لحد ما الأمور تمدا.

وهذا ما تمناه بينما هي كانت تنهي اتصالها بعارف بعدما طلبت
منه مساعدتها لأنها ستترك المنزل وبجاجة لمكان بديل، ولم يرحب
فحسب بل حدد لها ما ستفعله حتى ترحل.

مساء اتجاه عارف لفيلا فيروز، طرق الباب ففتحت إحدى الخادومات وقد طلب مقابلتها بعدما توجه للصالون، دقائق ووصلت لتسفاجاً بوجوده، ما الذي دفعه للمجيء؟ والإجابة اتضححت حين دار الحديث، إقرار التملك كان بحاجة لإمضائها.

- إيه اللي جابك هنا.

- ده بدل ما ترحبي بيا ترحيب يليق بالوقت اللي قضيناه مع بعض.

"هووووووووش".

هتفت بما وهي تضع يدها على فمه، فإذا به يُقبَلُها، طريقة فرضت عليها المزيد من الارتباك وقد شعرت بالخوف من أن يلاحظها الخدم، فأوصدت الباب وعاد تقف على مقربة، تجاهد نفسها أن تبدو قوية، وكادت تبدأ كلامها وتنتف فيه أو تزعق:

- انسى اللي حصل بينا.

إلا أنه أجمها، جذبها لصدره وطالع عينها بقوة وهمس:

- عايزك تعرفي إن اللي بيدخل عالم أبو العزم بمزاجه يوم ما يقرر

يخرج يبقى بمزاجي أنا، أنا اللي أسمح أو لا.

- أنت عايز مني إيه؟

- عايزك، أنت.

- اللي حصل ده كان غلطة، لحظة ضعف مستحيل تتكرر، أنت سامع، مستحيل.

- لا هتكرر ودلوقتي، مش بمزاجك، بأمرى.

والحديث لم يكن زعيق بل فحيحًا فرضَ على جسدها رعشة، ما عادت فيروز تملك قوة، جاهدت أن تصطنع وفشلت، فبكت عليه يدعها لكنه عاندها، لقد زاد ضعفها من اشتهاها.

قاومت، حاولت، فشلت، انهزمت، انكسرت، سقطت.

هل اكنفيتَ الآن؟

"لا".

ودموعها كانت الرد الأبلغ، لكنه لا يبالي الدموع وأصحابها.

"وآخرتها"

- بكرة هتعرفى آخرتها، عايزك تعدي عليا بكرة الساعة 8.

- عارف أنا...

وقاطعها بيده وقد مسح بعض الدموع التي تجمعت بعينها

وأكمل:

- هكون مبسوط منك لو جيتِ في ميعادك بالطبط، أنا أصلي

بِحترم جدًّا الدقة.

وقالها وخرج لتهوي هي لأقرب مقعد، ضاعت فيروز، ضاعت

للأبد.

مقال الخميس .

ألم تكتف بعد يا بغداددي؟

والسؤال من شكري أجابه بغداددي:

– مش هرتاح إلا لما أحط الناس قدام الحقيقة.

أهذا بصدق ما يظنه، أن من يقرأ مقالاته يسعى خلف حقيقة

يريدها.

– كفاية لحد كده يا بغداددي، سيب عارف في حاله وركز في

مشاكلك مع صبا أحسن.

لكن البطل المغوار لم يُعجبه، إن لم يحرر البطل الجميع من الأسر

فمن سيفعل؟

وبغرفتها كانت صبا تتحدث لعارف وقد دبّر لها أمر تركها

للمنزل ستغادر بالغد وتُفاجئ والدها!

عاد لمزله تسبقه رائحة تبغ الذي ما عاد يفارقه، البيت على ما

يرام وكأن درة أو كما يقول هو هازناً "سوبر درة" قادرة دومًا على

فعل كل شيء:

"ملل".

إنها تحترق كالعادة حتى لا يزرق أو يتشاجر وكلما فعلت كل ما

هو فوق طاقتها كلما فرضت عليه البحث عن صغائر لا تذكر،

تتفادين الشجار، حسنًا.

وجد كوبًا زجاجيًا على مكتبه منذ أمس فدفعه متعمدًا كسره
والآن فلنبدأ الشجار.

"طبعًا، ولا في دماغك تشيلي الكوباية وأهي اتكسرت بسببك
وبسبب إهمالك، اتفضلي بقى تعالي لمي اللي اتكسر ده".
والزعيق من قوته باتت الجيران تلعنه وتلعن عشرته أكثر منها
هي، وعلى إثر الصوت استيقظت إحدى بناته فزاد زعيقه لأن صوت
بكاء بناته بات يضايقه.

- لمي اللي في إيدك ده وسكتيها، مش ناقص صداع.

- حاضر.

ردُّ خانع مستسلم يخرج من فمها وقد اختلط بكل مرارة بات
يحملها قلبها.

- فين الغدا يا ست هانم؟

- حاضر يا مسعود هسكت البنت وأحضر الأكل.

قالتها باستجداء باك فزفر هو وظل يزعق:

- نكد نكد نكد، نكدية شبه أمك، دي عيشة تقصر العمر يا

شيخة، الله يلعن اليوم اللي عرفتك فيه يا بنت عطيات.

وبقية اليوم يمر برتابة أكبر، هو بمكتبه يدخن سجائره، مُنكبًا على

عمله وهي مع بناتها.

واليوم قد ينتهي برغبة تدفعه نحوها تقابلها هي باستسلام جثة

هامدة بين يديه، ربما نائمة من شدة تعبها وربما ما عاد الأمر يعينها

كي تتجاوب، وبالحالتين هو يكره نفسه، هي لا تدري أنها اختارت
أشد طرق العقاب عليه، كل تصرفاتنا تشعره أنها ضحيته، فيزداد
سوء سلوكه عليها يوماً ما تنور أو تغضب.

اليوم هو الموعد المتفق لشراء الشبكة، ومرة أخرى يلوح سؤال
بالأفق، هل تم إجبارها؟

كانوا على عتبات الخروج، حين بدا وجهه متجهماً فاستشعرت
مشيرة ضيقه، ظنت أن طلب إسماعيل السب فقالت بحسم:
- اوعى تكون فاكر إني موافقة.

استوقفته كلماتها، وقبل أن تكمل منعها وعقب:
- مين قالك إن موضوع إسماعيل مضايقي، بالعكس أنا باتمنى أنه
يتم لو هتكوني مبسوطه، الحاج إسماعيل راجل أنا حبيته من قلبي
وحاسس إنه....

كانت مرتبكة لدرجة أن وجهها تبدل للأحمر القاني ونظرت أرضاً
عندها ابتسم وهو يكمل:

- عموماً الحاج إسماعيل قال براحتك، استخيري وفكري ولو
موافقة أنا موافق، المهم عندي أشوفك مبسوطه.
قالها وقبل جبينها وعندها استوقفته هي لتسأل:

- طيب إيه اللي مضايك؟

واصطنع المزاح وتفادى إجابة سؤالها وبمحل الصائغ لم يشغله إلا متابعة شحن وتصرفاتها.

- في حاجة عجبتيك؟

سأل بانتظار إجابتها ليتفاجأ بردها:

- مش فارقة أي حاجة.

ظلت تطالع المعروضات بلا مبالاة واضحة ثم تابعت:

- تعرف إن المشاوير الرسمية في الجواز دي دمها بيكون ثقيل قوي.

هي قالتها بعفوية وكعادتها "دبش" كما تنعتها فاطمة، زاد ضيقه فتركها واتجه حيث الدبل ووقف يشاهدها وحده، جاورتها وقد وقعت عينها على ثنائي أمسكته من مكانها وهي تقرر:

- دول حلويين قوي.

- دول لازوردي يا آنسة ضعف التمن من الدبل العادية.

قالها الصائغ فوضعهم من يدها وهي تقرر:

- تمام.

- لو عجيوكي ناخذهم.

- لا طبعاً، على إيه يعني، القصة مش مستاهلة، خيلينا نجيب أي

حاجة وخلص.

- هي دي خطوبتنا في نظرك، مش مستاهلة ومش فارقة.

- لا أنا قصدي...

التفت خلفه ينادي مشيرة وفاطمة ويقرر:

- شوفوا اللي يربحكم وأنا هرجع أدفع.

ثم ترك المحل برمته وخرج، ما الذي ينتظره؟

تلك اللحظة التي ستقذف فيها الدبلة بوجهه وقد جاورها غيره،
وبعينيها هي ترفرت بعض الدموع وقد خشيت أن تكون المرة
الوحيدة التي وافقت برغبتها قد تسرعت في قرارها، لاحظتها مشيرة
فقررت تلطيف الأجواء وقد ساعدتها لتختار بينما فاطمة تغلي، لم
تختربنتها شبكة غالية كما تمت.

ساعة الصفر ستكون عند التاسعة مساء غدًا الجمعة، لحظة
البداية هي الآن.

فستان أرجواني صارخ حوى جسدها وانساب بنعومة تغوي
الحجر فما بالك برجل؟

وقور خلوق يتقطر منه الاحترام كحبات المطر، لكن إغواءه ليس
بمعضلة، فقط ستمايل بغنج بجوار سيارته ثم تسقط أمامه على إثر
شعور مفاجئ بدوار، عندها سيتوقف عنوة ويهرول من سيارته كي
يطمئن عليها وهو بصعوبة يتحكم في انتفاضة أعصابه، لظنه أنه
صدمها، وما إن يراها حتى تزداد دهشته:

"مدام فيروز".

قالها متفاجئاً وقد تأكد حين طالعها أنها هي رغم أنه لم يلتقيها إلا مرات قليلة لكنه عرفها، تأوهت وهي تستند على كتفه، فساعدها حتى تقف على قدميها ثم سأل:

- أنت كويسة؟

- أنت تعرفني.

- أنا دكتور بغدادي والد صبا يا مدام فيروز.

- آه، آسفة، أنا أصل عربي عطلت و....

بدت منهكة فلم تكمل فعقب هو:

- لو تحبي أوصلك في أي مكان أنا تحت أمرك.

وهو المطلوب يا دكتور، جاورته ثم أملتته العنوان وظلت صامتة، تحرك هو حتى وقف عند أقرب مشفى كي يطمئن عليها، وذوقيات كتلك ستستوقف اي امرأة، وطريقته زادت من شعورها بالذنب هل ستسلمه لعارف بالفعل؟

واصل سيره عندما تحججت بأنها فقط مرهقة وقبل الوصول قطعت هي الصمت وسألته:

- لسه مُصر تكمل المقالات اللي بتكتبها يا دكتور بغدادي؟

- بتقريها؟

- أكيد، بس مش كل الناس هيفهم أو يستوعب اللي أنت

بتكتبه.

تنهد بضيق ثم أجاب وسط شروده:

- لو وسط كل مية، واحد بس هيستوعب اللي بكتبه فده مكسب.

- أنت بتأذن في مالطة.

- يبقى كسبت ثواب الأذان، ثم إن الحق ربنا بينصره وبينصر أصحابه دائماً.

- تفتكر؟

قالتها وقد وصلا عند منزل عارف وتوقفت السيارة، فلم يجبها لأنه لو يدرك الإجابة لقالها، اضطربت لوصولهما ثم طلبت بتردد:

- إيه رأيك في فنجان شاي ونكمل كلامنا بس في بيتي.

- إعفيني مش هقدر أنا أصلي عندي ميعاد و...
"أهلاً".

قيلت بصوت أجش وسمعت بصعوبة من خلف نافذة السيارة، فضغط على زر نزول الزجاج أتوماتيكياً فتجلت الصورة شيئاً فشيئاً:
- عارف.

- أهلاً بيك في بيتي يا دكتور بغداداي.

صدمة لم تكتمل لأن الرؤية بعدها تشوشت، بأقل من دقيقة انغرس بوريده حقنة خدرته، وأمام فيروز سحبه وعلى جهازه صفده، ولم تحشهُ فيروز بلحظة كما باتت تحشاه الآن، فبخلاف بروده كان يدندن وكان ما يفعله يمتعه.

- أنت هتعمل فيه إيه؟

سألت بخوف فأجابها مبتسماً:

- هثبته أن توقيت جرينتش حقيقة مش خيال.

بدأ بتثبيت كل قطع الجهاز حول رأسه بينما ارتعدت هي

وانكملت بأحد المقاعد سائلة:

- هتقتله؟

- لا، هحدد لعقله اللي هيعمله، هيزني ومن صدمته في نفسه

هينتحر.

قالها بجدوء واقترب منها وهو يؤكد:

- وهيعمل كل ده وهو في كامل وعيه.

- وأنت هتستفيد إيه من انتحاره، ثم وارد محدش يصدق إنه

انتحر، وساعتها ممكن أي حد يشك فيك.

ردت بتلثم وهي تبكي وكأنها تستجدي الرحمة لها ولذلك

المُصَفِّد

- ومين قالك إني عايزه انتحار، أنا عايزها جريمة قتل متكاملة

الأركان والقاتل عندي.

- مين؟

- بشير

"All operations completed successfully"

وقاطعهم صوت جهازه ليؤكد، كل العمليات التي أضافها لعقل

بغدادني نجحت، وآخر حساباته كان زعيقها:

- أنا مش ممكن أساعدك أبدًا في جريمة زي دي، أنا مش ممكن
أنزل للمستوى ده أبدًا.

قالتها ودفعته لتجري مبتعدة لكنه جذبته من شعرها وإلى قبضة
يده أعادها وفي أذنيها كان فحيحه:

- طريقك وأنت اللي اختارتيه ولازم زي ما بدأ يكمل، بغادي
لما يفوق هيكون معاك أنت.

- اخرس، مش بنت عز اللي تبقى مومس عشان رغبات مريض
زيك.

- فات الأوان يا بنت عز، يا إما تنفذي اللي بأمرك بيه يا إما
بكرة الصبح هيكون في فيديو طريف قوي ع اليوتيوب لصاحبة
شركة الفيروز اللي قدمت نفسها بمنتهى الرخص لعارف، بس
ساعتها مش هتكون هي دي الحقيقة، لا!
دار حولها وهو يكمل:

- الحقيقة هتكون صاحبة شركة بتستخدم الدعارة عشان تحسن
علاقتها وتأخذ شغل لشركتها، وفوق الكلمة عشرة لامية، وأنت
عارفة الفصايح في بلدنا، شرارة صغيرة وبعدها الناس هتكمل.
"ارحمي، أبوس رجلك".

قالتها وانكبت أرضًا فوق قدمه تقبلها منهارة، وعندها أقر من
عليائه بتشفت:

- أول ما يفوق هتلاقي منه تجاوب واستعداد لعلاقة تجمعكم،
هتطعلي بيه الأوضة اللي فوق، وبعد ما أصوركم هعمل تمويه على
صورك، وهرفع الفيديو بكرة، وبعدها مفيش بيت في مصر مش
هيتكلم عن بغداداي أيوب.

مقال الجمعة

ألا يزال هناك من يقرأ، أو حتى مهتم ليعرف؟
استيقظ من نومه بتملل يجاهد عقله تذكر ما كان بالأمس،
يقاوم شعوراً قوياً بالخزي فالقديس قد سقط في شباك شهوته، ظل
يجوب الغرفة بخوف ممزوج برعب وصدمة، كيف باع أخلاقه، بل لم
يفكر بابتنته، بالأمر خطأ، كيف حدث؟ ربما كان يلحم.
طرقت صبا باب غرفته لتخبره بتحضيرها للفتور وقد بدت
ودودة فدب الأمل بداخله؛ هل ستقتنع بالعودة للبشير؟
ومع أذان الجمعة اغتسل وبدل ثيابه وودعها قبل رحيله بقلبة
فوق جبينها ودعوة أب لا يتمنى إلا صلاح أحوالها، بينما جمعت هي
كل أغراضها وبدلت ملابسها لترحل وقد قررت أن تترك له رسالة
مفادها احتقاره على أفعاله كافة، لأنه ببساطة سقط من نظرها.
وطوال وقت الصلاة وحتى بعد خروجه، لا شيء يضاهاي الهمز
واللمز من حوله، نظرات احتقار، سبة دون سبب، بصقة لأنه مر من
جوار أحدهم ومدخل البناية اجتمع كل الجيران وراحوا يزعمون

وجوده بينهم، والرجل لا يفهم ما الذي حدث، تتصاعد نبرات الحدة بالهتاف:

"اقتلعوا الشجرة الفاسدة من جذورها، طهروا البناية واقدفوا القمامة بعيداً عنا وعن أبنائنا، وكاد يُضرب من أحدهم فأسرع إلى بيته يركض وقد ارتعدت فرائصه".

ينادي صبا ولا حياة لمن ينادي، فقد رحلت.

وانهار أرضاً يقرأ جواهما ويكي بكل قهر، ابنته تركته ورحلت مستعينة بعارف أبو العزم ولن تعود لأنها على يقين من المحال.

فهل انتصر عارف؟ انتصر على صاحب الحق؟ انتصر على

صاحب القضية؟

كيف؟ ولماذا؟ ولم؟

أليس من حق الخير أن ينتصر، بل ألم يقسم الله بنصرته؟

أنا عملت إيه غلط؟

وجاء اتصال كان يحمل الإجابة؛ هل اكتفيت يا بغدادادي؟

"عارف".

هل حقاً تريد إجابة، إذا أدرك شيئاً واحداً، إذا أردت اللعب مع

الشيطان فعليك أن تتحمل مزاحه.

"عارف".

وهذه التمتمة كانت منه لمن وقف أمامه ففرض عليه الخوف وقد

جذبه من ملابسه ليقف ثم تطلع في عينه ولم يجرو بغدادادي حتى أن

يسأله كيف دخل إلى شقته، وكأنه بات يعرف الإجابة، لا شيء باستطاعته الوقوف أمام عارف أبو العزم، استنتاج رآه عارف في عين بغداداي فتمتم عندها:

- هايل بس يا خسارة، فهمت متأخر، بعد ما خسرت كل حاجة.

- فين صبا يا عارف؟

قالها بضعف بينما دفعه عارف ليجلسه على أحد المقاعد ثم استهزأ بضعفه وأجابه بسخرية:

- أنا اللي المفروض أسألك، فين بنتك يا صاحب الفضيلة؟

- أنت ضحكت عليها، اقنعتها تمرب، شوهدت صورتي في عينيها.

- وأنت كنت فين وقتها، ليه ملحقتهاش، ليه سببتها تضيع.

وطالعه بأسى ولم يملك إجابته فأكمل عارف وقد زادت نبرته استعلاءً:

- البطل مش لاقى مبرر لسقوط بنته، ولا غروره هيمنعه يعترف أنه كان السبب، بكذبه وتحاييله واتهامه للشرفا بالباطل.

زعيق فرض على بغداداي الزعيق: مسير الناس هتعرف حقيقتك، أنا عمر اتهاماتي ليك ما كانت بالباطل.

- تبقى بتحلم لو راهنت على الناس، الناس عايزة اللي يلهيها، الناس عمرها ما كانت عايزة الحقيقة، أنت أذنت في المألطة زي ما

قلت، بس تفتكر ثواب الأذان ممكن يكون كافي عشان يمحي خطيئة
إنك زاني.

وهاله ما سمع

"زاني"؟

- أنت كذاب وحقير وضاللي.

والفيديو المصور حين وُضع أمام عينه ألزمه السكوت مصدومًا:

- مستحيل مستحيل، أنا مكونتش في وعيي، أنت أكيد خدرتني،

أنا مستحيل أعمل كده، مستحيل.

- فعلاً، أنت مكونتش في وعيك، كنت تحت تأثير برجة جهازي

لعقلك، كنت بتوقيت جرينتش.

وتبادلا عندها النظر بغدادي ناقمًا وعارف مستهزئًا، يتطلع من

عليائه بمن أدرك هزيمته.

"لو فعلاً بطل وصاحب مبدأ، اخرج للناس وواجههم، قولهم إن

كل تصرفاتك كانت بسبب إن جهازي حقيقة، وساعتها برضو

هتترل من نظرهم".

ساد الصمت لحظات، نكس فيها بغدادي رأسه فسأله عارف

هازنًا:

- اتقرمت.

دار حوله يكمل وقد زاد تمكمه:

- تَو تَو تَو، معقول يكون ده مصير الحق، ومصير الراجل اللي عايز الناس تعرف الحقيقة، طيب إزاي؟

فحَّ وعارف أحكم شراكه والضحية ما عادت تملك ما تقوله، وضع على المنضدة التي تقابله مسدسًا وأشار إليه به وهو يُحدد:

- تقدر تقرر اللي جاي بنفسك، إيه رأيك؟

ودار حوله مرة أخرى وهذه المرة كانت جملته الأخيرة:

- لو خسرت كل حاجة كانت تستاهل في حياتك فإيه قيمة أنك تكمل طالما مفيش فائدة، متخيل أنك تقدر تغير الكون، لا فوق لنفسك، إبليس قدر يخرج آدم من الجنة، وطول ما الدنيا ماشية هيفضل الصراع داير، بس البقاء يا دكتور عمره ما هيكون للمبدأ، ولا للحق ولا حتى للأقوى، فوق وافهم، البقاء دايمًا للأذكي..... يا غبي.

وجثا بعدها بغداددي على ركبتيه وقد نكس رأسه، انهزمت يا بغداددي وانتصر عارف لأنه صاحب الرؤية، لأنه لا يعرف اليأس ولأنه لا يتراجع ولا يتسلم، انهزمت يا ابن أيوب انهزمت، انهزمت.

قالها وتعالت صرخاته بينما تركه عارف وأوهمه برحيله ليهاتف بشير، رنين فرض على اعتماد سحب الهاتف والإسراع لغرفة إسماعيل لتخبره معقبة:

- رد أنت عليه وقوله يبعد عن بشير ويسيبه في حاله بقى

وحين رد إسماعيل لم يمهله بغداددي أي كلام، سوى رجاء بدى في غاية الإذلال لبشير كي يأتي إليه، وصوته فرض على إسماعيل القلق فقرر أنه سيذهب لبيته ليؤازره وعندها، أنهى عارف التسجيل الصوتي ومن ثم المكالمة، سيأتي بشير، ولكن هل سينتحر بغداددي؟
قرر الاختباء والمراقبة بينما بغداددي طالع المسدس شارداً.
"بغداددي".

نداه إسماعيل حين وصل، ولكنه لم يسمعه واللحظة مرت أسرع من ظن إسماعيل حين وجد المسدس بيده وهو يهذي باسم صبا ويلعن نفسه ويمدح عارف وذكاه.
"بغداددي".

صرخة لم تكن كافية من فم إسماعيل لإيقاف من ينس، لقد مات الأمل بقلب بغداددي وبموت الأمل لم تعد للحياة برمتها أهمية، أنهى حياته ولم تكن سرعة إسماعيل كافية حين قرر دفع المسدس من يده أو إسعافه وهو يهتف فيه:

– ليه عملت كده ليه؟

وصوت صراخاته بجوار صوت الرصاص كان كفيلاً لتجمع الجيران والاتصال بالشرطة مع يقين أن إسماعيل هو من فعلها!
أحقاً انتحر بغداددي؟

والإجابة نعم، هُزم لظنه أن الصبر والاستسلام من الممكن أن يكونا وجهين لعملة واحدة.

لينسج القصة ذاتها وإن اختلفت تفاصيلها، قصة كل بطل اتجه
لحلبة التزال قاتل الباطل دون عُدة فصارح حد نزع الروح من
الجسد وعند الهزيمة سأل؛ أين وعد الله بالنصر، صمت الجميع
فزادت حيرته، لكنه بموته اختبر، النيات وحدها ليست كافية.

(14)

"إن كنت تعلم قدراتك وقدرات خصمك فما عليك أن تحشى من نتائج مائة معركة، وإن كنت تعرف قدرات نفسك وتجهل قدرات خصمك فلسوف تعاني هزيمة ما في كل نصر مُكتسب، أما إن كنت تجهل قدرات نفسك، وتجهل قدرات عدوك... فالهزيمة المؤكدة هي حليفك في كل معركة".

سون تزو.

هل انتحر البطل؟ ترك الساحة فارغة أمام عدوه ويئس!

أم أن الجميع هم من تخلوا عنه؟

هل صدقت نيته أم أنه استحق مصيره لأنه كذب؟

بغدادى لم يكذب على أحد، لا بل كذب على نفسه وتلك هي

المعضلة!

ولم تكن نهايته وحده، فثمة بريء بات خلف القضبان بتهمة قتله،

ولن يصدقه أحد لو صرخ ببراءته وعلى رأس القائمة جيرانه.

بيقولك....

بيقولوا....

"إسماعيل كان مبيت النية عشان ينتقم منه بعد اللي عمله هو
وبنته في بشير".

"بغدادى ده أصله زباله، ستات داخله وستات خارجه وإسماعيل
ميعجبوش الحال المايل".

"اللي اسمه بغدادى ده يستاهل القتل وإسماعيل يستاهل السجن".
ونقطة ومن أول السطر، هي ليست شماتة في الدم إنما هو إعلان
بمصير مستحق لكليهما، وبكل عقلانية لو كانوا أبرياء لظهرت
براءتهم، لو كانوا على الحق لكان نصرهم.

ولولا الشدائد ما كنا لنعرف حقيقة من هم حولنا، من يناصرنا
ومن يتخلى عنا، وذلك ما أدركته مها حين قررت حماها أن تُكره
حسن على فسح الخطبة والحجة لن يتزوج الدكتور من حفيدة قاتل.
وبين عشية وضحاها، تلاشت الأحلام، خطبة تم فسحها وأخرى
توجب عليها أن تُقام بجوار بيت مها، ذاك بالطبع مراعاة لعشيرة
والجيرة، ولكي يتسنى لها أن تتطلع من نافذة منزلهم لترى حسن وقد
كسب رضا والدته وعروساً جديدة، ولم تبتك كما توقعت بل فرضت
على والدتها الدهول حين بدلت ملابسها وقررت أن تهنئ العروسين
بنفسها، توجهت بكبرياء وسط المدعوين حتى وصلت إلى والدته
لتبارك لها وله ولعروسه رغم كل همهمة وتمتمة، حفيدة إسماعيل
أرادت أن تعلن أنها لن تنكسر، موقف فرض على بشير مجاورتها
خشية أن يضايقها أحد بكلامه، وما إن رآه حسن حتى كادت

الحسرة تُمزق كيانه، لن تكون مها من نصيبه، أدركها حين رحلت
بجوار بشير، وزاد يقينه بما حين تعالت الزغاريد من والدته عمدًا
لتؤكد أن غيرها ستكون زوجته.

ولم يبد على المتجاورين في الصمت التأثير، منذ سجن إسماعيل وقد
باتت كل تصرفات الناس من حولهم متوقعة، فالأغلبية تأثرت
بحوارات "الميديا" وبرامج "التوك شو" التي صورت بغدادي وإسماعيل
على أنهما خلاصة الشر بالكوكب ومن لم يصدق كانوا قلة خشت
الإعلان عن موقفها.

- لقيت شغل؟

سأها بشير فلم تنتبه فأعاد السؤال بصوت أعلى كي يقطع
شرودها فأجابت:

- من يوم ما صاحب الصيدلية مشاني وأنا لسة بدور.

كانا قد وصلا عند منزلها فتوقف مُقرِّراً ألا يصعد ثم أكد كي
يطمننها:

- إن شاء الله قريب هتظهر براءة جدو، مش عايزك تتأثري
بكلام حد أو ترعلي، ولو احتاجت لأي حاجة فأنا جنبك.

أومأت رأسها في تفهّم وابتسمت وقد قررت أن تضع النقاط
فوق الحروف فقالت:

- أكيد يا بشير، أنت أخويا، أخويا اللي طلعت به من الدنيا.

جدية فرضت عليه أن يفهم، هو لن يكون البديل لحسن وهي لن تكون البديلة لصبا.

لم تكن تدري أنها ستبكي كل هذا البكاء على رحيله، فالراحل بنهاية المطاف والدها، ربما كان عليها ألا ترحل ألا تتركه وحده لذلك النذل إسماعيل ليقتله.

كانت تهذي وهي تلعن وتسب إسماعيل وبشير واللحظة التي دخلا فيها على حياتهما، بينما عارف وفريد يسعيان لمواسمتهما، ولن تنكر أن عارف وفريد كانا نعم الأهل بعد رحيل والدها، نعم الرفقة وتعويض القدر لها بعد قرار تقديم استقالتها من شركة الفيروز لأنها لا تريد رؤية ذاك الحقيير بشير بعدما قتل جده والدها، ولكن إلى متى ستظل معهما دون عمل أو مسكن، وهنا ظهر "مستر باسم" وكان له دوره وهو يشير إلى هيثم:

– الأمورة اللي مع فريد على طول دي يا ترى إيه سكتها.

والنظرة من هيثم لصبا فرضت عليه بعدما حدّق بتدقيق أن

يهتف: – أشوفهالك يا باشا؟

وهنا قد فهم ما يجب عليه فعله.

رَحَلَ وتركها، ولم يتسنَّ لها أن تخبره أنه كان يذكرها بوالدها، لم يتسن له أن يشرف على رسالتها وقد كانت على عتبات فك شفرة

كل ما يحدث، لتظل الأسئلة معلقة بالهواء دون إجابة تاركة صاحبها في مقدمة طريق بلا وجهة، والنداء من آلاء فرض عليها الالتفات لرؤيتها، فركت وجهها واعتدلت تمسح بقايا دموع لم تعد تفارقها، ففرضت رؤيتها على آلاء أن تجاورها مربتة على كتفها وهي تفر:

- مهما كان اللي حصل هيعدي، فاكرة الجملة دي، دي جملتك المفضلة، لا استني وفي كمان واحدة بس عميقة، لعل الخير يكمن في الشر.

وطريقتها فرضت على أيتن أن تبسّم وعندها جذبتها من ذراعها لتخرج من غرفتها وهي تمّتف:

- أيوة كده ابتسمي، ده أنا أصلًا حضرتلك الغدا بنفسي.

وأمام منضدة تحوي (تونة وبطاطس مقلية وعدد من أرغفة الخبز) وضعتها وقد افتخرت بما صنعت.

جاورتها تحاول نفض تفكيرها في كل ما حدث إلا أن الجملة ظلت تنبُّ برأسها على مدار أيام، وكأنها تُمني نفسها لو استطاعت أن تفعل شيئاً، ومع التفكير بدا لها سؤال آخر وجب عليها طرحه.

ما الذي على أصحاب أي قضية أن يدركوه؟

"ربما ألا يظل دورهم محصوراً على الدفاع ضد الهجمات، بل يحتاج ذلك الدور الضعيف إلى التغيير".

كيف؟

وهذا هو السؤال الأصعب، فالكل يريد المخلص والجميع يخشى المبادرة.

ورأسها كاد ينفجر فقامت من مكانها، أعدت كوبًا من الشوكولاتة الساخنة وخرجت للشرفة ظلت تطالع السماء، ومع كل رشفة زفرة وقد تساءلت بحيرة:

لماذا مات من قرر أن يواجه عارف؟

بل لماذا مات بتلك الطريقة الشبعة؟!

هل كان الأمر مدبراً؟

غادرت الشرفة وفتحت حاسوبها وكتبت على متصفح "جوجل"

ساخرة من نفسها:

"كيف يفكر عارف أبو العزم؟؟"

وأجابها جوجل بكمّ صفحات متناثرة عليها مقالاته وكتاباته

ومقاطع فيديو له، هل عليها أن تقرأها:

"لَمْ لَا".

قرأت وسمعت حتى بدا لها أنها قد تقتنع بكل ما يقوله، فالرجل

يملك ملكة إقناع قوية، استمرت تُمني نفسها نهاية لما تفعل، تلوم

نفسها وتؤثّبها ورغم ذلك مستمرة حتى توهج عقلها بسؤال، لو أن

كل ما سبق صحيح، فكيف تكون خطط المواجهة؟

أنشأت ملفاً وأسمته "لمبة" وأنارته فكتبت:

الحرب خدعة؟! ولكن أين هي الحرب؟!

تلك هي الخدعة!

وطيلة الليلة التي تلت وفاة بغدادى لم تفارقها الكوابيس، فعجزت عن النوم، وعلى مدار عدة أيام بعدها لازمها الخوف وبجواره إدمان الحبوب المنومة والمهدئات، فما إن تغفو حتى تراه قادمًا "إنه عارف لا بل هو بغدادى وعاد لينتقم، لا بل الشرطة وقد كشفت أمرها".

ولم تستطع مواصلة العمل، أفضل شيء فعلته صبا هو تقديم استقالتها لأنها لا تملك القدرة على مواجهتها، لكن رؤية بشير قاتلة، الاستمرار هكذا يعني الموت يا فيروز، ولأنها فشلت قررت أن تنسحب، اتصلت بمحاميتها واتخذت قرارها.

"ستفوض مسعود لإدارة الشركة وتهرب لأي مكان وحين تستطيع العودة ستعود".

"مصائب قوم عند الآخرين فوائد".

وكان هذا هو العنوان الأمثل للقادم، ولم تخبر أحدًا وبمنتهى السرية غادرت فيروز البلاد، وبصباح اليوم التالي كان محاميتها يطلب مقابلة مسعود ليخبره بتوكيل فيروز له لإدارة شئون الشركة في غيابها وبجوار ذلك:

"مفاتيح عربيتها بحكم أنك بقيت رئيس مجلس الإدارة وأكد هتتحرك برة الشركة وهتحتاجها، وفي حساب باسم حضرتك في

البنك بمبلغ مليون جنيه دي كل السيولة المتاحة لمدام فيروز
وحضرتك لك حق التصرف فيها لو الشركة احتاجتهم".
ومبلغ مالي آخر تركته له لشراء بدل جديدة للرجل الذي
سيصبح واجهة للشركة، وقرابة الساعة كان يمدق إلى الفراغ في غير
تصديق منه لما فعلت فيروز، هل تثق به إلى هذا الحد؟
وأول شخص فكر في إخباره كان بالتأكيد عارف، وأول سؤال
كان؛ إزاي أقدر أتعامل معاهم من غير ما يعملولي مشاكل؟
كان اللقاء بمركز السراب، أتى من سيحل محل فيروز ليسأل
ذات السؤال، وليسير على نفس درب من سبقته.
- في البداية خليههم يحسوا أنك مش زي فيروز، أنت واحد منهم
وقلبك عليهم والقادم أفضل.
ومع المزيد من الشرح فهم مسعود ومع أول اجتماع بهم بدأ
يطبق ما لقنه عارف ليملك عقولهم.
وقف على رأس طاولة الاجتماعات وأمسك بيده صورة
ليطالعوها معه وهو يسأل:
- يا ترى فاكرين الصورة دي؟
"سيلفي الموظفين في الأرض".
تلك الصورة التي جمعتهم ومدبولي قبل سفره، بداية محمومة
بالمشاعر هكذا كانت نصيحة عارف.

إذا أردت أن تمتلك سلطة اشحن خطابتك بكل العواطف الممكنة
تلمر كلماتك إلى عقلهم الباطن مباشرةً، فالمشاعر لا يفسرها العقل
الواعي، والتأثر سيلغى التفكير.

"أنا عمري ما هنسى وقوفكم جنبي وكل اللي عملته معايا لحد
ما بقيت هنا، أنا عايزكم تعتبروني أخ قبل ما أكون مدير، أي حاجة
تحتاجوها أنا تحت أمركم، أنا عمري ما هكون زي فيروز أبدًا".

والتصفيق كان من مدبولي الذي اغرورقت عيناه بالدمع فجرى
ناحيته فأتحاً ذراعيه ليحتضنه، وكاد يبعدة خشية اتساخ حلته الجديدة
الغالية، لكن إشارة عارف فرضت عليه التجاوب، وقد قرر بعدها
صرف مكافأة للجميع، فرحة فرضت على مدبولي إعداد الشربات،
رحلت فيروز وجاء الخلق الطيب.

لكن ماذا عن البقية، هل حقاً شعروا بالفرحة؟

لم يملك عبد الشكور إلا الشعور بالمزيد من الدنو لكنه هنأ
مسعود ومنى نفسه أن يصدق عارف في مساعدته لعل حاله يتغير،
أما بشير فمباركته كانت مقتضبة، بينما عيسوي أظهر غيظه رغمًا
عنه وهو يطالع مسعود وعارف وقد قال:

– مبروك.

ثم ترك الغرفة، ليؤكد لمسعود بما فعله أنه بات عدوه الأول،
خرجوا جميعهم فتبادل عارف ومسعود النظرات، نظرة تقدير أمام
نظرة عرفان، وقد أكد الأول:

- برافو عليك يا مسعود، كنت هايل.

إطراء فرض على مسعود أن يطلب من عارف العمل معه
مستشاراً إدارياً للشركة، نظير أي مرتب يطلبه، وبعد إلحاح كانت
موافقته، ولكليهما كانت تلك البداية "ولا أروع".

دماء لطخت كل شيء، الأرضيات الحوائط بل حتى يده
وملابسه، وبقية الأحداث وازت سرعة البرق، دخول الجيران، إبلاغ
الشرطة ثم عدة روايات اجتمعت لتدينه وعلى رأسها إتهام مباشر من
صبا له، وهو كان ولا يزال يدعي الصمود.

- مقتلتوش والله العظيم ما قتلتته.

- وبصماتك اللي كانت موجودة ع المسدس؟ الجيران شهدوا أنكم
كنتم بتخانقوا.

- والله ما حصل، صدقوني أنا بريء بريء.

وهل يوجد من سيصدق؟

تحقيقات تتوالى وقضية تحوّلت لقضية رأي عام، ثغرات يبحث
عنها محامي الدفاع، وأخرى يتلاعب بها محامي الخصم، وما بين
الاثنين، ضاع إسماعيل وانتهت الحياة في غيابات الحب.

زنانة ضيقة جداً لا تكاد تسعه، وقد تقرر حبسه انفرادياً لأنه
"خطر"، والمتنفس نافذة صغيرة بالقرب من السقف تحمل دوماً
بصيص النور لرجل أراد أن يفلسف الحياة بطريقته، يفرض عليها أن

تحمل له رغم أنفها السعادة، تعانده ويعاقر، تتمتع ويقاوم، وهو لا يملك سوى أنفاسه وقد قرر رغم كل شيء مر أن يجيها، تتحجر الدموع في عينه فيزداد العناد، لن تكسرك الدنيا مهما فعلت بك يا إسماعيل، لن تفعل ولن تجرؤ

خمسة وأربعون يوماً قد مرت هنا واليوم سيتم العرض على النيابة للتجديد، فهل من شيء يستدعي البشارة؟
"مخبيش عليك يا أستاذ بشير، الأنسة صبا مصرة على موقفها من اتهام جدك، وللأسف بصمات جدك على المسدس كفيلة بتأكيد اتهامها".

- البصمات دي لأنه حاول يمنعه لكن مقتلهوش.

- للأسف صعب حد يصدق الرواية دي.

والجملة من الخامي المجاور لبشير وقد كانا بالنيابة بانتظار مجيء إسماعيل، بينما ظهرت صبا بجوار فريد كما العادة يتابعها لفيف من الصحفيين وهي تحاول تفاديهم حتى باتت على مقربة من بشير فقررت الرد على أسئلتهم.

"أقل شيء ممكن يشفى غليلي القصاص، زي ما ربنا قالنا من قتل يقتل ولو بعد حين، إعدام إسماعيل بالنسبة لي أقل حاجة".

تابعت جملتها بنظرة احتقار لبشير الذي ما إن ظن أن احتمال الإعدام قائم حتى هوى قلبه من بين ضلوعه، هل سيتركه حقاً لمصير كهذا ويقف ليشاهد وهو عاجز؟

واللحظات الباقية حتى مجيئه مرت كالدهر، حتى ظهر إسماعيل
فرخص بشير لاحتضانه رغم أمر العسكري المجاور بابتعاده.
ظَلَّ على سكونه بحضن إسماعيل غير قادر على الحركة يريد فقط
أن يطمئن كما العادة بوجوده، والصمت بينهما كانت له السيادة،
تمالك بشير نفسه كي لا يبكي فيزيد من حزن إسماعيل وتمالكَ
إسماعيل نفسه كي لا يبكي فيزيد من حزن بشير فبكى الاثنان.
والتعقيب من إسماعيل كان المزاح وهو يقرص خده لينهاه:
- أنت هتفولّ عليا ولا إيه، أنا لسه عايش وبصحتي وخاطب
وعلى وش جواز ولا أنت ناسي.
وجاهدَ حاله كي يبتسم وهو يرد:
- لا مش ناسي، وليك عليا أول ما تطلع هعملك أحسن فرح
اتعمل في الحلمية وهاكون أول واحد يرقص للصبح.
- خلي بالك من مها ومن أمك وخالتك أنت مكاني دلوقتي.
- حاضر.

علا النداء باسم إسماعيل، فدخل ومعه الخامي، بينما استند بشير
على الحائط يسعى للتماسك، أتى عيسوي ومعه عبد الشكور وقد
أشارا إليه واتجهوا نحوه يسألانه، والرد كان الصمت لأنه لا يملك
إجابة، فجاوراه بانتظار رؤية ما ستؤول إليه الأحداث وبعد ساعة بدا
واضحًا مع خروجه أن القرار كان التجديد واستمرار الحبس على
ذمة القضية.

"خلي بالك من نفسك يا حاج إسماعيل".

"شدة وتزول يا حاج إسماعيل".

والأولى من عيسوي والثانية من عبد الشكور، بينما بشير لم يستطع رفع عينيه لجدته من شدة شعوره بأنه خذله ولم يفعل من أجله شيئاً.

- خلوا بالكم من بشير وهونوا عليه، قولوه مقدر ومكتوب وبلاش يحمل نفسه فوق طاقته.

قالها وابتعد عنوة حين سحبه العسكري المرافق له حتى خرج من المبنى، تابعه بشير وقد سار خلفه عيسوي وعبد الشكور حتى افترقا، وآخر ما رآه كانت ابتسامة منكسرة من إسماعيل حاول بشير أن يبادله إياها لكنه عَجَزَ.

صباح اليوم التالي جمعهم الشركة وزعيق مسعود، مرة بمدبولي لأن القهوة لم تعجبه والأخرى بالهاتف لمقاول الموقع وهو يقرر طرد أحد عماله، عصبية اجتاحتها وزادت حين مر بجوار مكتب بشير فوجد فيه الثلاثي البغيض مجتمعين، أيدعمون بشير من أجل جدته أم يضعون خطة تمرد محكمة عليه؟ والاحتمال الثاني بدا الأقرب لعقله؛ ألم يتمردوا على فيروز من قبله؟

فتتح باب مكتب بشير عنوة ثم سأل بغلظة:

- ممكن أعرّف سايبين مكاتبكم ومتجمعين هنا ليه؟ ولا هي تكية
بابا الباشا.

- أنت حد كلمك يا جدع أنت؟

وكما توقع رد عيسوي بحدة وقد جاهد نفسه كي لا يسبه، فشرع
مسعود بالانتشاء لأنه استفزه، فاقترب منه وعقب ببرود: اسمي
باشمهندس مسعود، ومرة تانية لما تكلم مديرِك تكلمه بكل أدب بدل
ما أضطر أعلمك الأدب.
"مسعود".

والهتاف كان من عبد الشكور بغيظ فرض الدهشة على مسعود؛
من أين أنته الشجاعة فجأة؟
- نعم.

ردّ وقد عقد ذراعيه أمام صدره فأكمل عبد الشكور:

- يا ريت متسوقش فيها وتنسى إنه وضع مؤقت لحد ما مدام
فيروز ترجع.

والبقية تطلعت له باستغراب وكأنه أراد أن يقول ما بات يشنُّ
بصدره وقد طفح كيله، فأكمل غاضبًا:

- أنت ليك شغلك اللي دايماً جاهز على أكمل وجه، ومع ذلك
مش بتقدره، بقالك شهر مكان مدام فيروز وكل اللي شايفه غلطاتنا
ويس.

"صباح الخير".

وكان تدخلًا لا يبدو صحيحًا لمن لمح مكاتبتهم فارغة فبحث عنهم
وحين وجدهم بغرفة بشير قرر أن يقطع حديثهم أو بالأحرى
شجارهم، تطلع الأربعة إليه وهو فعل بدوره، ثم نظر لعبد الشكور
وسأل:

- مالكم؟

ولم يعقب سوى مسعود: متشغّلش بالك يا دكتور عارف، أعتقد
في شغل أهم ورائنا، ويا ريت كل واحد يتفضل على مكتبه، لأن
الشركة لها شغلها مش مفتوحة للتكافل الاجتماعي.

وجملته قيلت بصرامة، فرضت على بشير أن يطلب منهم المغادرة
وعند خروجهم استوقف عارف عبد الشكور قائلاً:

- عايزك تعدي عليا في مكنتي.

وبكل ضيق أجابه:

- حاضر.

وما إن غادروا حتى التفت عارف لبشير ثم اقترب حتى جلس
على أحد المقاعد المقابلة لمكتبه وسأل:

- جدك عامل إيه يا بشير؟

زفر ورد:

- كويس، وأعتقد الأفضل لحضرتك تتفضل عشان أشوف
شغلي وإلا الباشمهندس مسعود ممكن يتضايق.

قالها بتهمكهم فرض على عارف أن يقف في مكانه وهو يُعقب:

- أوكي، بس كنت حابب أنصحك نصيحة، حاول تشوف محامي شاطر، لأن الخامي اللي مع صبا دارس ثغرات القضية كويس، وأكيد جدك مش هيعدي من تحت إيده.

قالها بكل برود وغادر إلى مكتبه أو بالأحرى مكتب مسعود السابق بعدما تم تجهيزه على أفضل ما يمكن، دقائق وطرق باب مكتبه عبد الشكور ودخل ثم جلس قبالة عارف وعندها سأله:

- هه إيه الأخبار؟

وعندها بدأ عبد الشكور في سرد كل أخبارهم بداية من خطبة عيسوي وشجن وكل المشاكل التي بينهما منذ أن بدأت الخطوبة مروراً بمشكلات مسعود مع زوجته التي لمح لها مرة حين قام بتوصيله وبالتأكيد أخبار قضية إسماعيل وتفصيل ما حدث بالأمس في منزل بشير مع والدته وابنة خالته.

"هايل".

والتعقيب من عارف لجاسوسه وقد أكمل:

- حقيقي برافو عليك يا عبد الشكور، أنت كده تستاهل فرصة حقيقية بـ"توقيت جرينتش".

"بجد يا دكتور عارف؟"

والتعقيب جاوره شعور بالفرح كونه نجح في تنفيذ ما أمره به عارف؛ بأن يرافقهم ليعرف كل أخبارهم أو بالأدق ثغراتهم وشعور

آخر بالحقارة حاول أن ينفضه عن نفسه وعمًا بقى من ضميره واجتهد ولن ينكر أنه لم يستطع.

- طيب امتى يا دكتور عارف، أنا منتظر أي فرصة بفارغ الصبر؟

- خلاص يا عبد الشكور، حدد الوقت اللي يناسبك وأنا تحت أمرك.

بمكتبه كان شاردًا يُطالع الحلقة الفضية التي تتوسط إصبعه بضيق، يقارن رغم أنفه بينها وبين صبا ويخشى أنها لا تستحق مشاعره، يقاوم الابتعاد تارة ويفرق رغم أنفه عدة مرات.

تُرى كيف هو طعم الفراق يا بشير؟ وما الوصف المناسب للغدر عندها؟

زفر بشدة ومنى نفسه أن رجاءه بشجن لن يخيب، وعاد وكررها دون حماسة:

"شجن ليست صبا".

حتى أتاه مدبولي ببعض أوراق من مسعود مفادها أنه تم تعديل كل ما قام به من تصميمات بما يوافق رأي مسعود، بل اعتماد ما تم تعديله دون الرجوع إليه.

- وفيين مسعود دلوقتي.

- راح الموقع.

وعندها لم يستطع أن يتمالك غضبه وكان ما بات يحدث في تلك الشركة الملعونة يحدث عن قصد ليدفعه دفعًا ليشور، وها هو في طريقه لمكتب عارف، دفع الباب بيده ودخل صافعًا إياه خلفه، ضرب مكتب عارف بكلتا يديه ثم بدأ يزعل:

- لو أنتم متخيلين إني ممكن أسكت عن حقي، أقسم بالله ما هيحصل، ما هو مش نتعب ونشقى ويطلع عينا وفي الآخر الفضل كله يتنسب لمسعود، المدح لمسعود والمكافأة لمسعود والشكر والتقدير لمسعود، وإحنا ولاد البطة السوداء .

ثم هداً لعله يستطيع التقاط أنفاسه، بينما رفع عارف رأسه يطالعه مستغربًا وكأنه يجاهد عقله التذكر .

- أنت عدوي مش كده.

- عيسوي.

قأها ببالغ غيظه بينما قام عارف من مكانه ليقف قبالته وهو يكمل تظاهره:

- أه، افتكرتك.

ثم صمت للحظة ثم تابع:

- أنت اللي فيروز كانت عايزة تمشيك يوم ما قررت ترقى مسعود، بس أنا قتلها ياخذ فرصة.

"أفندم"؟

والصدمة ارتسمت على ملامح عيسوي وبظهورها آن لعارف أن يكمل:

- الغريبة إنك بدل ما تحترم الفرصة اللي اتوفرتلك بالعافية نتيجة ضعف قدراتك، وتحاول تحسن من نفسك عشان تثبت مكانك في الشركة، كل يوم بتعمل مشكلة، وده عشان أنت مصر تشوف نفسك أحسن من اللي حواليك، مصر متشوفش نقط ضعفك والقصور اللي فيك، وأنك واخذ اللي تستحقه ويمكن أكثر شوية. - أنت إزاي تتكلم عن شغلي كده، ثم أنت مين أصلًا عشان تقيمه. والزعيق لم يعد بنفس الحدة، ثمة تراجع خافت بدا واضحًا من نبرة صوته أكدَّ لعارف ظنه:

- ومن قالك إن أنا اللي قيمتك أو فيروز أو حتى مسعود. والهدوء احتمال لزعيق وهو يسحب إحدى الأوراق من فوق مكتبه ثم يهتف وهو يضعها في وجه عيسوي:

- ده تقرير كامل في كل ثغرات شغلك، من أكثر من مهندس متخصص استعانت بيهم فيروز وهي بتقييم شغلك، ده غير كم التعديلات اللي اتعمل على رسوماتك الفاشلة والناس اللي قالت لمدام فيروز بكل صراحة أنها محتاجة تغير مهندس العمارة لأنه ضحل ومش بيْفهم، ودي مش أول مرة

ثم رمى الورقة من يده بإهمال على المكتب ولم يجرؤ عيسوي أن يأخذها ليتأكد، ولو فعل لأدرك أنها فارغة ولكن كيف وقد احتلت

كلمات عارف عقله؟ ربما هو يكذب ولكن ماذا لو كان صادقاً؟
"لوعايز تسبب الشركة وتدور على شغل في مكان تاني تقدر من
دلوقتي، ده إذا لقيت مكان يقبل بيك".

والجملة قيلت بجدّة وقد أمسك بعدها برسوماته الهندسية وقذفها
بوجهه فسقطت أرضاً أمام قدم عيسوي، فأنخى يلتقطها ومع انحناءة
رأسه ابتسم عارف وقد أدرك، لقد انكسر الثائر وآن له أن يُخضع!
رفع رأسه بكل غيظ والتفت ليرحل وعندها قرر أن يستوقفه:
"عيسوي".

وقف فاقرب قبالبته مقررًا اللعب بأكبر ثغرة في حياته كلها وبنبرة
هادئة اكتست بحنو قال:

"اعتبرني زي والدك، وأنت زي ابني، تصرفاتك دي ملهاش إلا
معنى واحد، أنت عندك مشاكل كتير، جايز مع والدتك أو مع
خطيبتك، احكي لي يا عيسوي، يمكن أقدر أساعدك".
"معقولة؟"

قالها عيسوي بشك بينما ابتسم عارف وعقّب: جرب تفكر
هتخسر إيه لو جربت؟

وتلك النظرة الحنونة زادت من شكوكه، هل حقًا كان يظلم
الدكتور عارف بظنونه؟

"طيب حاول تعيد التصميمات، وأكيد هيطلع منك شغل أفضل،
وأنا مش هستعجل على ثقتك فيا، لأن اليوم ده أكيد هيبجي.

ثم شمل كتفه بربطةٍ حانيةٍ وأكمل:

- ربنا يوفقك يا عيسوي.

وبالتأكيد من خرج من تلك الغرفة كان آخر غير الذي دخلها منذ دقائق، وعندها زادت ابتسامة عارف، أخرج ورقة من جيبه وأمسك بالقلم وبجوار اسم مسعود المشطوب واسم عبد الشكور المشطوب تم شطب اسم عيسوي ليقى بعدها أمام اسم بشير، لن يأتي اليوم وربما لن يأتي غداً لكنه بالنهاية سيأتي إن لم يكن من أجل مصالحه فبالأكيد من أجل براءة جده.

(15)

إذا نزل مؤمن وكافر إلى البحر فلا ينجو إلا من تعلّم السباحة،
فإن الله لا يجزي الجهلاء.

مصطفى محمود

كانت تطالع سقف الغرفة بضيق، مقيدة ببالغ شعورها بالعجز
حين طرقت أختها باب الغرفة تحمل بيدها طبقاً كبيراً مملوءاً بالفشار
وقد أشفت على حالها، جلست قبالتها تمني نفسها لو استطاعت
مساعدتها ولكن أختها العبيدة لن تكف عن المحاولة.

– باللمبة!

– ماها الللمبة؟

– أنا قرئت الملف على فكرة، دكتور بغدادى استايل، كلي فشار
أحسن.

قالتها وهي تمدُّ يدها لأختها بالطبق فكان رد أيتها إخراجها من
الغرفة عنوة بطبقها وهي تتمتم:

– بت فصيلة صحيح.

عادت أيتن للتفكير لكنها سئمت فقررت ترك غرفتها وجاورت آلاء وقد بدأت تأكل فشار وتتابع معها "المسرحية"، تشرذ فيما تسمع وتضحك على نفس المقاطع التي اعتادت الضحك عليها رغم تكرارها.

- تفتكري إحنا بنضحك عشان فعلا بنضحك ولا عشان اترمجنا
إننا نضحك؟

ولم تُجبها إلا بمزيد من الضحك وهي تتمتم:

- تصدقي بالله، أنت بتفكريني بأحمد زكي في المسرحية دي، يا
بنتي كلمينا بالهجايف.

"هجايف؟"

- أيوة، كلمي الناس بلغتهم.

فكرت قليلاً ثم ابتسمت وسألت:

- هنحارب عارف بالهجايف.

- وهو كان فلح مع الناس إلا لأنه بيهجص.

واستشعرت أن آلاء على حق، والسؤال الذي دار بخلدتها، لماذا
يجب على المثقفين احترام العمق، والعمق دوماً هو تقعير الكلمات
حد التسطیح من كل ما هو بسيط وقادر على الوصول بسهولة
للجميع.

"البساطة ليست سطحية".

ومَن يغلب عارف لا بد عليه أن يفهم ألعيبه، أن يضعه بحجمه الحقيقي دون إنقاص أو تهويل.

علا نور الصباح، اتجهت صوب عملها بالحضانة واجتمعت بأنقى صحبة على الأرض، حيث الرسم بالألوان واللعب بالصلصال، فوقفت بالمنتصف وهتفت:

- فأرادة عندنا مسابقة كل واحد هيعمل من الصلصال اللي قدامه حاجة محدش جرب يعملها قبل كده، بلا وروني شطارتكم.

وتابعتهن في شغف وقد شردت في قدراتهن، وعندنا تنهدت بحسرة، آه وألف آه لو أننا نترك عقولهم على الفطرة، عندها بالتأكيد ستزدهر وتبتكر وتبدع، وفي ذلك الخطر الأعظم

بدأ الأطفال في التوافد عليها، من صنع دميته ومن صنع شخص آلي قادر على تغير المستقبل، ومن بدت شاردة على غير عادتها صامتة تلهو بالصلصال وقد بدا أنها قد تبكي.

- مالك يا كترى؟

- مفيش.

وتلك الإجابة منها لأيتن أقلقتهما فجاورتهما تنظر إلى ما فعلته وتسال:

- طيب أنت حاولتي عملي إيه؟

لم ترد فنظرت لما فعلته وسألت:

- إيه ده يا كترى، ده لاب توب؟

"تو".

ثم صمتت ثم شردت وسألت في أسي:

- هو ممكن اللي بعمله ده يتحول حاجة حقيقية؟

وبعد نظرة إمعان أجابتها:

- طيب مش لما أفهم الأول إيه ده؟

وبعض حماسة أجابتها:

- ده توقيت جرينتش.

ومن فرط ذهولها نسيت كل شيء من حولها وأجلستها فوق قدمها وكان حوارهما، والد كترى يعمل مع عارف ويريد أن يدخل بتوقيت جرينتش وكذلك والدتها، وشجارهما في كل يوم من أجل ذلك، فلم تملك الصغيرة إلا أن تصنع لهما جهازًا بديلًا عليهما يكفان عن الشجار.

- تعرفي حد يساعدي، نوصله بالكهربا عشان يبقى حقيقي؟

- أنا ممكن أساعدك، هاخذ منك اللي أنتِ عملتيه ده وأحاول

أعمل واحد زيه بالكهربا، بس هناخد شوية وقت عقبال ما يخلص.

- ماشي، المهم يبقى عندنا جهاز تاني وممكن بعد ما ماما وبابا

يقعدوه عليه، ناس كتير تقعد عليه من غير فلوس ونفرحهم.

- هاييل هاييل يا كترى، ده أنتِ طلعتي عبقرية.

قالتها أيتن واحتضنتها بقوة وقد شعرت أن كترى وحدها

استطاعت إضاءة أكبر لمبة.

تمدد على سريره وضع كلتا ذراعيه خلف رأسه ناظرًا في الفراغ،
لم يذهب إلى عمله منذ يومين، تحديدًا بعد كلمات عارف له، انكسر
أو في طريقه للانكسار وهذا الشعور كالعقم بقمه، لم يكن يريد أن
يزيد من حزن والدته التي انطوت بعد سجن إسماعيل، فتظاهَرَ طوال
كل ما مضى بأن كل أموره على بُرام، حتى طفح الكيل عن آخره،
وقد زاد شعوره بالنبذ؛ من والده وعمله وزملائه وأخيرا خطيبته.

زفر بشدة وعندها طرقت مشيرة بابه لتسأله عن حاله، اعتدل في
مكانه حينما جاورته وقد تمكن منها القلق فسألت:

- مروحتش الشغل، وشجن مش بتكلمها، مالك يا عيسوي.

زفر ورد:

- هي اشتكتلك؟

ضحك هازنًا فكان ردها:

- بطلت تكلمها ومش عايز تروحلهم، هي مشتكتش هي بس
كانت عايزة تطمن عليك.

زفرة ثالثة ثم أغمض عينيه متنهّدًا بضيق، ثم رد:

- أروح عشان أقعد مع باباها ومامتها ونتكلم في اللي عملته
واللي ناقص والحاجة اللي غليت والآخر أقعد معها نص ساعة
تعاملي بمنتهى البرود، ولا أكلمها ونتخايق لأننا مش عارفين نتفاهم
وشكلنا ولا هنعرف.

بدا عصيًّا وقد قام من مكانه مقرًّا الوقوف في النافذة، التفتت
لتراه وقد زاد شروده فقامت من مكانها وجاورته وقد وضعت يدها
فوق كتفه وعقبت:

- اسمع يا ابني، بطلوا شغل ناقر ونقير بتاع الأفلام العربي ده،
وبطلوا عند ومكابرة، أنت بتحبها وهي كمان، بس كل واحد خايف
من الثاني وعازب يحمي نفسه، كل واحد منكم متوقع الوحش من
الثاني، ومستني الغدر وكسر القلب، واللي بيستنى حاجة لازم
يلاقبها، لأن كل تصرفاته من غير ما يحس بتبقى رايحة به ناحية اللي
خايف منه، ابدأ أنت مفيش ست بتغفل الاهتمام، وانسى أبوك،
وسامحه.

"أسامحه؟"

النتف لها وقد اغرورقت عينه بالدموع مُعقبًا بانكسار:

- يا ريت كنت أقدر، يا ريت، المشكلة إني كل ما أفتكر إنه
كامل حياته عادي ولا كأنه داس على حد مبعرفش، بكرهه أكثر،
نفسى أوجعه ولما بتيجي فرصة وأفتكر إني عرفت بيصدمني إن
تصرفاتي ولا بتفرق معاه.

- وإيه دخل شجن بكل ده.

ولأنه بحاجة للزعيق زعق:

- بتفكرني بيه؛ ببروده، لو قربت زيادة هكرها وأنا مش عازب
أكرهها.

واستوقفته هي برجاء:

- أتأني عشان متظلمهاش، شجن لا هي أبوك ولا هي صبا ولا
أي حد تاني، شجن هي شجن ويس يا عيسوي، اهدا وبلاش تفكر
وأنت مضغوط.

أهت ما قالته والتفت لتخرج من الغرفة فهتفت عندها:

- أنا ناوي أقدم استقالتي.

وكان يدرك أن فاطمة وعبد الغفور لو عرفا، فذلك سيكون كافيًا
لفسخ الخطبة، ولكن هي هل سترضى؟

كانت شاردة وقد أصابها القلق وفكرة واحدة سيطرت على
عقلها، ركض خلفها لأنها صعبة المنال وحين تمت الخطبة استهتر بها.
تطلعت لصور الخطبة بينما أشجان قررت سحب الهاتف منها
علها تقطع شرودها، وما إن نظرت للصور حتى تنهدت وعقبت:
- شوشو بتسرح يا أم شوشو، اللي اداك يدينا يا سيدي.

زفرت شجن بضيق وأشاحت بوجهها عنها فهتفت عندها
أشجان: - الحقني يا شجن عيسوي بيتصل.

انفضت تسحب الهاتف من يدها لتتأكد عندها أن أختها كانت
تمزح وعندها لم يسع شجن إلا قذفها بأقرب وسادة وهي تطردها من
غرفتها، خرجت أشجان وجاءت فاطمة.

فزادت زفرتها، بالتأكيد ستسأل عن سبب انقطاع زيارات عيسوي وتحقق كما كونان، بينما فاطمة ستحملها نتيجة ما آلت له علاقتهما وتأنبها، فهل هي مخطئة بالفعل؟
وما إن تركتها فاطمة حتى قررت أن ترسل له رسالة؛ مفادها "ممكن تكلمني؟"

وانتظرت قرابة الساعة ولا استجابة تذكر وعندها بكت وما كانت تظن أنها قد تفعل
والوجه الآخر لم يكن كما ظنت، فعيسوي كان ممسكاً بهاتفه لا يعرف بما يرد، كتب خمس رسائل وحذفها قبل إرسالها، هل حقاً تبالي أم تتظاهر؟، ما عاد يدري.

يوم لم يكن اعتيادياً بعمله انتهى منه ثم عاد لمنزله يفكر هل لم يعد عارف يثق به؟
بات واضحاً أن عبد الشكور نادم ولا يريد الاستمرار فيما يفعل بل وبدا لعارف أنه بدأ يراوغ ولا يخبره بكل ما يعرف.
اتجه إلى خزانة الملابس ليبدل ثيابه لكنه توقف لثوانٍ وأمام المرأة يتطلع لوجهه.
"حقير".

قالها ثم جلس على طرف السرير منكساً رأسه في صمت بينما كتزي جرت لتجلس فوق قدمه وقد قررت أن تحكي له عما دار في

حضانتها اليوم، سمعها بنصف ابتسامه ثم قبل رأسها، كررت آخر ما
قالته مستفهمة عله يجيبها فأكدت:

- هو أنت مش مبسوط مني عشان هعمل الجهاز ده؟

وبعد تنهيدة مريرة أجابها:

- طبعا مبسوط يا كتري.

شعرت بالراحة فسألت:

- يعني مش هتتخايق أنت وماما تاني؟

سؤال فرض عليه الأسي وأدرك معه معاناة ابنته فأجابها بحسم

مفتعل:

- لا.

- توعديني؟

زادت ابتسامته وضمها دون تعقيب وعندها أتت رنا، تطلعت
إليهما قبل أن تأمر كتري بغسل يديها قبل الأكل فاستجابت للأمر
وخرجت من الغرفة، بينما جاورت رنا عبد الشكور، ليدور الحوار
المعتاد حول عارف وتلح بسؤالها الدائم؛ متى سندخل جهاز عارف؟
هتف بضيق:

- شيلي موضوع يدخلنا ده من دماغك، لو هيساعدني أنا

ماشى، لكن أنت ليه، ربنا العالم جهازه ده له أضرار ولا لا يا رنا.

- قول أنك عايز تتغير للأحسن لوحدك، ماشى يا عبد الشكور.

قالته بعدما وقفت قبالتها ولشدة غيظها منه تابعت:

- بس خليك فاكر إنك لو كنت تنفع كان زمانه دخلك، بس هو محرج يقولك إنك مش مناسب.

زاد غيظه فجذبها من ذراعها حد إيلامها وهو يقف أمامها ويرد:
- يا شيخه حرام عليك ارحميني بقى.

سحبت ذراعها وقد ترققت الدموع في عينيها، فشعر بالندم حين فركت ذراعها من الألم ثم خرجت من الغرفة.

اجتمعوا على مائدة الطعام دون أن يتفوهوا بكلمة فقررت كتري سرد ما فعلت بالحضانة على والدتها وما إن قالت أنها قد تصنع بديلاً لجهاز عارف حتى ردت:

- محدش يا كتري يعرف يعمل جهاز بدل جهاز دكتور عارف، ميس أيتن كذبت عليك ومش هتساعدك وهتروح ترمي الصلصال في الزبالة.

بدا واضحاً كم هي صدمة ابنتها وقد هتفت: لا دي قالتلي هتساعدني وميس أيتن عمرها ما كذبت

- لا كذابة ولما مامي تقول على حد كذاب يبقى كذاب، فاهمة؟
لم تزعق ولكنها كانت محتدة، كانت تشعر بالغيظ حيال زوجها ونفثت غضبها في ابنتها التي تركت الطعام واتجهت لغرفتها واجمة بعدما كُسر خاطرها، وبدوره ترك الطعام واتجه لابنته يطيب خاطرها، واستمر اليوم دون كلام حتى صباح اليوم التالي، لتأكد كتري أن عليها الثقة بمعلمتها، فقد عكفت أيتن على رسم جهاز يشبه ما فعلته

كثري بصلصالها مع إجراء عدة تعديلات وكأنها هي نفسها باتت
تفكر في تنفيذ الفكرة أو على الأقل ستحاول!

ومع عودة عبد الشكور لمزله عصرًا كانت فرحتها وهي تقصُّ

عليه ملخص يومها وقد هتفت بسعادة:

- ميس أيتن مش بتكذب عليا، شوفت بقى.

وحين قالتها فرضت عليه سؤالها:

- وأنتِ فرحانة عشان هتساعدك ولا عشان مش بتكذب.

- عشان مش بتكذب، عشان كده أنا بجيها وبجك أنت كمان

عشان أنت برضو مش بتكذب خالص، صح؟

بدا الوجوم على وجهه واضحًا وكأن ابنته صفعته بكلماتها، وما

إن جمعهم مائدة الطعام حتى استشعر أنه ما عاد قادرًا على تناوله،

تطلّع لابنته وابنه وحاله فشعر بالأسى ودون كلمة اتجه ليبدل ملابسه

وخرج، وأمام منزل بشير وقف وقد شعر بالتردد من الصعود، ربما

يظن بشير أنه يؤازره كما ظن سابقًا، لكنه سيخبره الحقيقة التي يعلم

كم هي مؤلمة.

"ممكن أتكلم معاك شوية على انفراد؟"

وجمعهم سطح منزل بشير وكوبان من الشاي وحديث مطول

انتهى بعلو صوت بشير وشجار وصدمة، وقد وقف أمامه يهتف

بذهول:

- أنت تعمل كده، ليه؟

قالها بشير بمرارة فنكس رأسه أرضاً، ولم يملك إجابة، فأردف
بشير بوجع:

- أنت جبان وخاين يا عبد الشكور، خاين.

ترقرقت بعض دموع في عينه وحاول الدفاع عن نفسه لكن
كلماته هربت منه وباغته بشير:

- اطلع برة، اطلع برة يا عبد الشكور.

قالها بجدة وقد أولاه ظهره، وعندها أدرك حجم ما سببه من ألم
لمن ظن أن ما بينهما أكثر من زمالة عمل، التفت ليرحل فاستوقفه
بشير بجملة واحدة:

- صعبان عليا قوي إني اعتبرتك أخ واقف جنب أخوه في محنته،
عمري ما كنت أتخيل أنك موجود عشان تطعني في ضهري، وإنك
جاسوس عارف وسطينا عشان تنقله أخبارنا.

علق بخذلان:

- أنا آسف قوي يا بشير.

بحسرة رد:

- وأنا عمري ما هسامحك.

وكان هذا آخر ما سمعه، غادر بخطوات مثقلة، وطوال طريق
عودته جاهد نفسه كي لا ينخرط أكثر في البكاء، وقد حسم أمره
بأنه لن يستمر فيما يفعله واللعنة على جهاز عارف بل عارف نفسه.

ليستوقفه اتصال من عارف وكأنه عرف ما فعله، لم يتحدث كثيراً فقط قال أنه سيسمح له اليوم بدخول جهازه وقبل أي ردِّ باغته، رنا بطريقتها للفيلا لأنه طلب منها أن ترافق زوجها.

وطوال طريقها كانت بدورها شاردة، تتخيل المنشورات التي ستكتبها بالفيس بوك عن حياتها بعدما تغيرت، سفر لأروبا، أزياء مميزة بماركات عالمية، قصر وخدم وراحة وسعادة، وأخيراً سيأتي الأفضل.

وصلت واتجهت للفيلا، وطرقت الباب ليفتح عارف عندها، شعرت بالتردد في الدخول حين علمت أن زوجها لم يأت لكنها حسمت أمرها ودخلت لأن عارف مصدر ثقة، جلست على أقرب أريكة وجلس هو قبالتها ثم عقب:

- كويس إنك جيت الأول.

جملها لم تفهم مغزاها فأردف:

- أنا محتاج أتكلم معاك بصراحة، وفي عدم وجود عبد الشكور،

ممكن.

- آه طبعاً اتفضل.

وبدأ حوارهم بشكل علمي مبسط عن مواصفات من يجب أن يجلس على جهازه، كلمات أقرب لما قالتها نانسي مسبقاً عن احتمالية أن عبد الشكور غير مؤهل لدخول الجهاز، وها هو عارف يؤكد:

- عبد الشكور حتى لو دخل جريبتش حياتكم عمرها ما هستغير،
وده لأنه غبي، آسف بس دي الحقيقة اللي مش هقدر أخببها عنك.
بكت ولم تكن دموع مصطنعة بل بكت بأهيار لأن أحلامها
تخطمت وعندها أردف:

- أنا مش بقولك الكلام ده عشان تعيطي، أنا بقولك كده
عشان في حل لكن محتاج منك مساعدة.
رفعت رأسها تطالعه برجاء فأكمل:

- أنتِ اللي تدخلي الجهاز مكانه المهم يقتنع بكلامنا.
وبأسرع ما لديه وصل، دَقَّ جرس باب فيلا الدكتور عارف
ودخل ليرافقهما وقد بدت ملامحهما متغيرة وبالأخص رنا، طالعهما
وقد جاور زوجته ثم نظر لعارف وسأل:

- هو في حاجة ولا إيه؟

- أبدأ، أنا هجيب الشاي وأرجعلكم.

قال جملته وتركهما، عندها هتف عبد الشكور بضيق في زوجته
المتهورة:

- هو أنتِ أي حد يقولك تعالي تروحي، ملكيش راجل تستأذنيه
قبل ما تترلي.

محتد، مغتاظ ورغم ذلك أخفض صوته رغم أنفه بينما هي قررت
الرد غاضبة:

- كالعادة طبعًا خدوهم بالصوت مش كده، عمرك ما هتتغير
أبدًا يا عبد الشكور، واللي تستنى جنبك تغيير تبقى غيبة.
- رنا لو عايزة نتخانقي لينا بيت نتخانق فيه، ويلا بينا أنا لا
داخل جهاز ولا عايز من وش الراجل ده حاجة.
وكان الزيت كان بحاجة للمزيد من النار ليشتعل، هتفت بغيظ:
- أنا مش همشي من هنا قبل ما أدخل الجهاز.
"تدخلي؟"

قالها بصدمة فأكدت هي:

- أيوة، طالما أنت مش عايز تدخل، أنا هدخل، أنت لو راضي
بعيشتك وعايز تفضل محلك سر أنا لا، أنا أستحق الأفضل وأنت
لازم تفهم كده.
"رنا؟"

"في إيه يا جماعة مالكم؟"

قالها عارف بمدوء وقد عاد حاملاً بيده صينية موضوعًا عليها
فنجانين من الشاي، وضعها من يده ثم طالبهما بالتوقف عن الشجار.
"لا يا شيخ!"

زقق بما عبد الشكور وقد وقف قبالتة ثم أكمل:

- أنا دلوقتي بس بقيت شايفك كويس يا دكتور، اصحى وفوق،
وافهم إني خلاص فهمت.

ابتسم عارف ثم نظر له ببرود ورد:

- كل ده عشان قلت أنك لا تصلح لتوقيت جريبتش، كل ده
عشان قلت إن مراتك فرصتها أعلى منك؟

والصدمة ارتسمت على ملامح عبد الشكور، بينما نظرت له رنا
بريبة ولم يعرف عندها ما هو الرد المناسب، ولم يمهلها عارف فرصة
ليفكر، فطَرَقَ على الحديد وهو ساخن:

- كل ده غلِ جواك، للدرجة دي نجاح رنا مخوفك! إيه
مشكلتك لو احترمت قدرات مراتك وإلها أحسن منك؟

- أنت بتقول إيه؟

جذبه من ملبسه عليه يصمت وما إن صمت عارف حتى تحدثت
هي: كفاية بقي، أنت إيه يا أخي؟

"رنا؟"

"بلا رنا بلا زفت، غباء ورضيت، خيانة وعديت فاضل إيه تاني يا
أخي؟ كفاية بقي لحد كده".

كانت تزعق بكل جدية، كأنها تقر كلام عارف كالمسحورة، لقد
صدقته، أو ربما قد وافق كلامه هواها وفي كل الأحوال النتيجة
واحدة.

هتاف يدافع أمام زعيق يهاجم، تدافع كلمات ما عاد يحكمها
عقل:

"أنت مستحيل تكويني رنا!"

"أنت اللي مستحيل تكون عبد الشكور!"

- أنا بقول تروحوا بيتكم وتفكروا بهدوء وتحاولي تقنعيه يا رنا
وأني وقت أنا وجهازي تحت أمركم.
وألقى الشيطان بعظته وتركهما.
عادا إلى بيتهما وقد احتدم الشقاق بينهما، وما عاد باستطاعتها
حتى النظر في وجوه بعضهما البعض.

عدة أيام مرت بدت كترني فيها منطوية بينما أيتن تسعى خلف
فكرة مكتملة توازي جريبتش، كانت تراقب صلصال كترني على
مكتبها حين تعالت ضحكات أختها وقد نادتها:

- تعالي شو في الفيلم ده بسرعة.

- اطلعي من نفوخي يا آلاء.

- تعالي بس.

متدمرة قامت من مكانها واتجهت لتجاورها وقيل الزعيق فيها
على كونها تركت مذاكرتها استوقفها المشهد الذي شاهدته، فمدير
شركة درنجا يرى أن الدعاية السلبية في حق صاحبة الشركة التي
سرفت مدير التسويق من أولاده إيجابية، لأن الجميع سيتحدث عن
شركة درنجا ومن ثم ستزداد المبيعات.

"معقول؟"

جاورت آلاء تسألها:

- اسمه إيه الفيلم ده؟

- اسمه عصافير الجنة ولعلمك بقى، الكلام ده من سنة 55.
وظلت بمكانها تتابع الفيلم لنهايته، ولم يستوقفها قدر ما فعلوه
الثلاث بنات بحق شركة "درنجا" حتى خسرت زوجة أبيهم كل ما
كانت تملك.

"درنجا خلاصة دموع ثلاث صغيرات".

"درنجا يُسبب العمي".

"أوعوا حد يشرب درنجا، كسر يا ابني الإزايز دي".

"عينايا، عينايا درنجا بتسحب النظر".

"معقولة؟"

ههممت بها وقد التمعت الفكرة واستشعرت أن عليها المحاولة
فهتفت:

- عشان كمال يرجع لأمنية، لازم درية تخسر كل فلوسها .

طالعتها آلاء بقلق وسألت:

- أنت كويسة.

اكتسى وجهها بابتسامة نابعة من حماسها وهتفت:

- أكيد، على الأقل لقيت طريقة أحلص بيها من الدرنجا.

واتجهت لغرفتها وكتبت بورقة جانبية:

"بالصور إزاي عملي توقيت جرينتش بمكونات من جوه مطبخك

وأنصف من الجاهز بكتير".

هي العادة أو هكذا ستبدو، هو يزعم وهي صامته هو يشور وهي صابرة، يعود معه بقية أوراق العمل لينهيها في المنزل، يدفن نفسه في العمل لينسى ويصعد، الشركة باتت تنجح بسرعة غير اعتيادية والفضل فعلياً يعود لجهوده، والمال بدأ يغدق عليه وحده!

شركات تريد الشراكة وأخرى تسعى خلف استشاراته الهندسية، لقد لمع اسمه وهذا احتاج لكل جهده وكان حرفياً على حساب كل شيء من حوله، ما لم يكن يدركه أن درة كانت تجاوره على أمل واحد، أن يعود مسعود القديم ذات يوم، لكن ما تأكدت منه أنه كلما صعد أكثر كلما دعس مسعود القديم، حتى أيقنت أنه تلاشى حين تركت إحدى بناهما ترحف أرضاً فتوجهت لغرفة مكتبه المفتوح وعبثت بأوراقه وعندها اجتاح طوفان غضبه الرضيعة حد أنه كاد يضربها فحملتها درة وهربت من أمام وجهه وأغلقت عليها باب غرفتها بينما زفر هو بشدة وعاد يللمم الأوراق وهو يسب ويلعن وما إن هدأ حتى بدأ يدرك كم تغير، جلس يشعل سيجارة ويدخن بينما صوت بكاء صغاره يزيد من احتراق أعصابه.

هل حقاً وصلنا لنقطة النهاية؟

والسؤال كاد يكون بلا إجابة إلا أن عطيات اتصلت به بصباح اليوم التالي لتخبره أن درة قد غادرت المنزل وتطلب الطلاق ولا تريد الاستمرار، وهذه المرة كل شيء يحمل الجدية في تفاصيله كافة، لا تريد ولا ترغب ولم تعد تملك طاقة.

وأغلق الهاتف ودارت به الغرفة، الملعونة ثارت على جبروته
وتريد فراقاً حتمياً، هوى جالساً على مقعده وقد ارتجفت شفتاه
بكلمة "طلاق".

لا مستحيل، درة لا تستطيع أن تعيش بدونه لحظة، ستعود مساءً،
ستثور وتزعق وقد يعتذر ربما عليه أن يعتذر لكنها أبداً لن تتركه.
وكاد عقله يذهب من فرط التفكير حتى هداه لحل واحد؛
الاستعانة بعارف وطلب المشورة وقبل التوجه لغرفته دفع بشير الباب
ودخل واضعاً الأوراق التي كانت في يده أمام مكتبه هاتفاً:

- شغل من تحت التراييزة يا مسعود هي حصلت، هي دي
الأمانة اللي سابتهالك فيروز، بدل ما تحافظ عليها بتاخذ المشاريع
لحسابك.

وهالته عصبية بشير وزعيقه به فكان الرد زعيق أعنف:

- أنت نسيت نفسك يا بشير، وكم ان داخل تزعق!

- أنت اللي نسيت نفسك يا مسعود، لا ونسيت أنا زمايلك
مش خدامين أبوك.

- لا ده أنت اتجننت رسمي، اسمع يا بشير أنت ملكش عندي إلا
مرتبك اللي بتاخذة آخر كل شهر، وأظن من يوم ما فيروز مشيت
وأنت حقوقك محفوظة، غير كده بقي فالشركة تحت تصرفي، وأظن
إن الكل شايف بعينه إزاي الشركة بقت أحسن ألف مرة لما بقيت أنا
المدير.

"أنا اللي طورتها، أنا اللي مفحوت وطالع عيني، أنا.....أنا..."

وآه من الأنا حين تمتلك منا فلا نرى بعدها إلا أنفسنا!

والزعيق المتبادل كان سيد الموقف حد أن سمع كل من في الشركة شجارهما، لكن لم يعد يعني عبد الشكور أو عيسوي شأن شركة الفيروز، منذ متى كانت تلك الشركة الملعونة عادلة، كل منهما أفنى عمره يعمل ويجتهد لعل حاله يتغير للأفضل، وبالنهاية يأتي من يتأسها رغم أنوفهم، فتسحقهم وترضيه، كفى يا شركة الفيروز! كفى طالما أن خيرك لم يكن يوماً لأهلك.

"كفاية".

قالها عيسوي وقام من مكانه متجهًا لمكتب مسعود لتقديم استقالته غير عابئ بزعيقه وبشير، سيضع استقالته ويرحل من هنا للأبد.

"والله اللي مش عاجبه يا بشير يمشي".

وما استشعره عيسوي أنه لو دخل إليه الآن فبالتأكيد سيقتله.

"أنا أعرف أجيب اللي أحسن منكم يشتغلوا وبنص مرتباتكم

كمان".

وبالكاد تماسك عيسوي كي لا يفتح الباب ويدخل لذلك الحقيق، فقبض على ورقة الاستقالة بيده وعاد أدراجه لمكتبه وقد كورها وألقى بها في سلة المهملات حانقًا، أهذا ما يريد، أن يرحلوا، إذا لن يرحل بتلك البساطة أبدًا.

ثم علا رنين هاتفه باتصال من شجن فقدفه على مكتبه وهو
يتمتم:

- مش وقتك خالص.

ولم تملك إلا إعادة الاتصال بعدما خرجت من محل الهدايا، وقد
أعدت ما اتفقت عليه مع مشيرة، لم يرد فزفرت وعندها لم تملك إلا
الاتصال بمشيرة لتحكي لها:

- تفتكري كده ينفع أعدي عليه في الشركة.

- لو مش عايز يرد ابعتيله رسالة، قوليله أنك رايحاله الشركة.
زفرت بقلة حيلة فأردفت مشيرة:

- أنا عارفة إني تقلت عليك لما طلبت منك تروحي، بس عيسوي
نفسيته وحشة قوي وانهاردة راح عشان يقدم استقالته، وجودك
هيهون عليه مع كلمتين حلوين منك، خصوصاً إن انهاردة عيد
ميلاده يعني معاك حجة أهو.

صمتت وقد بدا لمشيرة أنها مترددة فعقبت:

- طيب على كل حال لو مش عايزة تروحي، بلاش.

- لا خلاص هبعته رسالة وأروح، سلام.

وانهت مكالمتها واستوقفت سيارة أجرة وبمجرد ركوبها أمسكت
هاتفها وكتبت:

"أنا جايالك الشركة دلوقتي، واهو نخط النقط اللي مضايقك
طول الوقت ع الحروف، أما أشوف آخرتها معاك يا سي عيسوي".

واللعنة على اختيارها للتوقيت الخطأ دون قصد منها! واللعنة على عقله الذي ترجم رسالتها بأن الملعونة أتت لفسخ الخطبة وإهانتها هنا في الشركة وأمام زملائه، وعلى رأسهم مسعود الذي لن يسعه إلا أن يشمت أو عارف الذي سيتأكد من فشله!

أسرع بالخروج من مكتبه ليرتطم بعم مدبولي، الذي وقف ليحكى:

- الحق يا أستاذ عيسوي، بشير ومسعود ماسكين في بعض. ولم يملك تعقياً لمدبولي فتركه واتجه للخروج ليستوقفه عند باب الشركة رجل قد وقف سائلاً:

- الأستاذ عبد الشكور رسمي عبد الصبور موجود من فضلك. والاستغراب علا ملامح عيسوي وفرض عليه فضوله أن يسأل ليخبره أنه محضر من المحكمة.

وما إن سمع مدبولي ما قاله الرجل حتى أسرع لمكتب عبد الشكور ليخبره، وكلماته فرضت على عبد الشكور الانزعاج، فهول ناحية الباب ليخبره عندها:

- السيدة رنا أمين رافعة على حضرتك قضية خلع.
"خُلع؟"

والصدمة كادت تهوي به أرضاً إلا أنه تماسك وقد أسنده مدبولي بينما ظل هو ينقل بصره بين عيسوي ومدبولي وبين المحضر الذي التفت ورحل.

"خُلع؟"

أعادها عليه يصدق أن ابنة عمته وحببية عمره قد فعلتها حقًا، بل وأرسلت الإنذار إلى محل عمله، وأمام زملائه ودكتور عارف، هل كل ما يهمها هو أن يعرف عارف بما فعلته، لفظته خارج حياتها لأنها تستحق الأفضل.

"عبد الشكور أنت كويس؟"

هوى جالسًا ولم ينطق بكلمة فقط نظر ليعسوي ولم يعرف بما يرد، فكر بكتري وتيم ومصيرهما، وكأن شريط حياته قرر رغم أنه المرور على عقله، عرسه سبوع ابنته وابنه وكل لحظة مهمة، ألم يكن كل هذا بحاجة للتروي؟

خرج بشير من مكتب مسعود صافعًا الباب خلفه، وأول ما فكر به هو التوجه ليعسوي، وللحظة فكر في عبد الشكور، ولكنه رفض الفكرة، فذلك الحقيير لن يسامحه أبدًا.

وعند مدخل الشركة سمع هممتهم وتسمر لرؤيتهم وقد اجتمعوا أمام عبد الشكور فسأل:

- إيه اللي حصل؟

وعندها تبادلوا النظر وعبد الشكور، الكل سيثمت بك يا عبد الشكور وعلى رأسهم بشير لأنه الوحيد الذي يعلم حقيقتك.

قالها في نفسه قهراً ولم ينطق، انفضض من مقعده وخرج مبتعداً عنهم، كفاه طعنات وشروخ وكسور، كفاه أنه كان دوماً "حائطهم المتدني"، الكل يتكئ عليه، وليس من حقه الصرخة.
"سلام عليكم."

والصوت كان لشجن التي وصلت فالتفت لها عيسوي وقد أيقن أنه أخيراً قد عرفها على حقيقتها، شجن هي رنا هي صبا هي كل امرأة حقيرة لا تصون ولا تقدر.
"جاية ليه يا شجن؟"

ولم يصدمها طريقة سؤاله بقدر صدمتها بزعيقه وعصبيته وجذبه لذراعها بعنف فرض عليها أن تتجمد بمكانها.
وفرض على بشير التعقيب:

– بالراحة يا عيسوي أنت اتجنت؟

وربما الإجابة نعم فقد سحبها خلفه متجهاً بما لمكتبه ثم أغلق بابه، والتفت لها جاذباً إياها من كلتا ذراعيها صارخاً:

– جاية تفسخي الخطوبة هنا يا شجن، عايزة فضايح وعلى عينك يا تاجر، ما أصل كرامة عيسوي وشكله وسط زمايله دي هتهمك في ايه، طالما في الأحسن منه يبقى وماله مش كده.

ولأول مرة تستشعر أنها عاجزة حتى عن دفعه، تبكي وتريد الرد ورغم هذا صامتة.

"ايه اللي ناقص عيسوي عشان يبقى عريس يليق بالآنسة شجن،
أنه يبقى نحنوح مش كده، عيسوي محترم وأنت صنف مينفعش معاه
إلا قليل الأدب، الواطي تجروا وراه لكن لو شاري مياחדش إلا
بالجذمة، ايه اللي ناقص عيسوي عشان يعجبك، طيب قولي اللي مش
عجبك، اسمه ولا شكله ولا ظروفه؟"
"كفاية بقي كفاية".

وبصعوبةٍ صرخت عله يتوقف وصراخها فرض على بشر أن
يتدخل فطرق الباب وناداه عله يرد لكنه لم يفعل هو بالأساس لم يعد
يسمع.

ولم يحرك مسعود ساكنًا لظنه أنهم يتشاجرون بسببه، ولم يحرك
عارف ساكنًا لأن أصوات شجارهم جميعًا تمنحه النشوة.
"يا جماعة استهدوا بالله مش كده".

قالها بشر وهو ينظر باتجاه عيسوي الذي لم يلتفت له، كان فقط
يطالعهما، ببالح حزنه من نفسه يكاد يسأل وهو المجروح ألم أكن
أستحق فرصة؟

هل بات عليهما أن يفترقا، ليته يستطيع قبل الفراق أن يخبرها بأن
عينها جميلتين جدًا، بل كل ما فيها، لكنه لن يكسر كرامته لن
يضعف لأجل فتاة مهما تمكن حبها منه.

ابتعد عنها، خطأ خطوتين للخلف ثم خلع خاتمته من إصبعه
ووضعه بيدها، لن يتركها لتبادر كما فعلوا سابقاً.

"ربنا يوفقك في حياتك يا آنسة شجن".

ولم تحكم قبضتها على خاتمته فسقط من يدها، بينما أولاها هو
ظهره متكناً على مكتبه.

وأخيراً استجمعت شجاعتها لتخبره رغم صوتها المبحوح ببيكائها:
أنا مكنتش جاية أفسخ خطوبتنا.

ووضعت أمامه هديته وعقبت:

– كل سنة وأنت طيب، أنا عرفت..... عرفت من طنط إن عيد
ميلادك انماردة.

ولم تكمل كلامها بل ركضت منهارة، فالتفت لطيفها الراحل ثم
نظر لبشير وكأن الصدمة أعجزته عن فهم ما عليه فعله.

وما أسعفه كان هتاف بشير فيه وهو يسحبه ويهز جسده:

– الحقها يا بني ادم، اجري وراها الحقها.

وفعل رغم أنه تيقن أنه مهما يركض فلن يعد باستطاعته اللحاق
بها أبداً.

"هو إيه اللي جراكم بس يا ابني، والله دي عين وصابتكم، فينك
يا ست فيروز ولا يوم من أيامك، كفاية إن الشركة كانت ماشية".

ولم يصمت مدبولي ظل يتمتم وهو يضرب كفاً بكفٍّ على حالمهم
بينما بشير ينظر باتجاه غرفة عارف.

"عارف".

أي تعويذة ملعونة أتت بك إلى هنا، ونظر لأوراق الحسابات التي تلاعب بها مسعود واتجه ناحية غرفته ودخل حتى دون أن يطرق بابه
"و أخيراً يا بشير".

قالها عارف في نفسه ثم نفث دخان سيجاره وسأل:

عايز حاجة يا بشير؟

وبخطوات ثابتة وبصوت هادئ وضع ما بيده من أوراق على مكتبه قائلاً: طبعاً أنت عارف كويس قوي الشغل اللي بيعمله مسعود من تحت التراييزة، أنا متأكد إن مفيش حاجة في الشركة هنا أنت متعرفهاش، لا ده مفيش حاجة في بيوتنا أنت متعرفهاش.

ازدرد لعابه ثم عقد ذراعيه أمام صدره وأكمل:

– مسعود بقى حرامي وعبد الشكور جاسوس، وعيسوي يمشي طالما مش هيبقى تحت طوعك مش كده.

زفر عارف بشدة ثم قام ليقف قبالته، وبدوره طالعه حانقاً، ظل ينتظر مجيئه ليرجوه مساعدته في البحث عن براءة جده، لكنه أتى ليحدثه عن شركة الفيروز وكان جل مشكلاته قد تم حلها.

– أنا مش فاهم أنت عايز تقول إيه.

– أنا اللي مش فاهم أنت هنا بتعمل إيه؟

– بشتغل، زي ما أنتم بتشتغلوا.

- بتشتغل إيه يا دكتور عارف، مستشار إداري لشركة الفيروز،
تقدر تقولي وجودك فادنا بإيه، ولا أنت مش حاسس إنك خربتتها؟
- لا الحقيقة مش حاسس.

ثم أردف برود:

- عارف ليه، لأن كل واحد فيكم كان له حق الاختيار، وكل
واحد فيكم هو اللي اختار بنفسه سكنه، مالي أنا بمسعود لو سرق،
أو عبد الشكور لو خانكم وجالي يحكيالي اللي يخصكم، أو عيسوي
لو عايز يمشي، أنا مش وصي على تصرفاتكم يا بشير، وأظن أنتم
كبار كفاية وتقدروا تفرقوا بين الصح والغلط.

- أنت استغليتهم، استغليت الحوجة والضعف وكسر الأحلام.

- ولو أنا مستغل كده مستغلتكش ليه زيهم.

واستشعر بشير الريبة من طريقته، هل يريد استدراجه كما
استدرجهم، ولم يمهله فرصة، وضع يده على كتفه وأردف:

- أنت معدنك أصيل فمكسرتش، لكن هما فالصو، ورغم قمة
عجزك ملجأتش ليا، مع إنك كنت تقدر لكن حتى محاولتش.

واستشعر أن الوسواس يتلاعب بعقله فقرر أن يستدرك نفسه،
أبعد يده عنوه ثم عقب:

- أنا مليش دعوة بكل الكلام ده، أنا من بكرة هاروح لمخامي
مدام فيروز وأبلغه بكل الحاجات اللي بقت بتحصل في الشركة، وهو

يطلب منها تراجع وتديرو شركتها بنفسها، وساعتها هي اللي تقرر مين يقعد ومين يمشي.

ظَلَّ عارف يطالعه بغيظ متسائلاً؛

أحقا هو أمام نموذج عليه احترام ذكائه، أولاه بشير ظهره ليخرج فاستوقفه عارف مُعقَّباً:

- تفكر فيروز تستاهل منك كل الحرص ده عليها وعلى شركتها.

وقف بمكانه ودون أن يلتفت ردًّا:

- أنا بأعمل اللي يمليه عليا ضميري، المال السايب يعلم السرقة.

- ويا ترى ضميرك هيفضل صاحي حتى بعد ما تعرف أنها السبب في كل اللي حصل جدك.

واللحظة المثلى للإجهاز على بشير أتت، لإدراكه أن الصدمات كفيلة بشل تفكير البشر.

التفت يطالعه بريبة وسأل:

- قصدك إيه؟

أقترب عارف منه وعقَّب:

- بشير أنت عملت إيه عشان تساعد جدك في محتته، غير إنك وقفت تتفروح.

- وأنا كان في أيدي إيه أعمله؟

سأل بشير متهكماً بينما كتم عارف ابتسامة كادت تتراقص على شفثيه وتابع:

- طيب يبقى على الأقل متناحدثش صف فيروز، وهي اللي كانت السبب في كل اللي جرا لبغدادى.

ولم ينتظر أي رد من بات واضحاً تشويشه، رفع هاتفه ليسمح لبشير برؤية فيديو، إنه الفيديو الذي قد سبق نشره قبل موت بغدادى، طالعَه رغم الخجل رغم الخوف والفرع وباللحظة الأخيرة ظهر وجهها.....فيروز؟

اتسعت ابتسامة عارف وهو يطالع وجهه، مشتتاً، مضطرباً، عاد بشير لقواعده، والتجربة باتت بأمان دون مقاومة.

(16)

"عند الأفراد الجنون هو أمر نادر ولكن في المجموعات الأحزاب، الأمم، والعصور الجنون هو القاعدة".

فريدريك نيتشه

بعد مرور أربعة أشهر

كثيرة هي الأقلام التي تتحدث عن حواء، الضحية المظلومة من الجميع، وآدم بالطبع على رأس القائمة، هو الظالم والقاسي والملعون، بل ربما هو نفسه اللعنة.

أفلام ومسلسلات، برامج وحوارات، كلها لا حديث لديها إلا عن تلك التي تعاني الأمرين من تسلط الجميع واضطهادها، حتى صدقتهن وباتت تتصرف وفق ما تم رسمه، تارة بالندية وأخرى وقد تلبسها دور محررة المرأة من قبضة المجتمع الحديدية وبين الاثنين ضاع آدم وكما يقولون "في شربة مية"، آدم لو زعق فهو عليه اللعنة كيف يجرؤ ويفعلها، ولو قصر فهناك من يفعل الأفضل، ولو أخطأ فيا ويله! وما بين نيات حسنة لإنصاف حواء وقضايا تم مناقشتها مجدية مروراً

بمغلاة واضحة بات الهدف منها الترتيح على حسابها، تم طحن آدم دون تفرقة بين غث وطيب.

فمتى سنتوقف عن تجريد آدم من رجولته؟
"هانت".

فات الكثير ولم يعد ما هو أكثر، فكتالوج الرجولة الحصري قد تبدل بنجاح، وكل القناعات باتت قابلة للتلاعب، وكأن الحياة لم تكن يوماً "دائرة"، حواء تربي وتضع برأس آدم ما تريد حصده، وآدم قبل أن يكون الند، قد يكون الأب الأخ، السند والمرئي.
لكن من يعبأ، وصانعو القناعات كل همومهم هي مكاسبهم والميديا على رأس القائمة.

فها هو إعلان توتو اللول قد عاد يتصدر التلفاز، وما إن تطل نجمته الجديدة حتى يتسمر الجميع أمام شاشته فالصاروخ الجديد "أرض جو" أو بالأحرى "سلاح نووي".
"ده كفاية المايوه الوردى".

وإن كان هذا هو حال من يطالعها عبر الشاشات فما بالك بمن يعايشها اللحظة، يراها عن كثب وقد قررت أن تتفرد وتكسر الخطوط بكل ألوانها.
"أكشن".

قالها هيثم لمن وقفت على حافة حمام السباحة ويدها اليمنى ترفع شعرها الأشقر لأعلى بينما اليسرى حوطت خصرها، ثم استدارت

تخلع "بورنس" السباحة وتلقيه ياهمال ثم قفرت لتحتضن المياه جسدها الذي راح يتمايل، بينما الكاميرا تقترب وتبتعد ياتقان مدروس، حتى بدا أنها ستغرق، وهنا سيظهر من العدم "سيد الرجالة" الذي سيركض مسرعاً، يخلع قميصه ليكشف عن عضلاته ثم يلقي بجسده في الماء منقداً إيها بعد ما يضطره الموقف لاحتضانها ولا بأس من قبلة حياة ليتأكد أنها بخير ثم ينتهي المشهد بصدمة حين يعرف أنها زوجة "الباشا"، ورغم هذا لن يوارى أنه قد اشتهاها بقدر ما اشتتهه.

"استووووووووب".

والتصفيق لحالة الإبداع القصوى كان سيد الموقف حد قيام المنتح بالتوجه للفنانة المبدعة وهو يحمل "بورنسا" ويساعدها بنفسه على ارتدائه، بينما يلمي هيثم تعليماته وينهي كلامه بأهم تعقيب همس به في أذنيها:

"كنتي هايلة يا صبا".

"عظمة على عظمة يا أستاذة، يا كيداهم يا اللي هتقعديهم كلهم في بيوتهم".

– مش للدرجة يا مستر باسم، ده أنا لسه في الأول.

قالتها بينما لفَّ فريد ذراعاه حول خصرها مُعقبًا:

– بلاش تواضع يا سندريلا.

– لا والله مش تواضع، لكن...

ولن ينكر أن كلام عارف قد أصابه بمقتل، عاد يومها وعقله وحده يكرر الفيديو الذي جمع بغداداي وفيروز، وألف سؤال يتصارع برأسه

لطالما كان الخجول المتردد العاجز عن المبادرة بأي فعل، وحتى بأحلك اللحظات لم يتغير، ظن أنه لا يملك لجهه شيئاً، لكن الصادم أنه بالأساس لم يحاول، استفاق على ورقة حين شرّد كتب بمنصفها بغداداي، ثم شعب منها عدة أسماء على رأسها فيروز وعارف، صبا وشكري.

وعلى مدار أربعة أشهر مضوا قرر أن يجد خيط عله يثبت براءة جده، بدأ بشكري أهم أصدقاء بغداداي وأكثرهم رجاء لمعرفة الحقيقة، ومنه عرف أيتن؛ آخر المقرين له، تذكر أنه قابلها بمكتبه حين همرته من أجل أستاذها، شكري منحه خيطاً حين قال ما عرفه عن رسالتها التي حدثه عنها بغداداي سابقاً، ثم محامي فيروز الذي رفض المساعدة في البداية ثم بالنهاية تأكّد بشير أنه صدقاً لا يعرف مكانها؛ فأين اختفت بل لماذا؟

إجابة البحث عنها استحق مجازفة، فراقب فيلتها، ليكتشف أن خادمته تتوجه كل جمعة إليها لتنظيفها وترحل عند الرابعة.

فرصة سنحت للتسلل ومع البحث بأرجاء الفيلا انتهى المطاف بغرفة مكتبها، وأمام درج مغلق بمفاتيح بدا واضحاً أنها مع فيروز وحدها لم يعد هناك مفراً من استكمال ما بدأ، سعى لفتح الدرج

بطريقة تعلمها من جده مسبقاً دون كسره ليجد نفسه أمام ما صدمه:

ملف مكتوب بخط يد دكتور عارف، كتب فيه أسماءهم وبجوارها تحليل شخصياتهم.

"مسعود شمالي، عبد الشكور جنوبي وعيسوي غربي وبشير شرقي".

وورقة مكتوب عليها خطة تفريقهم.

هل سيعرف الآن إجابة أكثر سؤال حيره؛ ما الذي يفعله عارف بالشركة؟

(ربما).

لكنه يدرك أن ما عرفه بات أكبر من أن يواجهه وحده، وقف لدقائق وفكر، كيف سيخلق فرصة لتوحيدهم أمام عارف، ولأنه ما عاد يثق بأحد سوى عيسوي قرر أن يبدأ من عنده.

هو تذوق المنصب ولذلك نكهة خاصة، رغم أنه امتزجت بخوف أن يزول منه ما يملك.

وكالعادة ككل مرة سيهرع لعارف ويهتف:

- الحقني.

فيفتح له ذراعيه بترحاب:

- تحت أمرك.

"محمي فيروز يقول إن بشير بيدور عليها، عايز يوصل لطريقها بأي تمن، أكيد هيقلوها على اللي بيحصل في الشركة ومش بعيد أخسر كل اللي عملته".

والصوت معباً بارتجافة، يتبعها تبرير يتلوه تبرير، هو لا يسرق هو فقط يقوم بالمشروعات لحسابه الشخصي، ومن ثم فأموالها من حقه، هو مستغل ربما لكنه ليس سارقاً، هو يكذب ويتعب، يسعى خلف طموح تمنى أن يرى النور يوماً، ولكن كل الطرق قد أغلقت بوجهه.

- متقلقش هساعدك.

وبعدما خرج من مكتبه ظل مشتتاً، ماذا لو عادت فيروز قبل أن يجمع ما تبقى لشراء شقته بدلاً من كونه مستأجرًا، وهل سيترتب على ذلك فقدان درة؟

وهل حقاً عادت درة؟

حين ثارت وتركت المنزل، استطاع وفق نصيحة عارف وأد ما فعلت، والبداية كانت حين غادر الشركة يومها واتجه لشراء هدية لعطيات وأخرى لها وعلبة حلوى غالية ثم اتجه لمنزل حماته، وما إن رآته عطيات حتى تهللت أساريرها، وحملت عنه ورحبت بجفاوة، وبغرفة الصالون كان عمها بجوار خالها بجوار والدتها، لقد سمعوا منها وآن أو ان كلماته.

- يا ماما عطيات صدقيني ضغط الشغل كبير قوي من ساعة الترقية، أنا باشتغل ليل نهار فعلًا، بس ليه.

أخرج من جيبه ورقة عقد ابتدائي وأعلن:
- أنا خلاص هشتري الشقة وكنت ناوي أكتبها باسم درة،
ودي أقل حاجة أقدر أقدمها لإنسانة كافحت معايا ووقفت جنبي.
وفي زاوية ما من الغرفة كان إبليس يصفق، نظرت عطيات لدرة
ببالغ الغيظ، ابنتها تريد الطلاق منه بعدما تحسنت حالته المادية، بينما
عمها وخالها قاما بتقريعها.

عندها بكت وبشدة، حركت دموعها بقايا ضميره، لكنه تشبث
بصورة الوديع وصمت بينما انفجرت هي تتحدث عن إهاناته،
فأجاب مررًا:

- غصب عني، وأنت يا درة المفروض تخلي بالك من البنات،
الورق اللي قطعته حور ده فلوس ناس، إهمالك هو اللي بينرفزي.
وينتهي هو لبيدأ عمها وخالها ووالدتها بتقريعها مرة أخرى، هو
محق، هو معذور، هو ملاك بريء وأجنحته تغطي جنبات الغرفة.
والمباغثة كانت الحل الأمثل اتجه نحوها وجذبها من ذراعها لتقف
أمامه ثم اعتذر وقبل رأسها فهتمت عطيات من مكانها تهمت فيها أن
تعود معه وإلا...

تهديد صريح بالقطيعة والدعاء عليها ودفعها بالإكراه للعودة، وما
إن تحركت حتى انزوت على شفتي مسعود ابتسامته شامته بادلته إياها
بنظرة كره صريحة فرضت عليه العبوس، وما إن عادا لمتزلهما حتى
زقق فيها بكل كيانه:

- الموت أقربلك من اللي في دماغك، لو انطبقت السما على الأرض أنا مش هطلق.

تطلعت لعينه لتشعر وكأنها تراه لأول مرة، هو رجل آخر غير مسعود الذي أحبته وارتضت أن تعيش معه القادم من حياتها، وأمام زعيقه وحية باتت مفروضة عليها هتفت بحرقه:

- أنا بكرهك يا مسعود، بكرهك.

وما قالته هي بقلة حيلة كان القشة التي قسمت ظهره، هي ليست ضعيفة كما تظن، يكفيها فقط أن تصرح بكرهيته كما فعلت، تتجنبه وتعيش معه كجثة هامدة، فيلعب نفسه عندها في اليوم الواحد ألف مرة، لأنها الحمقاء تناست أن لا مكاسب تضاهي خسارتها.

ربما هي زيارة متأخرة بعد غياب طويل لكنها بالتأكيد كانت بحاجة إليها، أتت إلى شركة الفيروز وما إن وصلت حتى ظل مدبولي يطالعها بكل استغراب وقد بدا عليه التأثير فلولا قد ارتدت الحجاب، أيعني هذا أنها اعتزلت!؟

اختلفت لولا عن الأنظار حين تم استبعادها من فيلم توتو اللول ثم عادت فجأة بلوك مميز "محجبة"، وبالتأكيد خبر كهذا تلففته مواقع التواصل الاجتماعي، وأجادت لولا التوقيت بشكل متوازٍ مع من سرقت منها الأضواء "صبا".

– أقرر أدخل يا أستاذ عبد الشكور؟

قالتها بعدما طرقت باب مكتبه وانتظرت رده، كان شاردًا يعمل دون اهتمام، فلا شيء بات ذا أهمية، ولولا "كثري وتيم" لتمنى نهاية الحياة وفقدانها.

صدمته ورؤيتها، والسؤال منها فرض عليه بعض الارتباك قبل أن يسمح لها بالدخول، وما إن جلست حتى سألت:
– ممكن أعرف ليه مكنتش بترد على مكالماتي؟
– أبدًا شوية ظروف.
"رنا".

وذكرى الاسم فرضت مرارة عليه حين سمعه، مرارة عادت به للمحكمة، لحظة الوقوف أمام القاضي ورنا تتحدث عنه، يومها فقط أدرك أنه كان أبشع رجل رآته في حياتها.
"ما رأيك في إتهام مدام رنا لحضرتك".
والصمت يومها كان الإجابة المتلى، وبعدها التفت لها ونظر لعينيها، كان يدرك أن كليهما لم يعد نفس الشخص، لم يُخبي انكساره لكنه حسم أمره، سيحتفظ بأبنائه إن تمسكت بطلاقهما.
ولم ترفض أو تتراجع أو تفكر، ولم ينتظر حكم المحكمة بدوره، نظرة أخيرة منه عينيها امتزجت فيها اللوعة بالحسرة، ثم استجمع قواه وأهداها ما ترغب.
"أنت طالق".

- يا انا كل ده عشان رنا، للدرجة دي كنت بتحبها.
جملة اقتطعته من شروده، فزفر ثم تظاهر بلامبالته وسأل:

- خير يا مدام لوللا؟

- ايه الطريقة دي يا عبد الشكور؟

قالتها بضيق ولكنها التمسست له عذراً وقررت أن تكون أكثر
مباشرة ووضوح، فما أتت من أجله وعندها قالت:

- أنا مش هلومك عشان حاسة بيك، وهقولك أنا جيت ليه على
طول، بصراحة كده أنا قررت اسبيني خالص من موضوع الإعلانات
والتمثيل، عملت شركة دعاية وقررت بما أنك شاطر في التسويق
إنك أنت اللي تبقى مديرها، الحقيقة أنا مش هالاقى حد أستأمنه
غيرك يا عبد الشكور، قلت ايه؟

والعرض مغرٍ كما المرة السابقة خاصة وقد قرر سيادته بجوار ما
يجمع من أموال لمصروفات المدارس أن يدبر مبلغ المؤخر لزوجته،
حتى لو تنازلت هي عن حقوقها، لكنه ودون أن يمهل نفسه لحظة
ليفكر حسم أمره ورد:

- آسف مش هقدر.

والضيق بدا واضحاً على ملامحها ورغم ذلك ترجمته:

- ليه بس، ده أنا جياالك رغم كل حاجة عدت، رغم رفضك ليا
وكل خوفك على مشاعر واحدة أنت عمرك ما كنت في دماغها.

"لوللا".

زعق بها لكي يسكتها لكنها لم تسكت وتابعت:

- متزعزلش مني، بس أنت لازم تفوق وتعرف أنما عايشة حياتها ومبقاش فارق معاها اللي فات زيك، رنا هتشتغل مع عارف في القناة الجديدة بتاعته هيعملها برنامج ودعاية وشهرة، ده غير أنما قريب هتتجوز.

"كفاية مش عايز أعرف عنها حاجة".

زعق وأولاهها ظهره بعدما حرك مقعده وعندها قامت هي من مقعدها واتجهت لتكون قبالة، نزلت على ركبتيها وأمسكت بكف يده وقالت:

- أنا مش عايزة أشوفك كده، رنا متستاھلش، بكرة تندم لما تعرف أن كل اللي هي فيه، لمعة من برة ومن جواه حديد مصدي، تعرف يا عبد الشكور، أنا مستعدة أسيب الدنيا كلها ورا ضهري وأكمل معاك اللي جاي مهما كان بس أنت ترضى، عبد الشكور أنا...

ولم تكمل، ظلت تتطلع لمن أغمض عينه ونكس رأسه وكأنه لا يريد أن يسمع المزيد منها وعندها تمضت ببقايا كبرياتها وقالت بحدة:

- أنا آسفة، الظاهر أني بشحت منك.

وقاطعها هو ليرد:

- يا ريت تفهميني، أنا مش ناوي أجيب لولادي مرات أب،
كفاية اللي كترتي وصلته، أنا حياتي مبقاش فيها حاجة أقدر أقدمها
لحد، ومعنديش استعداد أبقى "جوز الست".

كلمة حاسمة فرضت عليها الشعور بالخزي، هو يدرك مغزى
محاولتها ويرفضها، ولم تمهله الوقت ليكمل، حملت حقيبتها ورحلت
مسرعة بعدما أيقنت أنه لا أمل لأي روابط بينهما.

بمكتب مصلحة الجوازات والهجرة مكث قرابة الساعة بانتظار
دوره وما إن تم النداء على اسمه حتى قام من مكانه ليتسلم جواز
سفره.

وأخيرا اقتربت غالبية الإجراءات من الانتهاء، وما تبقى بات أقل
مما مضى، كل ما عليه فعله الآن هو مراسلة الشركة الإماراتية
والتأكيد على موعد سفره وبعد فترة سيرسل لمشيرة كي ترافقه،
قاطعًا كل صلة بـ "أم الدنيا" وكل من فيها وعلى رأسهم بالتأكيد
"شجن".

"وحق كل دمعة نزلت من عين بنتي يا عيسوي، لو أنت آخر
راجل في الدنيا مش هتتجوزها".

زفر بشدة وعاد إلى دراجته البخارية، قادهما بأقصى سرعة مُمنياً
نفسه أنه قد يطير بلحظة ما وعندها سيتنسم معنى ألا يقيد شيء، لا

روابط أسرية ولا قلبية ولا أي شكل من أشكال الانتماء، عيسوي
لن ينتمي إلا لعيسوي فقط.

"ليه تعمل كده يا ابني، حرام عليك ده أنا اللي طلبت منها
تروحلك عشان تفرحك، تقوم تكسر خاطرها كده".
زاد من السرعة أكثر وأكثر، وكل ما يتمناه ألا ترافق أصواتهم
أذنه:

"أنا مكنتش جاية أفرکش الخطوبة".

"شجن أنا بحبك".

"الاحترام أهم ألف مرة من الحب".

ضغط مكابح دراجته فجأة وكاد يسقط عنها، توقف عن الطيران
لكن عقله الملعون لا يتوقف عن التفكير فيها، عاد واتجه لغرفته
وانزوى بها وباتت هذه عادته، لا يتحدث إلى أحد ولا يخرج وكل
وقته يمر وهو منغمس في العمل.
"أحضرك الغدا؟"

سألته مشيرة فلم يلتفت إليها، ظل منعكفًا أمام حاسوبه يكمل
عمله وعندها جاورته وأكملت:

– مش ترحم نفسك شوية؟

– قربت أخلص.

جلست بجانبه ثم أخبرته:

– اسكت مش عماد اتصل يسأل عليك.

"بسأله على شجن قال...."

"ماما".

قاطعها بحدة كونه لا يريد أن يسمع وعندها رغماً عنها بكت بحرقه، أيعلم أنها تخشى إن سافر ألا تراه مرة أخرى؟! تركته فشرد رغم أنه في حالها وقد ألمه إيلاهما، لكنه ما عاد قادراً على الاستمرار هنا ولو لساعة واحدة، هو يتوق للسفر أو الأخرى الهروب.

وعلى غير المتوقع أتى بشير، زيارة أسعدت مشيرة لظنها أنها ربما تخفف عن ابنها.

وأمام كوين من الشاي جمعتهما غرفة عيسوي، وقد جلس بشير يسرد عليه مفردات القصة منذ بدايتها حتى انتهى ثم وضع أمامه الأوراق المكتوبة بخط عارف منتظراً تعقيب، حدّق بما عيسوي ثم قال:

– أنا مش فاهم أي حاجة من الورق ده.

– أنا هشرحلك، عارف حلل شخصيتنا بعلم البوصلة، وحط لفيروز خطة لتفريقنا، كان متأكد أننا هنختار اختيارات معينة أو ردود أفعال معينة بس في نفس الوقت كان بيحاول يسبقنا بخطوة عشان نختار اللي هو عايزه، فهمت؟

– بصراحة لا، بس إيه الدافع لكده؟

– مش عارف.

صمت الاثنان وبعد ثوانٍ عقب عيسوي:

- طيب الراجل ده جاب فيديو بغدادي وفيروز منين؟
- برضو مش عارف، واللي مستغربه أكثر معقول يكون
بغدادي كان فعلًا كده.

وكلاهما تأفف حتى سأل عيسوي:

- طيب تفتكر صبا ممكن تساعدنا، ممكن يكون عندها إجابة على
أي سؤال من دول.

واستغرب بشير من نفسه حين ضحك هازنًا وهو يتذكر ما آلت
إليه صبا فرد:

- نجمة فيلم توتو اللول، معتقدتش.

ثم تابع:

عارف إيه اللي إحنا محتاجينه دلوقتي بجد، محتاجين إحنا الأربعة
نتجمع ونواجهه بكل اللي عرفناه، إحنا الأربعة لو...

"إيه إيه إيه؟"

وقف عيسوي ثائرًا وقد قاطعه وهتف:

- أنت متخيل إن أنا ممكن أحط أيدي في إيد مسعود لأي سبب،

أنت أكيد بتهزر صح.

وقف بشير قبالتة وقد عقد ذراعيه أمام صدره وأجاب:

- أمال نرجع الشركة اللي بتقع دي إزاي، ونواجه عارف إزاي،

أنت متخيل إننا نقدر أنا وأنت لوحدنا.

"أنا وأنت".

ساد الصمت للحظة ثم تابع:

- ومن قالك إني ناوي أواجه عارف، أو إني فارق معايا شركة الفيروز، ما تولع الفيروز على فيروز ذات نفسها على عارف، أنا كنت أخذت منها إيه عشان ألحقها ولا أدافع عنها.

وخطا خطوة نحو بشير ثم وضع يده فوق كتفه وأكمل:

- متزعلش مني يا بشير، أنت بتدور على براءة جدك، بتدور على الحقيقة، لكن أنا خلاص كلها عشر أيام وأسافر وأنسى الفيروز وقرفها، أنا مقدر إن عندك قضية بس أنا يا صاحبي "بعث القضية".

ولم يُعقب بشير على ما سمعه جمع الأوراق واتجه للخروج تبعه عيسوي وقد شعر بتأنيب ضميره على حاله.

- طيب استنى بس.

دفع بشير يد عيسوي عنه وقد اتجه ناحية الباب، ثم التفت له يطالعه بضيق فأشاح عيسوي بوجهه فقال:

- طول الشهور اللي عدت كنت بحاول أدور على الحقيقة مش بس عشان جدي، إنما عشان إحساس بيقولي إن الحكاية أكبر من إسماعيل وبغداد، أنا ماشي بس، قبل ما أمشي عايز أقولك حاجة، جرب مرة تشوف الناس اللي أنت خذلتهم زي ما أنت دائماً مش شايف غير اللي خذلوك وبس، سلام يا صاحبي.

اعتادوا الجلوس بشكل يومي بالمقهى لمتابعة واحد من أهم البرامج الحوارية وهو: "ساعة مع عارف".

وما إن انتهى تتر البرنامج وظهر الدكتور أبو العزم حتى تحولت كل الوجوه باتجاه الشاشة، يُطبق الصمت على المكان ويتلاشى تمامًا عقل الفرد ليحل مكانه عقل جمعي، وما أدراك ما العقل الجمعي! حالة ذوبان وانصهار لأفكارك أنت ومعتقداتك أنت، لقيمك أنت، بينما الكل من حولك يصدق ما يسمع، يهز رأسه بأريحية ويستمتع، فهل ستشيز أنت وتعرض؟
"يا أستاذ بشير ما تيجي تسمع".

والنداء من صاحب المقهى فرض على العائد لمزله التوقف، فكر أن نداءهم ربما لأجل الاطمئنان على جده، وما إن دخل حتى همهم أحدهم:

"الدكتور عارف بيشتغل مع بشير في نفس الشركة".

هرول أحدهم لمنحه مقعدا يجلس عليه بينما نادى صاحب المقهى صبيه طالبًا لبشير كوب "سحلب مخصوصًا" وعاد الالتفاف لمتابعة دكتور عارف الذي تحدث عن اختراعه ببالغ الصراحة دون تغطية: (جهاز اسمه توقيت جرينتش، يعمل على إحلال الأفكار السلبية برأسك بأخرى إيجابية، يغير مجرى حياتك، يكسبك المال والشهرة والنجومية، وقد يحيل العجوز إلى صبية).

عارف وآه من الاسم وصاحبه، عكفت فناة جرينتش على نشر
فيديوها على مدار ثلاثة أشهر فرضت على الجميع السخرية
والتقليل من جهازه، بل خسائر أدركها عارف حين زهد الناس
مركزه فاستدرك الأمر برمته مقررًا فتح قناة تلفزيونية وإظهار طيبة
قلبه كونه سيساعد الناس ويشرح لهم عبر برنامجه بالجان، وليس
برنامج وحده، بل هي قناة شاملة كاملة.

(برامج دينية واستشارات أسرية وطريقة عمل الأرز بالمهلبية
والمتعة حصرية).

فإعلان افتتاح القناة كان للمتألقة "صبا".

"خليك معانا وواعى تغير المخططة، فأنت معانا بالتوقيت العالمي،
بتوقيت جرينتش".

بدأت التعليقات فور انتهاء الحلقة بين إعجاب ورجاء، فلم ينتظر
ليسمع أكثر، رَحَلَ مسرعًا لمزله يختبئ منهم، نحوه حسن فتمنى لو
استطاع أن يستوقفه فهروا خلفه ونادى ولكنه لم يلتفت.

شعر بخيبة أمله فجلس على أحد مقاعد المقهى زافرًا، رآه صاحب
المقهى فجواره يسأله عن حاله وعمّا يضايقه، والإجابة كانت زفرة
أخرى وضيقةً وحرزًا ومطالعة بلا أمل للشارع المؤدي لمزله، فهم
منها صاحب المقهى ما يجول بخاطره فعقب:

- يمكن جدها يطلع قريب.

- هو يشير قالكم حاجة.

سأل بشغف ولكنه توقف حين أدرك أن طريقته قد كشفته فصمت وعندها ابتسم صاحب المقهى وأكمل:

- طيب هو يعني اللي خلقها مخلقش غيرها، وبعدين ما أنت كنت خاطب ولو مفيش نصيب شوف غيرها.

والإجابة كانت زفرة ثلاثة دون تعقيب فرضت على صاحب المقهى أن يفهم وعندها اقترب منه يهمس:

- طيب ما تروح للمركز بتاع اللي اسمه عارف، يمكن يطلع عنده حل أو يتوسطك عند بشير، كلام في شرك بيقولوا راجل واصل وفيه حاجة لله، عمره ما حط دماغه في موضوع إلا واتحل.

- عارف أبو العزم.

- غير كده شغال مع بشير وعارفه يعني مساعدة مضمونة فيه في الميه؟

ولم يبدِ حسن أي اعتراض، ببساطة عاجز يريد حلًا، وعارف يملكه، فلم النقاش إن كان ما يريد قد يحصل عليه!

أن تنتصر على الباطل في جولة فتظن أنك قد حققت انتصارك المطلق هو الوهم الأكبر.

وضع تلك الكلمات بعقلك وأدرك وأعرف، بالحياة لا مكاسب دائمة ولا خسائر مستمرة، إنما هي جولات يحددها أصحاب القضية

"أقوياء بوعي"، فتكون النتيجة نصرًا، أو "غناء سيل"، فتكون النتيجة خزيًا، حتى يأتي يوم ينتصر الشر بلا رجعة لحق أو خير فتكون نهاية الكون الأبدية، الكون سينتهي يوم ينتهي الخير.

"لذا لا تبكي أيتن؛ لا تبكي لأن الجولات لم تنقض بعد، لقد حققت شيئًا، انتصرت حد إدراك عارف أنه بحاجة للمزيد من الدعاية واللهو، علّ الناس تنفض عنك وتركض إليه.

"بالصور إزاي عملي توقيت جرينتش بمكونات من جوه مطبخك وأنصف من الجاهز بكتير".

وعلى مدار ثلاثة شهور كانت تلك الملعونة، كالصداع المزمن لعارف.

من هي؟

لا يعرف ولو عرف لقتلها، ولن يختلف مصيرها عن مصير بغدادى أبداً، لكنها الملعونة تقدم فيديوهات ساحرة دون ظهور لوجهها، مستخدمة فقط أداءها الصوتي.

وقد أدركت تمامًا كيف يكون الإمساك بخيوط اللعبة؟ قررت تعرية أسلوبه باستخدام أسلوبه نفسه بداية من "الصدمة"، بأسئلة تثبت أن الجهاز وهمي، وعندها ما كان ألتراس أبو العزم ليسكت:

(بوستات تويتات تعليقات مفادها الدفاع عن الرمز للعلوم والتطور، ويا مرحى بدعاية سلبية لكنها بنهاية المطاف دعاية استفادات منها لنشر صفحة أعدتها على الفيس بوك وأسمتها

"القرد بيتنطط ولا بطل تنطيط؟"

لا تفعل شيء سوى كتابة منشورات ساخرة وعمل صور ساخرة
وألتراس عارف أبو العزم يقوم بنشرها مع اللعن والسياب لأن
رمزهم يُهان.

(شكرًا لألتراس أبو العزم لحسن تعاونكم معنا).

"أغيبا"

قالها عارف وهو يسب ويلعن بدوره، هي ترمي الطعم وهم
يركضون خلفه وحين أدركت التأثير حان دور الخطوة الثانية.

"التخويف".

بيقولك....

بيقولوا....

"بيقولوا في ناس دخلت ع الجهاز وجالها سرطان".

"الزهايمر كل اللي جربوه برة في ناس منهم فقدت الذاكرة".

"أصلًا برة رفضوا يعملوا الجهاز عشان في قرد مات".

بوستات بوستات بوستات، تويتات تويتات تويتات، ألا أوناء.. ألا
دوي... ألا تري.

أليس من حق أصحاب الحق أن يفتحوا المزاد؟!

ثم كانت الخطوة الأخيرة: "التسفيه".

فيديو لدمية صغيرة أرادت مصاصة فجلست على الجهاز وجلبها
ثم فتحتها فكانت باللونة صغيرة وانفجرت، وفيديو آخر لدمية عجوز
دخلت جرينتش وخرجت منه باربي.

والآن هل اكتفت؟

- أيتن تعالي شوفي بسرعة.

وما إن وقفت أمام التلفاز حتى أدركت، قناة جديدة وهو من
سيقوم بتمويلها، وإعلان عن قناته ومن قامت بأدائه ابنة الدكتور
بغدادى التي تخلت عن حجابها واتجهت للتمثيل والعمل معه!

وعادت لعرفتها دون كلمة فقط زفرة وشعور مريم مفاده:

"مفيش فايده"

وتلك هي سر الأزمة.

- نفسنا قصير قوي، وبنياس بسرعة.

قالتها آلاء ولم تُعقب هي لإدراكها أنها محقة، وانتابها الحسرة،
وآه يا دكتور بغدادى لو أنك ما زالت حيًّا، ربما وفاتك كانت لك
رحة.

ومع صباح اليوم التالي أتها فكرة أو للدقة كانت رغبة بأن
تزر قبر أستاذها، هي بحاجة إلى وجوده حتى لو بشكل ضمني بحاجة
أن تستشعر أنها ليست بمفردها.

ولأن اليوم هو يوم إجازتها، كان هو بالأسفل ينظر لساعة يده
ويبتظر خروجها، تلميذة الدكتور بغدادى التي كانت باستمرار معه

قبل وفاته، ويوم قابلها بمكتبه انتفضت لأجله، أيعقل أن كل ما جمعها ببغداد كان فقط دراستها؟

لو صدق عارف بأن هذا الرجل سيئ السمعة، فبالأكيد ستملك تلك الفتاة دليلًا أو أكثر على حقارته، وربما هي عشيقته، تصرفاتها لا توحي بأنها لعب فيوم إجازتها في الغالب تقضيه بالمكتبة، لكنها اليوم لم تفعل، ركبت سيارة أجرة وقد اختلفت وجهتها وهو تابعها حتى وصلت للمقابر، وأمام قبر بغدادى أيوب قرأت الفاتحة ووقفت تدعو، ثم التفتت لترحل، فهتف باسمها ليستوقفها فتجمدت بمكانها:

– آنسة أيتن أنا بشير، اتقابلنا قبل كده في مكتب دكتور بغدادى بدا أنه سيكمل حواراه إلا أنها نظرت حولها فلم تجد أحدًا، خافت من وجوده، بالتأكيد كان يراقبها، وعندها أيقنت أن عليها التصرف فالتفت عنوة وضربته في وجهه بحقيبتها فسقط وسقطت حقيبتها بجواره، فركضت هي مسرعة وأوقفت أول سيارة أجرة بطريقها حتى وصلت لبيتها فطلبت من حارس عقارها أن ينادى أختها لدفع حساب السائق، بدت شاحبة تنتفض من شدة خوفها، سعت آلاء لتهدئتها ثم جلبت لها كوب ماء لتشرب، ثم سردت ما كان وقد عنفتها آلاء وبشدة: حد يروح المقابر والصبح كده، أنت إزاي تنصرفي بالتهور ده.

وقبل الرد قاطعهم الطرق على باب مترهما، حيث البواب وقد مد يده بحقيبة أيتن قائلاً:

- حد جاب الشنطة دي ويقول بتاعة الآنسة أيتن.
أخذتُها وأغلقت الباب واتجهت لغرفة أختها لتعطيها إياها، ثم
عَقَبت:

- على الله ميكونش أخذ منها حاجة.
أسرعت بفتحها وأفرغت كل محتوياتها فوق السرير لتتأكد
وعندها وجدت ورقة بدا واضحاً أنه هو من وضعها وقد كتب فيها:
"أنا محتاج أتكلم معاكِ ضروري، لو يناسبك هستناكِ بكرة بعد
شغلك في المكتبة اللي متعودة تروحي فيها".
بشير

على مدار أربعة شهور كان يتابعهم، ردود أفعالهم، تصرفاتهم، ما
آلت إليه حياتهم.
هل نجحت التجربة؟
والإجابة؛ أوشكت!
عارف قاب قوسين أو أدنى من كلمة النهاية، بحث عن العاديين
ووجد العاديين وأعد الطُّعم باستخدام "دعيس ونبيهة" وابتلعه
العاديون، وها هي حياتهم تسير وفق المرسوم لها، وها هي شركتهم
تسير وفق المرسوم لها، وها هي علاقتهم تسير وفق مخططاته، إلا
استثناء بسيط بالتأكيد عارف سيتداركه:
"فتاة جرينتش والأستاذ بشير".

ثم بحث في الحاضرين حتى وجد بُغيته في رجل سمين وقصير وأسمر
البشرة.

"لسهولي دقن وحواجب، وجلابية بيضا وهاتوه عندي".

وعاد لفريد وصبا يتحدث إليهما ويشرح ثم نادى الرجل وعلا
صوته ليكمل:

– صبا نازلة من عند فريد هيعاكسها ثلاثة من فتوات الحنة،
عايزك تلعلها حواجبك وتقول "تبارك الخلاق فيما خلق" "الواحد
بيدخل بيته يقول أعوذ بالله من الخبث والخبائث" بس تقولهم
بالفصحى.

أوما رأسه ثم عاد لفريد ليكمل بقية المشهد ففريد سيغار ويضرب
الفتوات ومن ثم سيقف أمامه "الشيخ" مدعورًا بهتف فيه:
"إن كنت كبيرًا فالله أكبر".

– هتقولها وتكررها وبعدين فريد يضربك والآخر تقوله: "لعنة الله
عليك"، تمام؟

والمشهد كوميدي حد ضحك الجميع إلا مسعود الذي تساءل:
ما الذي يجري هنا بالطبط؟

سؤال تجلت إجابته حين التفت لرؤية من ناداه، وقد قررا أن
يتوجها معًا لمركز السراب حيث موعد هام بانتظار عارف، رغبة
واقفت من شعر بالضيق من وجوده هنا فرحلا لمكتب دكتور عارف،
ليجمعهما فنجانين من القهوة وحديث مطول، بدا مسعود عصبيًا،

دخن أكثر من أربع سيجارات زفر بكل قوة ثم أنهى حوارَه بكلمة
أطربت أذن عارف حين سمعها:
"خائف".

والخوف وقود جُل الخطايا كما الشهوة.
"خائف أخسر اللي وصلته، خائف أخسر شغلي، خائف من
رجوع فيروز، وخائف قوووي أخسر درة".
والجملة الأخيرة قيلت بتشديد أقرب للرعب، حد ابتسامه واسعة
ملأت وجه عارف وهو يعقب:
- للدرجة دي بتحبها؟

ولأن الحب ضعف عاد مسعود يتكلم وقد ارتدى قناعًا واهيًا من
القوة:

- دي مرايتي يا دكتور عارف، أنا معنديش في الدنيا غيرها، طول
عمري كنت لوحدي، معنديش استعداد أخسرها.
ثم زاد قلقه وهو يكمل:

- عطيات لو حسنت إن ظروفِي ساءت أكيد هترجع تزن عليها
على الطلاق، ويمكن المرة الجاية أرتكب جريمة بسببها، الناس مش
بتحترم الضعيف يا دكتور عارف ولا الطيب ولا المؤدب.
ظل عارف يسمع ولا تزال ابتسامته حاضرة حتى دعس مسعود
سيجارته الأخيرة وسأل بتوتر:
- هتساعدني؟

- أكيد

- طيب قولي أعمل إيه، إزاي أخلي فيروز محتاجة لي ودرة إزاي
تجيني من تاني بس من غير ما أمها تحس للحظة إني ضعيف؟
والرغبة بعينه كانت مثيرة للشفقة، هو بلحظة استثنائية، قد يفعل
أي شيء.

"أي شيء!"

والنصائح بسيطة، في الخيانة يكمن الحل.

"الخيانة"

- استخدم كل الصلاحيات اللي سابتهالك فيروز ضدها، فك
وديعة الشركة وانقل الفلوس لحسابك، ألوي دراع فيروز حتى لو
وصلت إنك تخلص منها.

والوَجَل تَمَكُن من الخائف، اعتاد الدوران حول الخطأ مبرراً لنفسه
أفعاله، أما الآن فاحطاً مباشراً، سرقة لفيروز واضحة وصریحة أو...

- ودرة؟

- ما أنا قولتلك الخيانة هي الحل المثالي.

هز رأسه نافية الأمر فتابع عارف بتأكيد:

- الست لما بتحس أن بيتها هيتهد بتفوق يا مسعود، شوف
بنفسك أي صفحة من صفحات المشاكل لما ست بتكتب أن جوزها
خائفها، كل الناس وأولهم الستات بتكون ردودهم إزاي، الراجل دائماً
معدور لو خان، وهي اللي دفعتك لكده.

- أيوة بس...

- وأبسط نصيحة هتتنفذها أنها تهتم بنفسها وبيك عشان تحافظ عليك، درة محتاجة لصدمة تفوقها، اصدمها، ومفيش أسهل من أنك تجيب ست وتقضي معاها ليلة وهي تعرف.
"زنا؟"

"إيه الأوفر ده، وبعدين ما هي السبب".
والحيرة كانت سيدة الموقف، فكلمات عارف تتلقف عقله، خياله شرد في درة وهي تسعى للتودد، تخشى الطلاق.
"تخشى الطلاق".

أعادها ضميره وكأنه يفيقه، كيف لها أن تخشاه وقد طلبته بل ولعنت لحظة عودتها؟

وهاتف عارف قطعه من شروده حين علا بالرنين، فكان رده:

"دقيقة واحدة وهكون معاك".

جملة فرضت على مسعود أن يستأذن ليرحل، وعندها عاد عارف لمكالمته وسأل:

- وصلت لفين؟

- هيقابل أيتن بكرة، أنا استنيت لما اتأكدت أنه مشي وطلعت ورا البواب ولحقته قبل ما يدي الشنطة لأيتن، خد مني فلوس ابن اللذينة عشان أفتحها وقدهم مرتين عشان ميجيش سيرة.

- ولقيت حاجة مهمة؟

- لقيت حاجة أستاذها عليها مكافأة، لقيت اللي كنت بتدور عليه.
- مش فاهم.
- مش كنت عايز تعرف مين اللي بيتزل الفيديوهات اللي بتتريق على جهازك يا دكتور، أنا في شنطة أيتن لقيت الدليل اللي يؤكد أنها اللي ورا الفيديوهات دي.

(17)

هو الآن على مشارف أفسى اختبار بحياته، أقارب للتوسط،
عمته تريد أن تعني هي بالأبناء لأنها تدرك أنه لن يستطيع أن يفعل،
وزوجة تنجح بالفعل بعدما ابتعدت، حد الشهرة بالميديا ومواقع
التواصل الاجتماعي
"شيخة رنا".

أو دعك من تلك التسمية القديمة وأتنا بالجديد؛ إذا لنقل الداعية
الإسلامية "رنا أمين"، واللوك الجديد كافٍ لإثبات كم كان عبد
الشكور شخص "مفترياً"، فهذا هي زوجته تطل بإطلالة راقية وقد
استطال حجابها "نوفاً ما" وقد استبدلت ملابس المحجبات العادية
بعبايات أكثر أناقة، "وارد تركيا".

ووفق الرؤية لما آلت إليه أوضاع كليهما، قرر من حولهما تحليل
الأمر، لو عبد الشكور رجل صالح ما كانت الأمور ستبدو هكذا لأن
رنا "ربنا نصفها".

كان بالمطبخ يقشر البطاطس من أجل قلبها بينما كترى تلاعب
تيم حين صدح صوت كترى فجأة بهتاف:
"ماما في التلفزيون".

ولا يدري لما ترك البطاطس متناسياً أمرها وهرولاً ليشاهدها:

– ومعانا اتصال تليفوني ونقول آلو:

– مساء الخير، أكلم الشيخة رنا لو سمحتي؟

– آه طبعاً اتفضلي يا قمر.

– شيخة رنا أنا بجد بحب حضرتك جدًّا وعازية أقولك كل

عباياتك وهم ومش ممكنة.

– جزاك الله خيرًا يا قمر، قولي سؤالك.

– بصي هو أنا محرجة بس هسأل..... أنا للأسف حصل بيني وبين

البوي فريند بتاعي موقف كده، ومش عارفة يعني...

– قولي متتحر جيش.

– هو الحقيقة يعني كانت بوسة كده، بوسة والله مش أكثر.

– وبعدين كملي.

ورغمًا عنه ابتسم هازنًا بينما لم يأت رنا من المتصلة سوى

الصمت وعندها لم تملك إلا أن تسأل هي:

– طيب قوليلي هي كانت بتملك ولا عابرة؟

– كانت بتملك حضرتك، سوري.

– طيب حوط خصرك بذراعيه ولا ملحش.

- لا حوط حضرتك، سوري.
- طيب سؤال أخير اللي حصل ده بناءً على إيه، يعني كاتب كتاب؟
خاطب؟ قاري فاتحة؟ عاوز يتعرف على بابا أو بيحاول حتى...
- لا هو مجرد بوي فريند عادي، حتى علاقته بخطيب تعتبر سطحية
جدًا

- أنت مخطوبة يا قمر؟

- آه حضرتك، سوري.

- لا سوري إيه ده أنا اللي سوري، طيب السؤال إيه بالضبط؟
- هو دلوقتي إحنا كنا في نهار رمضان، فأنا مش عارفة هل أنا كده
فطرت ولا لا وسوري على كل حال.
"مممممممممم"

والتمتمة من المديعة مع انتظار الرد الذي لم يأت لوضوح
الصدمة على ملامح الداعية فرضت عليها التعقيب:

- فاصل ولنا عودة.

وعلى رائحة دخان البطاطس هرول للمطبخ ليدرك أنه حرقها،
فجمعها وألقى بها في القمامة، وفتح النوافذ ثم هوى بعدها لأقرب
مقعد يطالع كترى وتيم وطيف فشل يلاحقه كلما سعى أن يكون
الأفضل على الأقل من أجلهما.

أيعني هذا أن عارف على صواب؟

دفن وجهه في كفيه وتنهّد بحسرة وعندها وضعت كترّي قبلة
على خده وهمست:

- ممكن ناكل أي حاجة ثانية؟

نظر لها وقد جاهد وجهه الابتسام وسأل:

- تحبي تروحي تعيشي مع ماما يا كترّي؟

ومنى نفسه رفضها، فهو أول من يعرف أنه يجتهد فقط لأجلهما.

- أنت مش عايزنا؟

قالتها حزينة فأجابها:

- أبدأ بس...

ولم يكمل احتضنها واحتضن تيم ضمة طويلة سيستمد منها قوته

ليقف ويكمل ما بدأه، مسح على شعرهما بحنان ثم سأل:

- ناكل بيض وجبنة.

ابتسمت وقالت:

- ماشي وأنا هساعدك.

وفعلت؛ اتجهوا للمطبخ، جهز العشاء وتناولوه، ثم ساعدته كترّي

من أجل تغيير حفاض تيم ثم تجاور الثلاثة في سريره، نام الصغيران

بينما جافى النوم عينيه.

"هل من الممكن أن تأتي إليه نادمة على فراقهما بعد كل تلك

الأضواء والنجاح والمال؟

"ربما".

يغلبها الاشتياق لثرى أطفالهما، وقد تشتااق له بقدر اشتياقه لوجودها، لو عادت لن يسامحها بسهولة، سيعنفها كي تتعلم الدرس، وربما يصفعها أو يسبها من باب التأديب، لا لن يصفعها هو فقط سيزجرها كي تتعلم ثم يحتويها بصدرة، ويخبرها أنه متفهم أنها لم تكن تقصد أو تتعمد كسر قلبه.

اقتطعه من شروده دق جرس الباب فاتجه لفتحه وحين ظهرت تسمّر بمكانه:

"رنا؟"

"ممكّن أَدْخَل؟"

هل يعقل أنّها قد تعلمت الدرس بكل تلك السرعة، سعل وحاول أن يعدل من هيئته وهو يتعد قليلاً كي يسمح لها بالدخول، طالعت القوضى من حولها باشمتراز وقد أكد لها حال الشقة أن عبد الشكور اقترب من عتبات الانهيار وقريباً سيعود لها معترفاً بخطئه ونجاحها، انتظر جلوسها لكنها لم تفعل، فتحت حقيبتها وأخرجت منها رزمة مالية بدا واضحاً أنّها ليست بمبلغ قليل، وضعتها على الطاولة أمامه ثم سألت بهدوء:

– الولاد كويسين؟

نظر للمال ثم لها ثم رد:

– آه، تمام.

أمسكت بالمال ووضعته بيده ثم قالت:

- خلي دول معاك، دي فلوس كثير، هات للولاد كل اللي
نفسهم فيه، وأي فلوس تحتاجوها متترددش تعالى واطلبها مني.
ولم تكمل كلامها، أجمتها نظرة عينه التي عجزت عن تفسيرها،
ثم شيء ما انكسر لتوه بداخله، أو بينهما، هو لا يدري هو عاجز
عن التحديد، عاجز حد الرمش بعينه وكأنه يريد التأكد أنه مستيقظ
ولم يغط في النوم بجوار أولاده.
"انسى إنا انفصلنا، ياما ناس اتطلقت واتعاملت برقي عشان
بينهم أولاد".
"برة".

قالها وقد دفعها واتجه ليفتح باب شقته ثم جذبها من ذراعها
وأخرجها وهو يعيدها:
- اطلعي برة، برة.
ثم ألقى بالمال في وجهها وهو يؤكد بحدة:
- مش عايز أشوف وشك تاني، فاهمة؟
صفع الباب بوجهها وقد احترقت أذنه تمتمتها:
- هتفضل طول عمرك غبي يا عبد الشكور.
وصفعة أخرى هوت ولكن لكيانه كله، قلبه عقله ونفسه، هي لن
تستفيق بل ستمادى حد الغرق، تمامًا كما فعلت صبا.
وعندها تجلت صورة عارف في الأفق، عارف!
"عارف لا بد أن يدفع الثمن".

ذلك الوجه المتجهم هي لا تعرف سببه، صفف شعرها كعادة كل يوم لكن بدون كلمة مزاح واحدة كما عودها، جهاز حقيبتها وحقيبة أخوها ثم توجه بهما للحضانة حتى دون كلمة "صباح الخير"، كانت آيتن بانتظارهم عند الباب كعادتها مؤخرًا، منذ علمت بأمر انفصال والديها وهي توليها وأخاها الاهتمام، بداخلها خوف من أن تنطفئ كتري على إثر ما طال حياة أبويها، وملاحظة أخرى استشفتها عن أخيها الصغير وفتت والده لها.

"منطوٍ ومتأخر بالكلام".

وكان هذا ما كان ينقصه.

"صباح الخير".

قالتها آيتن وقد فتحت ذراعيها للصغيرين لتستقبلهما، دخل تيم ولكن كتري عادت لوالدها، احتضنته ومنحته قبلة على خده ثم عقبته: صباحك فل يا شيكو، اوعى تتأخر.

وطريقتها فرضت عليه وعلى آيتن أن يضحكا، بينما أوما هو

رأسه بالإيجاب ورد:

- حاضر.

وكعادة كل يوم سأل عن أحوالهما وبعد إجابتها التفت ليرحل كادت تستوقفه وبداخلها تريد أن تسأله بشكل مباشر عن "بشير" خطيب بنت دكتور بغدادي السابق إلا أنهما تراجعت بآخر لحظة،

فبالتأكيد هي لن تملك تفسير لاستفسارها عن زميله، ولو أرادت التأكد من كون بشير يعمل بذات الشركة التي يعمل بها عارف فالأمر ليس بالصعب عليها، ولأول مرة تستشعر أن عقلها يساعدها كونه يسترجع لها عدة صور على رأسها طيف شاب يراقبها، بالمواصلات، المكتبة

هل حقاً هو بشير؟

أم من الممكن أن يكون شخصاً آخر؟

ولو هو حقاً بشير فلماذا، ولو غيره فلماذا أيضاً؟

هل عليها أن تقلق كونها "فتاة جرينتش" التي تحدث عنها عارف مرة بإحدى حلقاته وهو يسيء إليها كونها تحاول تشويه صورته، هي لا تظن أبداً أن باستطاعته فعل شيء، لذا ستنفض عنها كل الأفكار وقرارها الأخير، لن تقابل بشير، ولن تنق بشخص هي ببساطة لا تعرفه.

عاد لسيارته فأتاه اتصال من أحد المقاولين الذين تم التعاقد معهم مطالباً إياه بالجئيء لموقع البناء للضرورة.

فاضطر لتغيير وجهته وما إن وصل ونظر للمكان حتى أدرك مدى القوضى التي وصلت إليه، قابله المقاول وقد بدأ يحكي عن المهازل التي تعمُّ المكان.

"مون بتتسرق، حديد بيتسرق، وأي غش هيحصل في المباني هتبقى خسارة كبيرة، العمال بطلوا يشتغلوا، محدش بقى في دماغه، نكلم باشمهندس مسعود يقول مش فاضي، نكلم باشمهندس عيسوي ميردش، وأخيرا كلمنا حضرتك، الوضع لو فضل كده هتحصل كارثة، لازم حد يبقى على إيد العمال يا بيه، الناس حطت شقى عمرها في العمارات".
"أنا هتصرف".

قالها عبد الشكور وقد رحل والغیظ يتلقفه، هل حقًا عليهم ألا يبألوا حتى النهاية، أم على أحدهم أن يستفيق ويفرض الاستفاقة على الجميع؟

وصل الشركة ثم اتجه صوب مكتب مسعود، دفع الباب ودخل يزعق سائلًا بكل حدة:

ممكن أعرف أنت بقيت بتعمل إيه هنا بالظبط؟
والطريقة الهمجية فرضت على مسعود ضرب المكتب بيده والتهاتف في عبد الشكور كونه دخل عنوة دون استئذان..
لكن عبد الشكور لم يدعه يكمل، جذبه من قميصه ليخرجه من مقعده وهو يدفعه ناحيته زاعقًا:

- خربتھا يا مسعود، خربتھا لما حسيت إن فيروز راجعة، خايف على المنصب ومش خايف من تضييع الأمانة، ناوي تعمل إيه أكثر من كده؟

دَفَعَهُ مسعود بقوة حد سقوطه على أحد المقاعد وقد ردَّ هازئاً:
- مين اللي بيتكلم عن الأمانة، عبد الشكور؟! ده على أساس
أنك مكنتش بتتجسس علينا وتنقل أخبارنا لعارف ولا أنت فاكربي
مش عارف؟

أراد أن يقلب الطاولة، فجذب عبد الشكور من قميصه وأكمل
زعيقه، وهو يكيل التهم له وللبقية كونهم يغارون من تفوقه وترقيته،
والرد من عبد الشكور كان لكمتين، ثم دفعة ثم سُبَّة، تصرف فرض
على مسعود أن يعتدل ليرد الضربات وكلاهما كان يدفع الآخر حد
خروجهم من مكتب مسعود إلى الرواق المؤدي لمكاتبهم، حالة فوضى
فرضت على عم مدبولي أن يضرب كفاً بكفٍّ، بينما الاثنان ما عاد
أي منهما يستشعر الزمان أو المكان، حتى أنهكهما شجارهما فسقطا
أرضاً وأمام قدم عارف توقفاً.

"معقول، ده أنتم كده ممكن تقتلوا بعض!"

قالها بشماتة فرضت على عبد الشكور الوقوف ومطالعتة بغلٍ
وقد قرر أن يهتف فيه:

- اطلع أنت منها وهي تعمّر.

"حلوة التمثيلية الجديدة دي يا عبد الشكور".

والتعقيب كان من بشير الذي وقف على مقربة منهم يتابع
شجارهما هازئاً، من المصطنع هذه المرة ولم؟
واستهزاؤه فرض على عبد الشكور أن يزعم فيه:

- أنا لو بمثل لدرجة إني أخسر كل اللي خسرتة، يبقى أنت أعمى النظر يا بشير.

والتعقيب عقلاي لكن من يضمن، ربما كل ما مضى كان خدعة، فكرة أطلت على عقل بشير ففرضت عليه أن ينظر لعبد الشكور باحتقار

نظرة احتقار تلقاها عبد الشكور في كرامته ففرضت عليه أن يدفع بشير في صدره من فرط غيظه:

- يا أخي افهم أنا مش عدوك.

- وبين يضمن، تفتكر أنا ممكن أثق فيك بعد كل اللي عملته، أو أثق في مسعود؟

"وليه أنت اللي مفروض تكون مصدر ثقتهم يا بشير؟"

والجملة قيلت بتحدٍ، نظرة خبيثة مفادها - آت ما عندك - هذا إن كنت تملك حُجة.

وللحظة استشعر بشير أن عارف يريد استفزازه والمواجهة، يريد أن يعرف خبايا بشير، دقيقة تفكُّر وإقرار من نفسه - استخدم عقلك - غموضك الآن بات مصدر قوة.

"واضح إن معندكش حاجة تقولها".

تابعَ عارف فأجابه بشير:

- لو ده يريحك يا دكتور عارف، فالإجابة أيوة.

ثم وقف أمامه وجهًا لوجه، والوقوف في وجه الشيطان صعب لكنه ليس بالمستحيل، وعندها أردف بحسم:

– ومين قالك أن ثقتهم فيا تفرق معايا؟

– ليه مش كان نفسك تبقوا إيد واحدة، صف واحد لحد ما

فيروز ترجع.

– وليه متقولش إننا كنا محتاجين كل اللي حصل، عشان نتمايز

وبيان معدنا الأصلي، مش ده كلامك عنهم، مسعود انتهازي وعبد

الشكور خاين وعيسوي ميهموش إلا نفسه.

والجملة استوقفت عيسوي الذي جمع ما بقي من أغراضه ليرحل

دون رجعة.

طالعهم وعلى وجهه قسمات تردد: هل يرد على ما قاله بشير أم

يصمت؟

صمت امتد لدقائق تطالع فيها كل العيون بعضها البعض.

مَن الخائن؟

ومَن الأمين؟

مَن الكاذب؟

مَن الصادق؟

"ربنا يرجعك بالسلامة يا ست فيروز".

– فيروز هربت وسابتنا لمسعود وعارف يا عم مدبولي، خافت

على نفسها من الفضايح وهربت.

والرد من المتهور أدركه عارف ففهم أن بشير بالتأكيد أخبره،
ودون انتظار تعقيب من أحدهم أردف:

- فيروز مش راجعة، ولا شركة الفيروز هترجع، أنا ماشي ولو
عايزين رأيي أنتم كمان امشوا، سيبوها لمسعود مش هو عايز المنصب
خلوه يحكمها خرابة.

- عايزنا لما نشوف المركب بتغرق نكون أول من ينط منها.

- مش أحسن ما تغرق وتغرقنا.

وتبادلا النظر للحظة.

عيسوي VS بشير.

- وأنت كده فرقت ايه عنهم.

- أنا مآذتش حد يا بشير عشان أتساوى بيهم.

- وهروبك مش أذى.

- مش كل القضايا تستاهل البطولة، القضية دي خسراة،

فبلاش تصيع وقتك.

"وليه متكونش تصرفاتكم قدامنا دلوقتي هي اللي تمثلية".

والهتاف كان من عبد الشكور بينما مسعود قرر أن يعقب بدوره

فصفق، صفقة، اثنتان، ثلاث ثم هتف:

- لا برافو، هايل قوي دور البطولة المزييف ده، دلوقتي مسعود

بقي الحيلة المائلة اللي عايزين تشيلوها خبيبتكم، دلوقتي شركة

الفيروز بقت خرابة يا سي عيسوي.

"أنا ماشي".

قالها عيسوي والتفت ليرحل فهتف مسعود:

– في داهية.

"واطي يا مسعود والرد عليك مفيش منه فائدة".

"وأنت مش زيه".

والسؤال من بشير والصدمة تمثلت في رده:

– أنا، أنا يا بشير.

– أيوة أنت، هو ده رد الجميل للحاج إسماعيل اللي فتحلك بيته

يوم ما اتخانقت مع مامتك، رد الجميل للراجل اللي راح معاك عشان

يخطبك واعتبرك زيي، يوم ما الراجل ده احتاجلك قبل شركة

الفيروز عملت إيه عشان تساعده.

– قولتلك مش قضيتي يا أخي أنت إيه مش بتفهم.

– لا بفهم، بفهم لدرجة أن معادن الناس مش بتبان غير لما

نحتاجهم.

والنظرة الأخيرة كانت من نصيب عارف، وهو من صفق بجرارة

ثم قال بتأكيد:

– مبروك عليك وقوع شركة الفيروز يا دكتور، خطتك اللي

رسمتها نجحت، يمكن أنا معرفش هدفك، بس مش هنكر، أن الجول

حلو وملعوب باحترافية.

"أنت كسبت يا دكتور".

قالها بشير ثم طالعهـم، نظرة أخيرة لرفقاء ما عاد يجمعهم إلا
الفرقة، والقرار هو أول من سيرحل.

كلهم غادروا وبداخل كل واحد منهم غصة لما آل إليه المشهد،
وبطريق عودته دمعت عيناه، وهو يفند بعقله، للنصر مذاق من يذوقه
قد يركن له حد التبلد دون حركة، ومن هنا تأتي هزيمته.
فكر فيها مسعود وقد عاد لمزله، بدا واضحاً إعياءه، لكن أتراها
تبا لي؟

لن يناديها لن يتوسلها ليستند عليها طالما ما عادت تعباً، ارتقى
بجسده على الأريكة بغرفة مكتبه يتأوه، فاتجهت هي مسرعة لتحضير
الطعام لتتفادى زعيقه، وما إن وضعته حتى نادى.
لكنه لم يحرك ساكناً، عادت تستأنف إطعام بناهما بغرفة النوم وقد
انتظرت أن تسمع صوته يتوجه لطاولة الطعام لكنه لم يفعل، شعرت
أنه يعتمد الانتظار حتى يبرد الطعام فيزعق، أو انشغل في أوراقه أو
ربما غفا ولو تركته فبال تأكيد سيزعق، كل الخيارات بنهايتها سيزعق
فهو ما عاد يملك فعلاً آخر ليفعله.

كررت نداءها ثم زفرت لاضطرارها للتوجه إليه، وقفت عند
الباب وهتفت باسمه، كان متمددًا على الأريكة يضع ساعده الأيمن
فوق وجهه، خطت حتى باتت على مقربة، وعندما رآته شهقت
بفرع، وانزعاجها فرض عليه أن يقف فجأة محاولاً إظهار أنه على ما

يرام، حركة فجائية زادت من ألم أحد ضلوعه، لكنه القوي الذي يجب أن يراه الجميع دوماً بكامل قوته، قررت سؤاله وهي تشير بيدها:

- وشك وهدومك، قصدي...

وقطع هو كلامها بتأكيد:

- أنا كويس.

وتركها متوجها لغرفة النوم ليبدل ملابسه، طالع جسده بالمرآة فوجد كدمة زرقاء تتوسط صدره، تأوه ثم صمت حين وجدها قد أتت خلفه، تطلع لوجهه فأدرك لما شهقت، جرح بجوار شفثيه وبقايا دماء سالت من أنفه، كدمة قوية بعينه اليسرى وآثار جرح بجبينه.

هل ستسأل عن السبب؟

لكنها لم تفعل تركت الغرفة دون كلمة ثم عادت وقد جلبت طبق به ثلج وشاش وقطن، كان قد تمدد على السرير حين وجدها قد جاورته لتمسح جروحه، فقرر إقرار أنه سليم بزعة وأدتها لمسة يدها لجبينه، صمت فوضعت خلف رأسه وسادة كي يرتاح لتباشر عملها، وعندها قال بإعياء:

- مش عايز منك شفقة يا درة.

نظرت بعتاب ثم أكملت ما تفعل دون أن تعقب، وكاد يعيد جملته أو ربما أخرى إلا أن لمسة يدها بجوار شفثيه فرضت عليه أن يصمت، بل بدا بعد دقائق أنه يطالعها مستمتعاً.

ما زالت مهتمة وتعباً لألمه).

غادرت الغرفة وعادت ويدها كوب ماء وقرص مسكن، تناوله

منها ثم دثرته وسألت:

- تنام ولا أجبلك الأكل؟

- مش عايز أكل بس ممكن تفضلي جنبي.

- البنات هيزعجوك.

- لا أبداً.

قالها وساد الصمت وتجهّم وجهه ولم تدرِ لماذا، لكنه يكره لحظات

عجزه، تذكره بفشل سفره وماضٍ اعتاد فيه وحدته. تبادلوا النظرات،

هل نحن بصدد عتاب؟

علا رنين الهاتف وكان الدكتور عارف، تجهّم وجهها وهي تناوله

له وما إن أمسكه ورد حتى أدرك أن عليه الخروج ومقابلته.

"أنت هتترل عشان تقابل الراجل ده".

سألته درة بأسى فأجابها وهو يبذل ملابسه:

- لازم أنزل.

وقبل خروجه استوقفته هي بالنداء:

- مسعود أنا محتاجة أتكلم معاك.

وقف والتفت وعقّب:

- لما أرجع يا درة.

- لا دلوقتي.

قالتها بحسم فرض عليه الاستغراب، هي ظنته ضعيف فقررت أن تعود لطلب الطلاق، بينما ما استشعرتة هي أن الكيل فاض، كل ما مضى من جفاء جعلها تظن أنها غير عابئة لكن ما اتضح لها الآن عكس ما ظنته.

"وأخرة الطريق ده إيه؟ لحد إمتي هتفضل مكمل وبتدوس من غير ما تفرمل، من غير ما تشوف اللي ممكن تخسره، أنا تعبت".

ورغم أنه اعتاد بكاءها فإن هذه مرة اختلفت، فصوتها الباكي كان أشد عليه من ألف طعنة وهي تكمل:

- أنا كنت خايفة تسافر عشان مكنتش عايزاك تبعد، لكن دلوقتي أنت جنبي وخلص بعدنا.

تمنى لو استطاع أن يزق لتصمت لكنه لم يجزؤ، قرر أن يظهر جلدّه تجاه دموعها، لكنه تردّد وبعد فراغ صبره أجابها:

- أنت ليه مش عايزة تفهمني، مسعود القديم مش هيرجع يا درة، مسعود الضعيف اللي الكل كان بيع وبيشترى فيه خلاص انتهى.

"يعني مفيش فايدة، مفيش فايدة".

وهذه المرة هي من زعقت من فرط يأس يكاد يحطمها، والأسوأ أنه قرر ألا يجيبها والتفت ليخرج فقالت بحدة:

- طيب سجل اللحظة دي كويس، وابقى افكرها واوعى تندم، أنا صبورة بس مش قليلة الحيلة.

وهي ليست بحاجة لتؤكد هو يدرك ويعرف لكنه يكابر لظنه أنها
مهما حدث ستظل معه.

هل باتت التجربة على الخك؟

لم يتأكد بعد، لكنه يتابعهم منذ رحيلهم من الشركة والأمور قد
توشك أن تخرج عن سيطرته لكنه دومًا قادر على إعادتهم لدائرته أو
هذا ظنه، فبشير خرج يومها من الشركة واتجه للمكتبة لينتظر أيتن
ولكنها لم تأت، ربما هذا جيد لكن لا ضمانه من أنهما لن يجتمعا،
ولأنه قرر معرفة أخبارها من البواب هاتفه وعندها أخبره بأنه أتى
لأيتن ولكنها رفضت مقابلته، وهذا يعني أن بشير على عتبات إحباط
من كل جهة، فأيتن قالتها له صريحة وواضحة؛ لن تساعد.

أما عبد الشكور فهناك قبيلة بانتظاره اقتربت أو أوشكت أن
تنفجر بوجهه، ويتأكد سينكسر بعدها للأبد

لكن الأزمة أو الصدمة تمثلت بمسعود، يوم أتى إليه بأحد الملاهي
الليلية كما اختار هو وحدد، وأمام بائعات الهوى كانت تعقيبه:

"شايف الستات مش تقولي درة".

زفر بشدة ثم سأل بجدية مُحوَّلًا دفة الحوار:

- حضرتك كنت عايزني ليه؟

بدأت طريقته تفرض القلق على عارف، ما الذي أصابه، هل

بدوره ستنفلت زمامه:

- تفكر هقولك تيجي ليه؟

ثم أشار حوله وقال:

- نقي الست اللي تعجبك، وبكده ابقى ساعدتك في موضوع درة، ويفضل موضوع فيروز وده أنت اللي هتعمله بنفسك، أنا اتكلمت مع محامي أعرفه ولقيت مخرج لو فيروز رجعت هایل.

أشار لفتاة كي تتوسطهما وقد ابتسمت لمسعود فغضب وأشاح بوجهه فأشار لها لتتركهما وهتف:

- معقول خايف من مراتك.

بحسم أجابه:

- مش هقدر أخون درة، وعندني أسباي، وبالنسبة لموضوع الشركة أعتقد ممكن نتكلم فيه وقت تاني. ومنذ ذلك اليوم رحلَ بلا رجعة.

وآخرهم عيسوي، فالهارب تراجع وكان قراره باللحظة الأخيرة، لن يسافر، وبالיום التالي كانت يده فوق كتف بشير الذي كان جالسًا كما عادته بسطح منزله، ليتسمر عندما يجده أمامه.

ساد الصمت وقد تبادلوا النظر وبعد تنهيدة راحة من بشير قهلت أساريه، احتضنه بقوة فعقب عيسوي:

- مش هقدر أقول غير منك لله، صحيت ضميري، الله يسامحك.

رغمًا عنه ضحك ورد:

- أنا مش مصدق أنك رجعت.

- ولا أنا والله، المهم دلوقتي هنعمل ايه يا حضرة المناضل؟

- طالما مع بعض ده كفاية.

"مسافرش؟"

"لا"

والدفع ياحدى المزهريات لتهشيمها كان المنفس لغيظه وهو

يتمتم:

- ماشي.

توعدّ بدا واضحًا بعده اضطراره لأي شيء حتى لو كانت ضرباته

التالية "تحت الحزام".

للترباط قوة من يعرفها قد تعينه حد اكتمال الفكرة، ومن هنا

تأتي نصرته.

كانت البداية ورقة وقلمًا، ليسجلا لكل معلومة عرفوها،

واستقراء لكل السيناريوهات الممكنة، وبين ما فعله عارف والنتائج

المرتبة باتت الخطوة التي يرجونها تكمن في سؤال سأله بشير وهو

يدور في غرفته.

(إزاي ندخل لمعمل عارف أبو العزم؟)

(إزاي ندخل لتوقيت جرينتش؟)

وبدا الاستغراب على وجه عيسوي وهو يسأله:

- عايز تقعد على الجهاز.

- لا يا حدق، عايز أشوفه وجهًا لوجه، بس إزاي ندخل معمله
والفيلا مؤمنة وكل هفوة بتحصل في الفيلا متوصلة بتليفون عارف؟
زَفَرَ وجلس بينما عيسوي ظل يتطلع لوجهه المتجهم ثم نظر
للأوراق التي كتبها بشير وبعد دقيقة عقب:

- نسرق تليفونه.

- طيب ما الكاميرات هتصورنا وإحنا داخلين يا ناصح!

- طيب ما هو أكيد الراجل مآمن معمله وأجهزته وحتى لو دخلنا

ولا هنعرف نوصل لحاجة.

زفرا بضيق، جلسا قبالة بعضهما البعض، سَحَبَ بشير كوب
الشاي بالنعناع، سحب عيسوي كوب الشاي بلبن وتبادلنا النظر،
كيف سيتمكنان من اختراق عالم هذا الرجل؟
(الواد حماسة بتاع وصلة النت).

قالها بشير ببالح سعادته وكأنه وجد بُغيته مما فرض على عيسوي
أن يرد هازئاً:

- هنتحجم فيلا عارف بحماسة، هو ده آخرننا في الأكشن.

- عندك حد تاني يساعدنا؟

والإجابة بدت نعم حين انزوت على شفتي عيسوي ابتسامة
انتصار وقد همهم باسمه:

- عماد.

وللغدر صفقة من يناها قد توجهه حد اتضح الرؤية، ومن هنا تأتي استفاقتة.

"ستزوج".

والقصة مثيرة لمواقع الفراغ الاجتماعي حد الثرثرة حول قصة رومانسية، وكجوعى ظنوا برغيف خبز فاسد الشبع كانت مشاركة المنشورات على أشدها، وفي خضم التشويش توهجت صورة تم السعي ليكون لمعناها خاطفًا.

"عن نظرة عينه وهو يبصلها بكل حب وأمان، مقالش مطلقة، مقالش كسر، لا عززها وحبها من قلبه، وقرر يعوضها عن كل اللي فاتها، رنا أمين / هيشم مذكور مبروك من كل قلبي، عن أجمل داعية وأحسن مخرج ربنا يسعدكم ويوفقكم".

بوستات، بوستات، بوستات، تويتات، تويتات، تويتات، إنه ذات "المزاد".

والزوج السابق لا يملك وقتًا لمتابعة الترهات، فهو من يراعي الأولاد، يطبخ، يكنس، يغسل، ويغير الحفاضات.

لكن هيشم لم ينسَ دعوته، رغبة جمّة في أن يأتي بأي ثمن، لذا أرسل له دعوة وهاتفه وأكد عليه الخيء وأمام إلحاح كثري لحضور المناسبة لم يملك فرصة للرفض.

وحل مساء الخميس وتوجه وأطفاله للفرح، ليتابع عن كذب سيارات فارهة يركبها نجوم المجتمع، حفل صاحب بأحد أكبر فنادق

القاهرة، وما إن بدأ العرس حتى توسط العروسان القاعة، ذراعاً حوط خصرها والآخر ضم يديها، ورقصا.

وأخيراً انفض الزحام حد استطاعة دخول عبد الشكور للقاعة، وما إن رأته لوللا حتى شهقت وسألت بقلق:

– ليه جيت يا عبد الشكور؟

لم يرد فتابعت:

– أنت عارف مين العروسة؟

وابتسم هازناً كون الأمر لا يعنيه، إلا أن العريس قد رفع عروسه وحملها من خصرها ودار بها وسط صفيح الحاضرين وتصفيقهم وصياحهم. فلمحها وعندها فهم، لم يخبره أحد من أقاربه، أخوفاً منه أم خوفاً عليه؛ لا يهم، تعددت الأسباب والموت واحد.

وأنزلها هيثم مقررًا إثمء المشهد بطريقة احترافية، ولحظة رومانسية قبله هيمية تعالى معها التصفيق وعندها التفتت لتراها كترى: "ماما!" كلمة ضاعت وسط ضجيج الحفل، فرضت على الطفلة أن تقترب، لتتأكد وفرضت عليه أن يهتف باسمها ليستوقفها، وما بين اللحظتين توقف كل شيء، تلاشى كل شيء إلا دموع صغيرة أثمرت وقد علقته بالوسط، نظرات تبادلها هو وهي، تساءلت معها عينيها أنادم؟ فأجابها قلبه: بل مستفق.

وكُلل عارف وجوده بنظرة شماتة منحها له بابتسامه متشفية فلم يملك إلا أخذ طفليه والمغادرة.

ساعة الصفر موعد مغادرة عارف لفيلته لحضور حفل زفاف المخرج هيثم مذكور والمهمة تبدأ بدور عماد الرئيسي بعد معاناة من عيسوي من أجل إقناعه بالعودة لهوايته التي يحترفها سرًّا دون علم أحد باستثناء عيسوي، كونه مهندس حاسبات ومعلومات بأحد أهم شركات الاتصالات وهاكر سري ومدمن أفلام أكشن

ومن يظن أن عماد جاء بمحض إرادته واهم فحين فشلت كل سبل إقناعه قرر عيسوي إخراج - سيديهاته - فكانت الموافقة.

وكانت خطوته الأولى تثبيت الإشارات الصادرة من كاميرات المراقبة لهاتف عارف ثم تعطيلها ثم تعطيل الإنذار وقد قفزوا من فوق السور إلى الحديقة، دار بشير حول الفيلا من الداخل حتى بدا واضحًا أن مدخلهم لمعمله سيكون عبر الصعود لإحدى الشرفات المفتوحة والمروور عبرها للداخل، كانوا بالطابق العلوي فقرروا البحث لمعرفة مكان معمله، وبعدما تفرقوا علا هتاف بشير بإشارة إلى مكانه ببدروم الفيلا، فتجمعوا ودخلوا ليكونوا وجهًا لوجه بما يملك وعلى رأس القائمة جهازه "توقيت جرينتش".

هتف عماد وهو يتفرسه بعناية:

- هو ده الجهاز اللي عامل عليه قلبان أنه بيغير مجرى حياة

البشر.

وجملته استوقفت بشير فطالعه بدوره وقرر أن يتلمسه ويسأل،

أحقًا جلس دعبس على هذا الجهاز.

"شوفت الورقة دي يا بشير".

جملة قالها عيسوي وقد أمسك بيده ورقة كانت مثبتة بدبوس معدني بلوحة كانت معلقة بالحائط المقابل للجهاز، أمسكها بشير، ليجد فيها أسماء مسعود وعبد الشكور وعيسوي مشطوبًا عليهم بينما اسمه هو محوط بدائرة بجواره اسم أيتن وقد حوطته دائرة أيضًا.

"هو الراجل ده عايز منكم إيه بالظبط؟"

قالها عماد فكانت إجابة بشير بثقة:

- عايز تجربته تنجح.

فعقب عيسوي:

- وإحنا مالنا وماال تجربته؟

وبنظرة عامة للمكان قال بشير ما استشعره:

- التجربة مش هي بتوقيت جرينتش، الجهاز ده تغطية على

حاجة أكبر.

ثم نظر الثلاثة لحاسوب عارف الشخصي، ففهم عماد ولكن قبل

فتحه ثمة صوت سيارة توقفت أمام بوابة الفيلا، فبدأ واضحًا أنه ربما

قد عاد أحدهم!

وما إن ركب سيارته حتى استشعر أنه ما عاد يملك السيطرة على جنونه، أراد هيثم إيلامه أو جرحه، ولكن لماذا كانت اللعبة رخيصة حد إيذاء أطفاله، لحقت به لوللا لتطمئن عليه وما إن رآها حتى خرج من سيارته وقد طلب منها مرافقة أطفاله.

عاد مسرعًا للقاعة وكل ما يريده رؤية عارف، دخل ودار بعينيه وسط الحاضرين فلم يجده وقد استوقفه أحد المسؤولين عن الأمن مطالبًا إياه بالخروج، فالتفت وقد تبادل النظرات مع رنا مرة أخرى ثم خرج وعندها لمح عند المدخل وقد بدا عصبيًا بجوار أحدهم وقد أسرع الخطى ليبتعدا عن الجميع قدر استطاعتهما فلحق عبد الشكور بهما واقترب ليتيقن ممن رافق عارف، وعندها كانت صدمة غير متوقعة كونه "حسن"!

ما الذي يفعله خطيب ابنة خالة بشير بجوار عارف؟

والإجابة عرفها حين اختبأ وحاول أن يسمعهما.

– غبي قولتلك أنا اللي أكلمك وأنا اللي أحدد امتي وفين نتقابل،

ايه اللي جابك؟

– بشير وعيسوي في فيلتك.

وما إن قاما حتى فتح هاتفه واختبر التواصل مع منزله، ومن ثبات الصور أدرك أنه ربما يكذب، وهذا يعني أن عليه التأكد، فانطلق بسيارته لمواجهةهم بمنزله:

"وقعتوا ولا الهوا رماكم؟"

قالها وأوقف سيارته فهتف عماد فيهم:

– هنعمل إيه دلوقتي؟

سَحَبَ بشير حاسوب عارف وقال هو يهرول للخروج من

المعمل:

– بنفس الطريقة اللي دخلنا بيها.

أسرع عارف للدخول وركض نحو معمله وما إن طالعه بنظرة سريعة حتى أدرك أنهم قد سرقوا حاسوبه والورقة التي كانت معلقة لا أثر لها، فأسرع ليبحث عنهم بالفيلا حتى استوقفه صوت دراجة بخارية تنطلق مسرعة فركض نحو البوابة ومنها للخارج ولكنهم قد رحلوا.

"أغيبا".

وثن الغباء لن يكون هيناً.

هل عليه أن يقلق لرؤية حسن برفقة عارف؟

دار بالغرفة وطوال ليلته عجز عن استكمال نومه، بداخله شيء يحثه على مهاذفة بشير لكنه يدرك أنه لن يصدق، تقلب في سريره يريد نفص الأمر عن عقله لكنه لم يستطع ومع الصباح أوصل أطفاله إلى الحضانة ثم توجه لمركز عارف وأمامه انتظر بداخل سيارته، وعند العاشرة ظهر عارف وقد نزل من المركز ومعه حسن وركبا سيارة عارف وانطلقا حيث الطريق المؤدي لفيلا عارف.

وبنفس التوقيت جاءها اتصال تليفوني اقتطعها من أعمال المطبخ،
اتصال يحمل أسوأ خبر من الممكن أن تسمعه، إسماعيل بالمشفى ويود
رؤيتها، وبشير بالطريق فهل ستأتي هي؟
دون تفكير أسرع واستوقفت أول سيارة أجرة وجدتها،
وكانت السيارة تدرك وجهتها.

"أنا عند وعدي، ساعدتني واديني هساعدك وبعد دقائق مها
هتكون عندك حلال عليك تعمل فيها ما بدالك"
والجملة فرضت على حسن الاستغراب فسأل:

– مش فاهم؟

بنبرة هازئة أجابه عارف:

– مش فاهم، ولا خايف أكون فعلًا قاصد اللي في دماغِي؟

– دكتور عارف مش أنا اللي أأذي بنت حنتي.

قالها بحدة فرضت على عارف الضحك ثم الرد ساخرًا:

– حسن، أنت أذيت ولاد حنتك فعلًا.

شعر حسن بالغيظ فهتف مُدافعًا:

– أنت وعدتني تساعدني إذا ساعدتك؟

والرد ضربة تلقها فوق رأسه من فريد فأعشى عليه، وعندها

ركله عارف بقدمه ليكومه جانبًا، ثم توجه للخارج حيث السيارة

التي وصلت لتوّها:

"أهلاً أهلاً".

قالها عارف وهو يفتح لها باب السيارة، وقد جذبها من ذراعها وإخراجها عنوة وإدخالها لفيلته بينما هي تحاول دفعه عنها بكل قوتها وهي تزرق فيه:

- أنت عايز مني إيه بالظبط.

ولن ينكر دهشته أمام ثبات حفيذة إسماعيل التي لا يعرفها، لكنه لم يبالي فقط أشار لحسن المكوم جنباً وردّ:

- هو اللي كان عايز، بس تعرفي أنها مش هتفرق حسن من فريد طالما المتعة واحدة.

أهو تمديد صريح بالنيل منها، من عرضها وشرفها، صفعته بقوة على وجهه وصرخت:

- على جثتي.

أمسك يدها بغيظ ثم جذبها ناحيته وزعق محتدًا:

- واضح أنها مش هتبقى مهمة سهلة، بس تعرفي أنا معنديش مشكلة أبعت لبشير جثة بنت خالته.

- أنت فاكر الدنيا ساوية.

- أنا مش فاكر، أنا متأكد.

والجذبة أشد وأعتى، ومن هي لتقاوم ولكنها ستفعل، دفعت يده وركضت نحو باب مغلق لن يُفتح أبدًا، لتأتيها الجذبة من فريد والدفع بها أرضًا وهو يعرف ما الذي ينبغي عليه فعله وهي ستقاوم وعارف سيضحك.

ضحكات، ضحكات، ضحكات.

صرخات، صرخات، صرخات.

إلا أن ضربة لم يحسب حسابها باغتتهم، حين دفع عبد الشكور الباب، وضرب فريد فوق رأسه بالذات العصا الملقاة بجوار حسن وقد جذب مها لتقف خلفه وتحتمي بظهره هاتفاً:

– مها هتمشي من هنا وإلا هيكون التمن حياتك أنت.

ورؤية عبد الشكور أمامه صعقته، فجذبه من قميصه وهو يصرخ فيه:

– وأنت مالك بيها؟

الغبي الفاشل، مَنْ يظن نفسه لحمايتها، دفعه عبد الشكور ولم ينتظر فهورول بها خارجاً، ليدرك عارف عندها أن الوقت المزاح قد انتهى، ركض خلفه وقد أخرج مسدسه وهتف:

– سيبها يا عبد الشكور، وأمشي وأوعى توهم نفسك أنك تقدر تكون بطل، عارف أبو العزم بينفذ مش بيهدد.

استوقفهما قبل الخروج من بوابة فيلته ثم لوّح لعبد الشكور بسلاحه والعجب كل العجب أنه لم يعد خائفاً، وهذا الشعور جد رائع.

– قدامك تلت ثواني، اختار يا تمشي يا تموت، وبأريت وأنت بتفكر تفنكر ولادك كويس.

تذكرة ليست بالهينة قد تفرض عليه التراجع لكنه حسم أمره،
وبالثانية الأولى هتف:

– على جثتي تمس منها شعرة.

وبالثانية الثانية كان الضغط على الزناد هين، وقبل الثالثة اخترق
الرصاص جسده فهوى أرضًا، إلا أنه ظلَّ مُمسكًا بيد مها دون
إفلاتها، لن يسمح لعارف بإيذائها مدام في كل الأحوال ميت،
صرخت باسمه وقد اتمارت باكية، بينما اتسعت ابتسامة عارف وهو
يطالعهما بقوله:

– اختيار موفق.

ثم وقف أمام جسده المُسجَّى وأردف:

– عاش عادي ومات غبي.

لكن استفاقة الغبي أفرعته حين ركل بقدمه سلاحه فأسرعت مها
وأمسكته، ثم قذفه بحفنة رمل بعينه:

– مين اللي غبي دلوقتي؟

قالها وقد استند على مها ووقف، ضغط بيده على جرحه
وبالأخرى أمسك المسدس وكل ما فكر به خروجهما، لن يركض
خلف بطولة قد لا يشبهها أو هذا ظنه، فأسرعا حتى وصلا لسيارته،
قادها بصعوبة بينما استشعر أن عارف سيلحق به فاختر الابتعاد عن
الشوارع الرئيسية، ساعدته هي بالضغط على جرحه كي توقف
التريف وقد قالت:

- لازم نطلع على أقرب مستشفى.
لكنه لن يستطيع أن يكمل السير فوقف، وعندها نظر لها وتمتم
بحفوت:

- كترى، تيم.

قالها بخوف فسألته من بين دموعها:

- ليه عملت كده؟

- أي راجل مكاني كان هيعمل كده؟

- مفتكرش يا أستاذ عبد الشكور

قالتها وقد شهقت بيكائها، فأجابها مؤكداً:

- عشان أطمئن على كترى، عشان ميجهش اليوم اللي يكون فيه
التفريط في الأعراس هين.

- وحياتك وأولادك؟

- اوعديني إن بشير هيخلي باله منهم، مش عايزهم يتربوا مع
طليقتي.

قالها وصمت ولم يكمل بعدها، لأن طيف غيمة سوداء قد سحبه،
ليري فيها أطفاله يركضون نحوه فيفتح ذراعه لهما ليتعلقا برقبته،
وشيناً فشيناً تتلاشى الرؤى ليصدق معها سؤال بالأفق
أحقاً فعلها العادي؟

بل فعلها العاديون، العاديون لم ينهزموا، بل للدقة لا يوجد
عاديون، يوجد بشر والمواقف وحدها تختبرهم.

(18)

وما بين الأمس والآن، قررنا أن نتخذ القرار بإعادة صياغة
الحكاية ولكن من زاوية أخرى، حيث إن الراوي... إنسان.
أدرك الفرق بينه وبين سائر المخلوقات حين ميزه الله....
"بالإدراك وملكة الاختيار".

"عرفت فالزم".

ولكن أحقاً عرفت حد إدراك المعرفة؟

وما المعرفة؟

هي الوعي!

وما الوعي؟

أحقاً تريد الإجابة؟

إذاً دعك من السفسطة، من كتابة تعريف وسرد أجوبة، وافتح
عينيك واترك لها العنان لتري، واستيقن بما وقر في القلب وصدقه
العمل، استيقن بأنك أنت أنت وأنك لست بحاجة لمحاضرات تُعيد لك
صياغة نفسك.

"أنت يوم خلقت رُزقت قدرًا من المعرفة".
لكنهم وأعد الضمير على أي مما تشاء لإدراكهم عظمة وعيك
قررُوا إلهانك.

ركض خلف لقمة عيش، مستقبل أفضل، طموح وأحلام
وأهداف وعند نهاية المارثون فاتك ما كان عليك إدراكه.
بالحياة الحقيقية الأبطال ليسوا أصحاب قوة خارقة بل اختيارات
صادقة حسمها يكمن باللحظة الفارقة وأنت وحدك من يحدد، بأي
طريق تسلك.

وهو حين قُدر له الاختيار أبهرهم، حد ذهول فرض نفسه وقد
تجاوزا بجانب سريره في المشفى بانتظار استفاقته.
"كثري تيم".

قالها بصوت خفيض جاهدًا خروجه ثم بدا لهما أنه يفتح عينيه
فهتف كلاهما باسمه: عبد الشكور.

فتح عينيه ثم طالعهما بدهشة وهو يتمتم:

– هو أنا لسة عايش؟

– أكيد طبعا، ما أنت لو في قبرك كان زمانك بتتلسوع دلوقتي.

قالها عيسوي مازحًا ثم أردف:

– حمد لله ع السلامة يا عم، خصتنا.

ثم قالها بشير وهو يضع يده فوق يد عبد الشكور، بينما أردف

عيسوي:

- يا أخي ده أنت صفت دمنّا.
- آسف والله مكونتش أقصد أخض حد.
- تخض مين، إحنا اتبرعنالك بدمنا، حاول ترتاح بقى لحد ما
الشاي بلبن يشتغل.

قالها مبتسمًا فزادت ابتسامه عبد الشكور وقد استوقفه أههما
تبرعا بدمائهما لإنقاذه، ثم بلهفة سأل:
- كترى وتيم...؟

وقبل أن يكمل طمأنه بشير بأههما برفقة مها بجزئها منذ الأمس،
وقد قرر وشدد أنه في حال خروج عبد الشكور من المشفى بأنه
سيخرج لمزله ويقيم عنده حتى إتمام شفائه، وقبل أي اعتراض منه
كان الإصرار من بشير والتأكيد من عيسوي: بعيدًا عن أنك هتحتاج
لحد معاك خلونا نفكر أن عارف دلوقتي بقى حاططنا كلنا في دماغه
ومش بعيد يحاول يأذيك مرة ثانية.

والجملة فرضت على الثلاثة أن يتطلعوا لبعضهم البعض وقد قرر
عبد الشكور أن يُعقب:

- أنا مبقتش قادر أفهم الراجل ده عايز ايه بالضبط؟ أنا مش
عارف إحنا عملنالاه ايه عشان يبقى كل همّه يجرب حياتنا بالشكل
ده؟

"كشفتناه".

قالها بشير ثم أردف:

- عرفنا هو عايز ايه وبيخطط لايه، وده كفييل أنه يعمل أي حاجة عشان منوصلش المعلومات اللي في إيدنا للناس، صدقوني عارف ضعيف ويمكن خايف مننا أكثر ما إحنا خايفين منه، الراجل ده ضيع شركتنا ومن قبلها حياتنا ومعادش ينفع نعمل من بنها. كلمات فرضت على الثلاثة القلق وعلى من قالها الخوف، هو ليس بتلك الشجاعة وكل سعيه كان لإثبات براءة جده.

- طيب هنعمل إيه دلوقتي؟

سأل عيسوي فأجابه بشير بابتسامة متحدية:

- هنقلب السحر ع الساحر.

عارف vs العاديين

وقد بدأت الجولة الأخيرة أو أوشكت.

لكن ماذا عن البقية؟

سؤال كاد كل واحد منهم أن يسأله لكن قبل المبادرة بإجابة

انتصر صمتهم.

منذ وجودها هنا، تنتظر بالشرفة لساعات، تُمني نفسها قدمه

ولا يأتي حتى ينتهي اليوم، فتيأس؛ أحقًا سافر دون إخبارها؟

"خلاص يا ستي أبشري بابا راجع انهاردة".

قالتها مها فقفزت كتري من مكانها وركضت نحوها تسأل بلهفة:

- بجد؟

اشتياق بدا واضحًا في عيون الصغيرة فرض عليها التأثر وقد
تذكرت إسماعيل بدورها، فربتت على كتفها وردت:

- بجد والله، بابا راجع وهيقد في بيت عمو بشير عشان تعبان
شوية وبعد ما يخف هتروحوا على بيتكم، إيه رأيك بقى؟
عناقتها بفرحة ثم جلبت فرشاة شعرها وجلست مطالبة إليها
بعمله جدائل وقد عقبته:

- أنا فرحانة جدًا إنه راجع، عارفة يا طنط مها بابا ده أصلًا
أحسن راجل في الدنيا دي كلها، أنا افكرته زعل لما لاقى ماما
اتجوزت أونكل الوحش وهيسينا ومش هيحي تاني، بس طلع حلو
ومش هيسينا، هو عمره ما هيسينا مش كده.

ورد مها كان دموع وقد احتضنتها وأكدت:

- أكيد يا حبيبي هو فعلاً بحبكم قوي.

- طيب يلا بقى عشان لما يوصل نكون هناك

قالتها وهي تجذبها من ذراعها فاستوقفتها وهي تضحك وقد

عقبته:

- طيب مش نغير لتييم وبعدين نروح.

- يوووووووووه.

قالتها بتململ ولكنها لم تملك إلا مساعدة مها حتى أنهت هندامهم

وقبل الخروج نظرت لكليهما ثم قالت:

- تعرفي يا كترتي إني أكيد هاتضايق جدًا لما تروحوا.

- أنا كمان حبيتك قوي.

- افهم من كده أنا ممكن نكون أصحاب.

- لا مش هينفع، أصل أنت كبيرة عليا قوي، بس ممكن ابقى

أجي أزورك وأنت وطنط أمينة تبقوا تيجوا تزرونا.

ولم تملك إلا الضحك على طريقتها وقد اتجهوا لبيت بشير، عندها كان عبد الشكور قد وصل وتمدد على السرير بغرفة بشير ودون سابق إنذار قفزت هي فوّه ما إن رآته، كاد يتأوه ولكنه كتم شعوره بألم واحتضانها وتيم، وقد أصرت كتري بدورها ألا تتركه وهو بدوره شدّد على نومهما إلى جواره رغم إلحاح الخطين على الاهتمام بهم، وبالنهاية غرق الثلاثة في سبات عميق، ودثّرهم بشير وأغلق عليهم باب غرفته، واتجه ناحية سطح منزله، أيعقل أن يذكره عبد الشكور بجده، أو ربما هي لهفة كتري وهي تحتضن والدها فرضت عليه أن تترقق عيناه بالدموع وهو يتمتم:

- والله ليك وحشة يا جدي، أنا من غيرك مقطوع قوي.

نام هو وهي استيقظت شاردة، عقلها لا يفكر إلا فيما حدث، عجيب هو حال البشر يوماً ما أحببت بشير ولكنه لم يجبها ويوماً ما أحببت حسن ولكنه غدر.

أحقاً ما مضى كان حباً أم أن الحب الحقيقي قد يظهر مستقبلاً؟

ثم ابتسمت وهي تمط شفيتها حين تذكرت لهفة لوللا على عبد الشكور بالمشفى، واتصالات طليقته وكلام كتري المستمر عن آيتن.

"أمال لو تامر كان هيعمل إيه؟"

قالتها وزفرت وقد وضعت رأسها على الوسادة ونامت هي واستيقظ هو، تطلع إلى صغيراه وابتسم وقد تذكر كلمتهما:

"متخافش أنا هتصرف لحد ما نوصل لأقرب مستشفى، متخافش أنا جنبك هتعيش والله هتعيش".

وما بين امرأة خانت وغدرت وتخلت وأخرى بحثت عن مصالحها بدا له أن هناك أخريات يُقدِّرن التضحية.

تنهَّد بقوة ثم مسح على رأس كترى وابتسم ورواده سؤال أحبطه: هل سيقدر على خوض القادم معهما وحده؟

صباح جديد على شركة الفيروز، دون زعيق من أحد، فمسعود أصبح وحده، ظل يعبث بالأوراق والغليظ يكاد يأكل قلبه من تحدُّ واضح قد وضعوه فيه، فرشفت الباقي من قهوته دفعه واحدة ثم هتف: - ماشي إن ما ورتكم ميقاش أنا مسعود.

قالها ثم نادى بأعلى صوته على مدبولي ليحضر له فنيجان قهوة آخر بدلاً من الفارغ، أعدده واتجه به إليه وحين رأى حيرته عقب على ما بات يفعله، ثم حشه على مهاتفتهم.

- هو أنا كنت قلت لحد يمشي؟

- قولتلهم في ستين داهية ويجي غيركم، بس لا أنت عارف تشوف غيرهم ولا عارف تحلها، يا ابني الشركة دي أنتم الأربعة بنتوها سوا، كلمهم يا ابني الله لا يسيئك.

والرد خرج بكل عصبية وكبر:

- لا، هما فاكريني هغرق من غيرهم، أنا هوريهم.

- يا ابني أنت غرقان فعلاً، عوضي على الله.

قال جملته الأخيرة بفراغ صبر وتركه، وحاول هو فهم الخطأ في مجمل الحسابات ولم يستطع وبنهاية اليوم رحل وهو صدقاً لم يعد يدري، إلى أي طريق ستتجه الشركة غداً أو بعد غدٍ، بل إلى أي طريق ستتجه حياته كلها وعلى رأس الأولويات درة.

وصل منزله ودخل ليجد الصمت مسيطر عليه، شعر بالقلق فاتجه لغرفة النوم فلم يجد أحداً فنادى بأعلى صوته:

- درة.

ولكن لا رد.

أعادها وكررها وهو يبحث في كل مكان دون جدوى فأدرك أنها رحلت وفوق حاسوبه تركت خطاباً أدرك من قبل أن يفتحه أن تهديدها لم يكن هزل، وحين قرأه استيقن أنها ما كانت قليلة حيلة بل على النقيض.

"أنا هبعد بولا دي عشان من حقهم يتربوا بفلوس حلال، ومع أب خايف عليهم، وبما إني عارفة رد ماما وكل اللي حواليا أحب

كان يستجديه بعيون دامعة فابتسم عارف باستهزاء وهو يعيد:
أي حاجة

أشار له أن يتبعه، حيث معمله ثم أشار له بالجلوس وعندها أخرج هاتفه ليطلعه على صورة فتاة ثم قرر بعدها:

- أنا عايز أرتاح من زن البنت دي.
طالع الصورة ولم يفهم فأردف عارف:
- اسمها أيتن، وهي اللي كانت بتعمل الفيديوهات ضدي.
أمسك الهاتف من يده يتطلع لوجهها فقام عارف من مكانه ودار حوله هامساً بأذنه:
- خبطة بعربيتك، تقع متقمش.
وما قاله فرض عليه أن يقف مُحْتَدًّا ليهتف فيه:
- اقتلها.
- مش عايز امشي، وغيرك هينفذ، أنت مش مجبر بالعكس تقدر تختار اللي أنت عايزه.
والجملة فرضت عليه أن يجلس بحية أمل يطالع صورة أيتن التي لا يعرفها ولا تعني له حياتها أو موتها شيئاً، ثم صمت لدقائق قبل أن يرد بتردد:
- موافق.
- برافو، وليك عليا أعرفلك درة راحت فين وأساعدك لحد ما تلاقيها، اتفقنا؟

صمت ولم يعقب وقام من مكانه ليخرج وعندها استوقفه ليؤكد:
- هتفد بكرة الصبح.

قالها وهو يمدُّه بعدة أوراق مكتوبٍ فيها كل ما يخصُّها، فاستلمها
مسعود ورد:

- تمام.

ثم غادر وعندها ساور عارف الشك في كونه سيفعل فأمسك
بماتفه ليطلب من أحدهم أن يضع مسعود تحت مراقبته.

ليلة طويلة دون درة وبنتيه، وضع فرضَ عليه تذكُّر الماضي، يوم
طرده عمه للشارع والحجة أنه كبر وبات يخشى منه على بناته، يوم
قرر تحدي ظروفه كي يحقق حلمه، حزن مرات ويئس مرات أكثر
حتى عرفها، كان قد أيقن أنه متعوس حتى أحبته فنال من اسمه
نصيب.

تنهد بمرارة وكل ما مضى بينهما يمر بعقله، حتى حين ظن أن
الأيام ستمنحه رغباته ضنت عليه بالأمان معها، حين خشي أن يخسر
ما امتلكه خسرها.

دعس سيجارته وأمسك بالعلبة المجاورة له ليجدها فارغة، لقد
دخَّن كل ما بها.

فرك عينه بيده وقبل أن يقوم عن مكتبه أمسك بالأوراق التي أعطها إيها عارف ساحراً، المهندس سيصير قاتلاً، ويا لها من نهاية عادلة لحياة بطلها مسعود ولقبه أبو السعد!

"طلقها وغيرك يتجاوزها، مش عايز الترقية غيرك يأخذها، مش عايز تدخل الجهاز غيرك يدخل، مش عايز تنفذ غيرك ينفذ".
وفي كل مرة يضعون له الاختيار بين السيء والأسوأ ورغم كل هذا تحمل، تحمل لعل غداً يأتي بالأفضل وها هو غداً قد أتى خالي الوفاض من كل شيء حتى بقايا أخلاقه قد تخلت عنه.
"أيتن".

اسم توسط الأوراق وبين السطور بدت له قصة مشابهة، الفتاة التي مات عنها والديها وليس لها إلا أختها الصغرى، مستوى مادي مُشابه، تعمل بحضانة منتسوري لتتدبر أمر نفاقها وأختها بجوار معاش صغير تركه والدها.

وتلك هي من يريد قتلها عارف، فأخلاقها تورقه وإيجابيتها تؤذيه، وأمثالها لا مكان لهم في هذا العالم. ومع الصباح ظل بالسيارة بانتظار قدومها، هل حانت اللحظة يا مسعود؟
"امشي وغيرك هينفذ".

وقبل دخولها علا صوت طفلة نادتها فالتفت وقد علت الابتسامة وجهها وهي تعقب:
- كترتي.

"بنت عبد الشكور".

قالها وقد اعتدل ليتأكد، ثم دقق نظره وهو يحاول تذكر أين رأى
من رافقتهم.

"بنت خالة بشير".

كان قد رآها بصور خطبة بشير، وبدا واضحاً الود بين الاثنتين
وقد تجاوزتا واتجهتا إلى الحضانة ثم تصافحتا وقد ودعت ابنة خالة
بشير الصغيرين ورحلت.

وعندها نزل من سيارته وقد قرر الاتجاه نحو باب الحضانة وكأنه
يريد استكمال مراقبتها حتى بعدما اختفت فوقف عند النافذة
المفتوحة يتطلع للداخل، استوقفه بكاء رضيع كانت تُهدده إحدى
العاملات، فتذكر حور ونور.

تنهد بأسى وعاد للسيارة وقد دفن وجهه بين كفيه ولا تزال
كلمة عارف تردد في أذنه.
"امشي وغيرك هينفذ".

تطلع مدبولي إلى المكاتب الفارغة، لم يأتِ للشركة أحد، ما عاد
أحد يعبأ لأجل الفيروز.

استوقفه صوت أحد المقاولين وهو يسأل بحدة عن المسؤول عن
هذه الشركة والإجابة من عم مدبولي كانت ضرب كف بكف وهو
يرد بقهر:

- مفيش يا ريس، خلاص الشركة خربت.
والمقاول بدوره ضربَ كَفًّا بكفٍّ وعَقَبَ:
- وفلوس الناس والعمارات اللي معدتش حد متابعتها.
ولم يملك إجابة سوى الرحيل وهو ينظر بحسرة للمكان وقد أغلق
بابه ثم نظر لليافطة الكبيرة وفرت من عينه دمعة لم يملك بعدها إلا
الرحيل.

وقف يجمع أغراضه وعندها عقب بشير بضيق:
- طيب استنى حتى لحد ما مها تجيب ولادك من الحضانة، بدل ما
تروح مشاورين.
- أنا تعبتكم معايا بما يكفي ومها أولكم.
قالها عبد الشكور وأكمل تحضير حقييته ثم نظر لبشير وسأل
بقلق: لسة حسن مظهرش
- هو يقدر؟
ثم زفر وأكمل:
- من يوم اللي حصل وهو محاولش يرجع الحنة ولا يورينا خلقتة.
- مسكين.
وتعقيب فرض على بشير الدهشة، هل يعقل أنه يدافع عن
حسن؟، لكن الحقيقة أنه يدافع عن نفسه التي كادت أن تسقط في
فخ عارف لولا استفاقة ضميره.

تجاوزا بالشرفة المطلة على الحارة تطلعا لثوانٍ في وجوه المارين ثم
أردف عبد الشكور عندها:

- عارف يا بشير لو سألت أي حد يا ترى ممكن تسرق أو تقتل
أو تخون هتلاقيه بيقولك بكل حسم مستحيل، عارف ليه؟
لأن دائماً بين الخير والشر شعرة، شطارة الشيطان أنه يسبيك
تعيديها من غير ما تحس، وده اللي عمله عارف معانا، دي الطريقة
اللي استدرجنا بيها.

- بس ربنا أدانا عقل نميز الغلط من الصح.

- تفتكر العقل لوحده كفاية؟

تعقيب فرض على بشير التفكّر، بينما علا صوت عيسوي من
الشارع وهو يناديهم:

- طابحين إيه الهاردة واوعى تقولي قلقاس.

وعلى وَقَعَ كلماته ضحك كلاهما وقد عقب بشير:

- اطلع وهنعملك شاي بلبن.

وعلى مقربة من بيت بشير كان هو، أوقف السيارة ونزل منها
ليسأل عن بيته، ليفاجأ الثلاثة بوجوده وهو يسأل والدته بشير عنه.

"مسعود"

وخطوة كتلك كانت كفيلة أن يدرك عارف أن علاقته بمسعود
باتت على المحك، ذهب مسعود للتلاهي البغيض، ولا شك هو ذهب
ليحذرهم أو على الأرجح هي بداية تعاون.

جمعهم سطحٌ منزل بشير، ساد صمت طويل بعدما انتهى مسعود
من كلامه حتى قطع عيسوي الصمت ليقول:
- أنت متخيل بعد كل اللي عملته معانا أننا ممكن نصدقك أو
نتق فيك .

لم يرد فزادت حدة عيسوي وهو يكمل:
- أنت مش طردتنا جاي ليه دلوقتي، ولا دي لعبة جديدة منك
عشان تستدرجنا لفخ من أفخاخ عارف.

كان مسعود يدرك كم الشروخ بعلاقتهم لكنه ردَّ بحسم: يا بني
آدم اسمعي لو معندكش ثقة فيا فكر في حاجة واحدة، أنا إيه
مصلحتي في إني أخاف أنه يأذي أيتن وأنا معرفهاش أصلًا.

تطلع الثلاثة لوجهه ولم يعقب منهم أحد فأردف:
- على العموم أنا عملت اللي عليا وأتمنى فعلًا تصدقوني، ولو
على افتراض واحد في المية إن كلامي صح.

ظَلَّ الصمت بل أولاه الثلاثة ظهورهم، فشعر أن عليه الرحيل
لكنه قبل المغادرة قال بترجُّ:

- يا ريت لو نتجمع كلنا بكرة في الشركة، يا ريت ترجعوا لإني
فعلًا مش عارف أعمل حاجة لوحدي، ومش هكدب عليكم أنا
خايف الشركة تقع، أرجوكم ارجعوا يمكن نقدر نلحقها.

رحل فهتف عيسوي عندها:

- ده كداب وأكيد عارف اللي بعته.

وقبل الرد كانت مها أمامهم تنادي بشير بينما بدت ملامحها مضطربة، جاهدت نفسها التقاط أنفاسها ثم قالت:

- عربية عدت بسرعة من قدام الحضانة واضح جداً أنها كانت تقصد أيتن، لولا إيني في آخر لحظة شدتها ووقعت قبل العربية كان زماها راحت في خير كان.

- معنى كده إن كلام مسعود صح.

قالها عبد الشكور فعقب عيسوي من دون تفكير:

- مش معنى إن كلامه صح إن ده كله مش ممكن يكون فخ.

- وهي فين دلوقتي؟

سأها بشير فأجابته:

- أنا وصلتها بيتها لأنها كانت محضوطة وقلقانة واطمنت كمان إن أختها معاها.

- وبعدين هنعمل إيه؟

والسؤال من عبد الشكور لهم فرض عليهم النظر لبعضهم البعض ثم أدرك من كان يوماً ما متردد أن ثمة لحظات لا تحتاج إلا الحسم فقرر التحرك، الآن.

كان عليهم الذهاب لبيت أيتن لإقناعها بالمكوث مع مها ببيتها عدة أيام كي يضمناوا ألا يتعرض لها عارف بأذى، ورغم عناد أيتن

فإنها لم تملك إلا الموافقة على عرضهم فلم تعد تقدر على مواجهة الأمر وحدها.

بنفس التوقيت قرر عيسوي مراقبة مسعود ربما يتسنى له معرفة خطواته.

كانت وجهته الأولى محامي فيروز، لو كان هدف عارف ضياع الشركة فأخر خيط تبقى هو أن يتمكن أحدهم من الإدارة، فلننقذ ما يمكن إنقاذه، منح المحامي أوراق التوكيل بجوار ذلك نقل الأموال الموجودة بحسابه لحساب الشركة ثم عقب:

- بلغ مدام فيروز تنقل الإدارة مني لأي حد من الموظفين، أنا هفضل في الشركة لحد ما المشاكل تتحل ويتواجد مهندس بدالي وبعدها هستقيل، قولها ترجع تشوف مالها، وقولها المال السايب لازم يعلم السرقة.

قالت مسعود وقام من مكانه ليستوقفه المحامي بقوله:

- ومن قالك إن فيروز صاحبة المال.

عقب المحامي ثم وقف قبالتة وأكمل:

- يا باشمهندس الشركة في الأصل كانت ملك زوج مدام فيروز السابق ومدام فيروز أخذتها بالتحايل والسرقة، ويمكن لو دورنا هنلاقي الشركة دي من أول ما اتفتحت كل اللي أداروها كانوا حرامية.

كلمات فرضت على مسعود الاستغراب فأردف الخامي عندها:
- لو الشركة فارقة معاكم ارجعوا وقفوها على رجلها واختاروا من
بينكم اللي يديرها وحطوا في دماغكم أن كل واحد فيكم له دور،
وإن الرئيس والمرؤوس الاتنين موظفين في الشركة.

- تفتكر هتلق حق؟

- أكيد هتلق حقوا، لو فعلاً الشركة فارقة معاكم يبقى أكيد
هتلق حقوا

كانت تلك الكلمات آخر ما قاله الخامي، رحل بعدها عائداً
للسيارة، مكث فيها لدقائق في شروذ والخوف يساوره، هل فعل
عارف بدرة وبنيته مكروهاً أما أنها رحلت بإرادتها وتركه، أمسك
بيده ورقة وقلماً وشرع في الكتابة وقد ترقرت عينه بالدموع.
"حبيبي درة.."

واحتار فيما يكتبه، هل عليه أن يعتذر أم فقط يوضح موقفه:
لم أتعمد إخافتك، بل الأمر ببساطة أنني كنت الخائف من
ضياحك..

"مش هقول آسف وسامحيني، مش كبير أو غرور قد ما هو
إحساس إن الاعتذار عمره ما هيكون كافي، كل اللي أقدر أقولهولك
إن مسعود القديم انتصرك في النهاية، وإن هو اللي آسف على كل
حاجة حصلت مش أنا".

والوجهة التالية كانت بيت عطيات التي إلى الآن لا تعرف عنها شيئاً بدورها، وكلاهما تبادل النظر وقد شعرا بالخوف ثم مد يده بالخطاب وعقب:

– إذا جت كلميني وأنا هزل أدور عليها تاني يمكن ألقبيها، أنا متأكد إنها راحت عند حد من قرابيتها، متقلقيش.

نكست رأسها وهي تمسك بخطابه ثم عقب:

– أول ما تلاقيها طمني يا ابني، وأنا لو جت هكلمك.

لكن ماذا لو أنها لم تعد، أو أن هناك شخصاً ما قد أذاها أو...

أمسك بهاتفه وقرر الاتصال به، وما أشبه الليلة بالبارحة! بالأمس كان بغدادي واليوم مسعود.

– فين درة يا دكتور عارف؟

وصوته هادئ ومتزن، وكأنه لا يخشى ضياعها، وكأن بين السطور تأكيداً؛ أن سيناريو بغدادي لن يكتمل، لكن عارف لا يعرف اليأس.

– عايزها، طيب لو كده منفذتيش ليه.

– أنت عارف طريقها.

– لا؛ معرفش.

– متخيل إني ممكن أصدقك.

– متخيل أنه يفرق معايا.

وساد الصمت وبعدها أردف عارف:

- أنت مش انتصرت للحق، برافو، خليه ينفعك، خليه يرجعك درة، خلي عيسوي وبشير وعبد الشكور ده إذا فرضنا أنهم ممكن يتقوا فيك يدوروا معاك يمكن تلاقيها، بس أنا عايزك تعرف حاجة، الشركة اللي متخيل أنك تقدر تحميها انساها ومصيركم أنتم الأربعة بقي محتوم، مهما قاومتوا أو حاولتوا تصلحوا.

"it's too late"

- أنت عايز مننا إيه بالضبط؟

- سؤال ملهوش إجابة عندي، بس لو مُصرِ تعرفها تعالى وأنا أجوابك.

وكانت الجملة الأخيرة التي بعدها، انقطع الخط، وقد ترك مسعود في خضم احتمالات ما عاد يدرك أي منها في نهايته الحقيقية.

وصدقت توقعاته حين رآه وقد صف سيارته بجوار منزل عارف وفتح البوابة ودخل، فصف عيسوي دراجته البخارية وتحرك بهدوء وقد اختبأ خلف الأشجار التي كانت تحوط منزل عارف وعندها، رأى عارف وقد أطلق رصاصة من مسدسه بأحد إطارات سيارة مسعود أو تلك التي كانت لفيروز، ثم اتبع من دخل قبل دقائق وقد جلب من حديقة منزله عصا ثقيلة ثم تابع عارف سيره خلف من وقف في منتصف الردهة وقد دخل كونه وجد باب الفيلا مفتوحاً: "أهلاً".

سمعها من عارف فالتفت ومع التفاتته كانت الضربة منه بكل قوة فوق رأسه وعلى إثرها أغشي عليه.

وانزوت ابتسامة على شفثيه وهو يسحبه لجهازه، يوماً ما قد سبقك بغدادى لنفس المصير، وكانت نهايته بيده. والسيناريو بسيط يقتل الثلاثي البغيض بيده ثم ينتحر وتبقى التجربة بمأمن:

" now.the operation is ready"

– باي باي باشمهندس مسعود.

وهي ضغطة زر واحدة وبعدها سينال ما يريد، لكن صوت تكسير زجاج إحدى النوافذ حال بينه وبين كيسها، هل يوجد بالفيلا أحد عاداه، لقد تأكد صباحاً من خروج نانسي وفريد والوجود باخطة التلفزيونية، فمن هنا؟

كاميرا المراقبة بتأكيد ستظهر ولكن لا أثر لدخول أحد، ربما هو طائر وقد كسره خطأً، تنفس بهدوء ولكن مرة أخرى سمع صوت كسر زجاج نافذة أخرى، ومرة أخرى لا أحد بكاميرات المراقبة، ولم يملك بُدّاً إلا الخروج من معمله للبحث، خرج للردهة ولا أثر لأحد، أيعقل أنه مجرد حادث يتكرر، والصوت مرة أخرى لنافذة أخرى فلم يملك إلا الصعود للغرف وعندها قرر عيسوي الدخول للفيلا بينما عارف صعد للطابق العلوي هاتفاً:

– مين هنا؟

ولم يجد أحد فعاد للرددة وقد أخرج مسدسه، ليجد عيسوي قد
تأهب لضربه بالعصا فشحذ مسدسه ثم توقف كلاهما وقد تبادلوا
النظر، زفر عارف ثم قال بحدة:

- ارمي اللي في إيدك دي يا شاطر، وافتكر اللي حصل لعبد
الشكور، عارف مبيهزرش مع الرصاص، وأظن مش مسعود اللي
يستاهل تضيع نفسك عشانه، ولا إيه؟
ابتسم هازناً ثم رد بتأكيد:

- تصدق معاك حق.

ثم ألقى العصا بجواره ورفع كلتا يديه لأعلى وهو يعود بخطواته
للخلف وفي بغتة سحب طرف السجادة ليفرض عليه السقوط وقد
سقط مسدسه بدوره فأسرع وركله بقدمه ثم التقطته وهو يعقب
باستهزاء:

- لا أنت تشوفلك حل في المسدس ده، أقولك حاجة أنت تربطه
في الحزام بتاع البنطلون، بس اوعى يقع منك في الحمام.

- هات المسدس ده يا عيسوي.

قالها عارف بزعيق وقد جحظت عيناه بغضب فكان الرد:

- لا.

فعلا هتافه بعدها:

- أغبيا أغبيا أغبيا، هتعيشوا أغبيا وتموتوا أغبيا، إيه اللي يخليك
تحاول تساعد واحد باعك وغدر بيك؟ إيه اللي يخلي عبد الشكور

ينسى أولاده ويقرر يحافظ على مها؟ إيه اللي يخلي مسعود يرفض ملكية الشركة مع إنه مكش يلجم بربع ده من سنة؟ إيه اللي يخلي بشير ميسلميش ويقاوح لحد آخر لحظة، غير أنكم أغبيا، أغبي أربعة قابلتهم في حياتي.

والجملة الأخيرة قيلت بكل غيظ وهو يمسخ وجهه بيده ثم يتوعد:

- لو التجربة فشلت وكان التمن حياتي أنا مش هموت لوحدي، هدفعكم التمن معايا، هوجعكم في أعز ما عندكم، وابقوا خلوا البطولة تنفعكم.

قال ما عنده ثم ترَّجَّح وسقط ليظهر مسعود خلفه وقد ضربه فوق رأسه، وعندها تبادلنا النظر دون كلام ثم نظر كلاهما لعارف.

وكاد مسعود أن يسقط بجواره إلا أن يد عيسوي قد أسندته وعندها تتمم:

- إحنا لازم نمشي من هنا.

- أكيد.

استند عليه ثم خطوا نحو الخارج لكن قبل رحيلهما التفت مسعود ثم نظر لعارف ثم قرر أن يعود له وقد سحب هاتفه مقررًا الحصول على ذاكرته.

فتح عينيه ببطء ليجد نفسه بالأرض وصوت أقدام تدور حوله،
حاول أن يرفع رأسه لينظر وعندها أدرك بصدق أين وصلت
التجربة.

"آدم".

– هل نجحت التجربة؟

والسؤال من آدم فرض عليه القيام من مكانه ليقف قبالتة، بدا
مضطرباً وكأنه قد تم تجريده من كافة أشكال الثقة.

– دكتور آدم.

قالها مضطرباً وقد استشعر الصدمة من وجوده وصدمة أخرى
سيعرفها الآن، أنه منذ أول يوم وهو تحت المراقبة.

– ربح العاديون يا عارف، ربجوا حد سرقة حاسوبك وذاكرة
هاتفك.

– أنا...

– دعك من التبريرات، معك ثمانٍ وأربعون ساعة لإصلاح
الوضع، وبعدها لا تلم إلا نفسك.

ثم قال جملته وغادر أو للدقة اختفى وكأنه بالأساس ظهر من
العدم.

جمعهم بيت بشير وقد توسط حاسوب عارف المنضدة وقد تمكن
عماد من فتحه، وفتح ملف التجربة الرئيسي وبدأت آيتن بقراءته

"Clinical death of nations"

قرأت عدة سطور وترجمتها وبدا واضحاً مردود ما يسمعون على وجوههم، حتى هتف بشير وبالغ الضيق:

– كفاية.

– ليه يا بشير؟

سأله عيسوي فأجابه:

– لحد هنا ولازم نستوعب إحنا بنواجه مين، دي مش لعبة ولا فسحة، دي أسرار تخصصهم لو حاولنا نحكيها محدش هيصدقنا.

– أنت متخيل إننا هنتراجع.

قالها عيسوي فرد هو:

– يا جماعة الموضوع ميقاش براءة الحاج إسماعيل ولا إنقاذ شركة الفيروز، دول بيتكلموا في أمم.

– يبقى الأولى أننا نكشفهم، مش نخاف ونتراجع.

تعقيب من أيتن جاوره تعقيب من مها:

– لو سكتنا هيكون في مليون إسماعيل ومليون شركة زي

الفيروز.

– ولو هما قاصدين يخوفونا، يبقى مينفعش نخاف.

قالها مسعود ثم تابعه عبد الشكور:

– أنت الوحيد اللي فينا فهم عارف ورفض يسلم دماغه، اوعى

تتراجع دلوقتي.

"إحنا مش مطلوب مننا نحارب".

"لكن لازم نحاول".

"خوفنا مش هو الحل".

"ولا استسلامنا هينجينا".

"اوعي تبيع يا بشير".

وكان هذا آخر ما قيل، ومن بعدها قرار بإعادة التفكير ثمة قواعد

بحاجة لأن ترى النور وعلى رأسها: قاعدة ذهبية

"أن على أصحاب القضية ألا يبعوا القضية مهما كلفهم ذلك من

ثمن".

(الختام)

حصاد القواعد العشر

(لا تُحارب الخير فتستدعِ الضمائر لمواجهةك، بل اسعَ لتلبس الباطل ثياب الحق، اسعَ لتفريغ الخير من محتواه وتلك هي أعلى مراتب الإجهاز، فلا شيء يُضاهي الموت الإكلينيكي لشيء، فلا هو حي ولا هو ميت).

"الموت الإكلينيكي للأمم".

وذاك هو الاسم الأساسي للفكرة الرئيسية، ولكن ماذا عن توقيت جرينتش أهي تجربة أخرى؟
والإجابة: لا، هي ذات الفكرة، ولكن لكل عالم أهدافه، ولكل عالم طريقته؟

ما فكر به عارف كانت خلاصته كيف تمحو هوية فرد؟
وما فكر به آدم كانت خلاصته كيف تمحو هوية مجتمع؟
وحين اجتماعاً قرراً مزج الفكرتين معاً، أو هذا ما ظنه عارف، وكان النموذج حين وفرت فيروز شركتها وموظفيها. وكانت التجربة والتطبيق.

فهل نجح عارف فيما نوى أو نجح آدم حين وكل لعارف مهمته؟
والإجابة: ما زالت دون أدنى حسم لأن الجهات الأربع حين
جمعهم توقيت جرينتش وتلاشت حدود كل شيء بقي الإنسان
وفطرته.

فكانت تلك المعضلة، محو الهوية لم يكن هينًا، لأنهم لم يتنازلوا،
وتذكروا أنهم حتى لو باتوا بـ"توقيت جرينتش" فثمة توقيت آخر
سينتصر، هو ببساطة توقيتهم

ألا يستحق ما فعلوه التصفيق؟

بل التصفيق كان من نصيب غيرهم، حيث آخر يوم تصوير لفيلم
توتو اللول، وقرار باحتفال خاص جمع البطلة والبطل في أحد فنادق
القاهرة، غرفة خاصة ليلة خاصة كلمات حب وهيام وشغف،
تستحق السندريلا كل ما كانت تسمعه والثلث تم دفعه مُتَعًا، حتى
علا الصباح واستفاقت شهرزاد بعدما سقط الكلام المباح وليلة
واحدة تبعثها ليالٍ ملاح.

حتى أتت الجميلة بالبشارة، والبشارة جملتان:

"فريد إحنا لازم نتجوز".

"فريد أنا حامل".

فرك رأسه وزفر ثم أقر بترق:

– حمل إيه يا صبا، البيبي ده لازم يتزل، أنا مش بتاع جواز.

أوقف الشغل عشان أقولك عيطي واتشحتفي، ده مبقاش برنامج
ديني أبداً، أووووف.

شعرت ببالح الضيق ولكنها لا تملك من أمرها حيلة، ستجتهد
كي تبكي قدر استطاعتها وهو لم يترك لها مجالاً كونه نادى:

- فين الميكياج هنا؟

وأنت إليه واحدة منهن فحدد طلباته:

- حطيلها قطرة في عينها وعائز الكحل يبوظ على قد ما

تقدري، تمام.

وفعلت ما طلب وعاد هو لمكانه وهتف:

- أكشن.

وقمت إعادة المشهد وبكت، ولكنها لم تكن تفعل، هي فقط
تذكرت ما مضى.

تذكرت حياة تركتها لكي تحقق أحلامها، تذكرت بيتاً كان دافئاً
دون حاجة لمكيفات غالية الثمن، وتذكرته هو وقد اجتاح صدرها
القلق، لم يرد ولو مرة واحدة على مكالماتها وهي كل ما أرادته أن
تطمئن على حالته، أيعقل أنه كرهها؟

وما بين رجل كانت إجاباته: "حاضر"، رغم قلة حيلته وقد تابعها
بترجٍ بسيط مفاده صبرها حتى يستطيع، وآخر لا يوفر شيئاً إلا صور
"السيلفي" زعمًا للجميع عداها أن حبهما أبدي، ولن يتكرر في عالم
البشر. كانت هي وحيدة نادمة، باعت النفيس وربحت البخس.

فهمت حين بدأ يتحدث عن فيلمه وتأكدت حين ذكر اسم صبا،
وصاحت حين حدد ما يريد:

– أنت عايزني أبرر الزنا للناس؟

– مقلتش تبرير، إنما هي مكنتش واعية فمش متعمدة.

– عشان سكرانة.

– أم الأفورة بقي، ما تفتحي مخك معنا كده، ولا أنت صدقتي

إنك داعية بصحيح؟

أهي لحظة مكاشفة مبكرة؟

– أنت ليك دور قررره دكتور عارف يوم ما فتح القناة، ومش

شطارة منك تعيشي الدور وتنسي اللي المفروض تعمليه، فهمايني؟

قال جملته ثم ضمَّها وقَبَّل وجنتها وعَقَّب:

– صبا مظلومة يا حرام، ولا إيه؟

ولم تملك ردًّا فقط ترقرت عيناها بالدموع وقد أيقنت أن

الكومبارس لا يعترض على المخرج إذا أمر.

وكان صباح اليوم التالي استيقظ بشير مبكرًا أو ربما هو لم ينم

صعد لسطح منزله وقد أعد كوب شاي بنعناع وظل يطالع المكان

ومزروعاته والكتب ثم استندَ إلى السور ليطلع حارته والمقهى المجاور

وشرد.

اليوم باتت كل الحقائق بين يديه كاملة، ومن حاسوب عارف
بات يعرف حقيقة ما حدث لدكتور بغدادى، بعدما شاهد فيديو جمع
عارف وفيروز وبغدادى بفيلا عارف، بعدما صرح عارف بفمه أنه
سيدفع بغدادى للانتحار بيده.

قطعه من شرود يد وضعت فوق كتفه ونداء من بشير بأن يحضر
لأنهم قد تجمعوا معًا بمزله، وقبل نزوله سأله عيسوي:

– فلقان؟

أوما رأسه نافيًا، ثم نزلا ليجدا والدة بشير قد أعدت الفطور،
تجمعوا حول الطاولة وبدؤوا نقاشهم بصورة أخبرهم مسعود بأن
عارف قد وضعها على صفحته الشخصية، وما إن رأها أيتن حتى
استشعرت ارتجافة ولن تنكر خوفها.

الآن فهمت كيف عرف عارف بقصة فيديوهاتهما، لأن عارف قد
أخذ الدمية التي كانت بحقيبتها وهشمها ورفع الصورة على صفحته
كإشارة لما ينوي فعله، نظر بشير للصورة وفهم وعندها عقب:
– إحنا فاهمين إن اللي هيحصل أصعب بكثير من توقعتنا.

تنهدت أيتن وردت:

– هو بيلعب على مخاوفنا، بس بالطريقة دي هنوصل للحظة اللي
هنكون فيها على أرض الموت.

ومن استغربت واستفسرت كانت مها وعندها أردفت أيتن:

- ده مصطلح كان في كتاب سان تزو، مبدأ الأصل فيه أنك لو قائد في معركة وعازرة جنودك يجاربوا بكل شجاعة ساومهم على حياتهم، لما تكون عارف أنك مهدد هتجارب بكل طاقتك عشان مفيش قدامك حلول تانية.
"أتمنى".

تعقيب من عبد الشكور تابعه سؤال من عيسوي مفاده: من أين سنبدأ اليوم؟

سؤال كان عليهم التركيز في إجابته، خاصة وهم يدركون أن الطرق القانونية قد لا تفيدهم، فما الضامن أن القضية لن يتم التلاعب بها لصالح عارف، أو تتدخل جهات سيادية؟
"لازم تبقى قضية رأي عام، الناس تشوف كلها في التلفزيون الفيديوهات دي".

عقبت أيتن فتابعته آلاء:

- ممكن نحاول ناخذ بث قناة ونبث الفيديوهات من خلالها.

رد مسعود:

- الموضوع مش هيبكون بالسهولة دي.

- نتجمع في ميدان ونذيعهم من خلال بروجيكتور.

والفكرة من مها رد عليها عبد الشكور: ساعتها الأمن هيلمنا إحنا ومش بعيد يلبسونا قضية.

"ممكن نرفعها على القناة بتاعتي على يوتيوب، في عدد كبير بيتفرج عليها ده غير الشير".

قالتها آيتن فكان التعقيب من بشير:

- بس هما دلوقتي بقوا عارفين إن القناة بتاعتك، وإحنا منضمنش رد فعلهم، فبلاش حاجة ممكن يكون فيها أذى مباشر خصوصاً عليكم أنتم.

تحدث بصيغة الجمع حين ذكر عارف، وبنفس الصيغة ليقصدها وأختها الصغرى.

"طيب هنعمل إيه دلوقتي؟"

قالها عيسوي وصمتوا ثم قرر بشير الرد:

-إحنا نفكر في...

وقاطعهم صوت هاتف عيسوي فصمت بشير بينما رد هو وقد بدا واضحاً على وجهه أن الأمر جلل:
"شجن".

قالها وقد شحب وجهه، وما إن عرف مكان المشفى حتى أهملها المكالمة وانطلق حتى دون أن يشرح هو فقط وضح وهو يهتف بغضب:

- عريية ضربت شجن وهربت بسرعة وهي في المستشفى دلوقتي.

ثم ركض وقد لحقه مسعود ليدرك بعدها بشير والبقية أن عارف
كالعادة استبقهم.

خطوبة تم فسخها، ثم خطوبة تم فسخها، ثم عريس جديد، ولن
تتوقف فاطمة عن إلحاحها، زفرت بشدة وقد اتخذت قرارها هذه المرة
بالرفض القاطع مهما يكلفها الأمر، لقد اكتفت من المواربة
لإرضائهم، أو للدقة تعلمت الدرس، تعلمت أن الحياة الحقيقية تُبنى
على الحسم، ونقطة أخرى حسمتها بداخلها؛ هي ما زالت تحب
عيسوي.

غادرت منزلها باتجاه عملها، كانت التاسعة صباحًا حين مرت
سيارة مسرعة دهستها ثم هرب سائقها مسرعًا وآخر ما لُحِه من سعوا
أن يعرفوا هوية من فعل الحادثة رؤية السيارة وقد طُمت أرقام
لوحتها المعدنية

ولم يتوقع من نفسه كل هذا الغضب والحزن وهو يطالعها نائمة
بعد خروجها من غرفة العمليات، شعر بعجز امتلكه كون عارف قرر
إيذائه فيها وهو لم يستطع حمايتها أو منعه، خوف وقلق اجتاح
مسعود وهو يراقب اللهفة في عين عيسوي على خطيته ويتذكر درة
ويخشى أن يكون عارف قد آذاها أو تعرضت لمكروه وهو لا يدري.
أسى جثم على صدر بشير وهو يتذكر إسماعيل، وضيق فرض
على عبد الشكور الترقب.

ما القادم معك يا عارف؛ لا ندري، لكنك لم تترك لنا الخيار،
فكان قرارنا؛ لن تستسلم أبداً؟

وقبل أن يفكروا كانت المباغثة الثانية حين أتى مدبولي لمتزل بشير
يرجوه انجيء معه علّه يستطيع فعل شيء حيال تلك الكارثة.

- العمارات كلها وقعت الهاردة الصبح، والناس ملمومة عند
الشركة عايزين يكسروها.

وحين وصلوا لمقر الشركة أدركوا حجم الكارثة التي وقعوا فيها
ولم يستطيعوا الصعود للشركة كون الناس قد هاجموا وأضرموا النار
فيها، والتالي كان قرار القبض عليهم بتهمة النصب والاحتيال
وتشميع شركة الفيروز بالشمع الأحمر.

لا وقت لالتقاط الأنفاس، الرباعي البغيض جمعتهم عربة الشرطة،
فساد الصمت وهم يتبادلون النظرات.

الباطل لن يهدأ، الباطل لا ينتظر، الشياطين حين تباغت لا تترك
فرصاً، والنهائية الحتمية لمن تحررت عقولهم بالتأكد أسرهم.

وهو تنفس الصعداء حين وجدهم يدخلون القسم، تنفس كونه
انتهى من أمرهم، وداخل القسم كانت تتوافد شهادات المقاتلين
والعاملين بالمشروع:

"لقد تلاعبوا بالناس، حصلوا على أموال وقاموا بالدعابة لمباني
واهية"

لذا جاء القرار بحبسهم أربعة أيام على ذمة التحقيق وبطريقهم
للحبس انتظرهم عارف، وقف أمامهم وقال:
- أظن كده وصلنا للنهاية، هه مين فينا اللي انتصر.
- الشاطر اللي يضحك في الآخر.
قالها عيسوي بتحدى فعقب عارف هازناً:
- إحنا فعلاً وصلنا للآخر، وأنا اللي بضحك دلوقتي.
- يبقى الشاطر هو اللي يخلق آخر يضحك عنده، حتى لو
الطريق خلص.

قالها بشير مبتسماً فجاوره عارف وقال:
- التجربة خلصت وتمت ونتيجتها أعلنت، كمل بس متزعش
لأن النتيجة واحدة، آمن إن مفيش فايدة.
- مش هيجصل.

دفعهم العسكري ليتحركوا وعندها تبادل عارف وبشير النظرة
الأخيرة ولكنه لن يعبأ، سيتجه صوب مركزه ليعد حفلاً ويسعى
خلف تكريم وجائزة ولن يستوقف ما حدث للرباعي البغيض أحد،
دُفع بهم في الزنزانة الواحد تلو الآخر، فوقفوا بأماكنهم من دون
حول ولا قوة وقد نكسوا رؤوسهم ثم كان حديثهم بمرارة، وقد
ارتقوا أرضاً وتجاوروا.
"يعني مفيش فايدة".
"أيوه".

"معقول مفيش فايذة".

"لا".

وصوتهم كان مألوفاً حد أنه استوقف أحدهم، فقرر أن يقترب
ليتأكد، وحين أتى وقف يتطلع بوجوههم، ورغم ظلام الزنزانة فإن
قلبه قد رَجَفَ فهتف باسمه:

- بشير.

فرغ الأربعة رؤوسهم لينظروا لمن وقف أمامهم وعندها علا
هتافهم:

"حاج إسماعيل".

"جدي".

قراءة ستة أشهر من العتمة والمتهم بريء، ولكنه لا يملك دليلاً
ليثبته، حتى بشارة محاميه بالمرة السابقة قد تبخرت، فبحكم أن
قضيته جنائية لا يجوز أن تزيد مدة حبسه الاحتياطي عن خمسة أشهر
ولذا سيخرج وكاد يفرح، إلا أن المحكمة المختصة بقضيته قد أمرت
قبل انقضاء المدة بمد حبسه والتجديد لمدد أخرى، انقضت الأولى
منها فأتى إسماعيل اليوم ليطم عنده على النيابة عند صباح اليوم
التالي أو ربما هو قُدر له أن يقابلهم.

اجتمعوا حوله وكانت لحظتهم الاستثنائية، هل عليهم أن يياسوا
بعد كل ما مضى؟

- تبقوا هبل ولا مؤاخذة.

- الشركة خلاص وقعت، التجربة خلاص نجحت

- وإيه يعني.

قالها محنداً ثم أردف:

- ثم مين اللي قالكم إنه نجح، بقى شركة موظفينها سابوها حد

ما وقعت يبقى مين اللي وقعها عارف ولا أنتم.

صمتوا وقد نظروا لبعضهم البعض، وعندها عادوا بنظرهم

لوجهه، لم يتأثر إسماعيل بأسره، بل زاد يقينه وثباته بربه ونفسه

وعندها أكمل:

- عارف مكنش أذكى منكم، بس عرف إزاي يلهيكم، كل

واحد فيكم مكنش شايف غلطاته عشان مركز مع زميله، صح ولا

لا؟

صمتوا ولم يردوا وقد نكسوا وجوههم فرفعها بيده وهو يعقب

بقوة:

- بصولي وأنا بكلمكم، أنا لا سمح الله مش بأنبكم بالعكس أنا

فرحان ببيكم وعهد الله فرحان ببيكم ونفسي أقوم أرقص في الزنانة

دي وأقول تربية إسماعيل مخيتش وتربية مشيرة مخيتش ولو أعرف

مين اللي ربي الاتنين اللي معاكم أقول برضو، أما سيبكم من اللي

فات، واخلونا في دلوقتي، عارف نجح؟

- آه. "هاوووووووووو".

قالها إسماعيل هازناً ثم أردف:

- لو نجح عمره ما كان هيجي لحد عندكم برجيله ويقولكم أنا كسبت، من إمتى القوي بيروح للضعيف، جديدة دي.

- قصدك إنه خايف مننا.

- طبعاً، أنتم عارفين إيه أكثر لحظة لازم القائد الشاطر يعملها ألف حساب.

- إيه؟

- اللحظة اللي بيفرحوا فيها جنوده بأنهم كسبوا، اللي يتلهوا فيها بجمع الغنيمة، وياما حروب كان حسمها في آخر لحظة، مجرد بس ما القائد وجنوده ركزوا، عارفين في إيه؟

- إيه؟

وقيلت جماعية ليكمل بعدها:

- إن الفرص إحنا اللي بنخلقها بإيدينا ومينفعش نستناها يا تيجي يا متجيش، فاهم ياض منك له؟

والإجابة نعم، فهموا وفكروا واستوعبوا

استوعبوا في لحظة فارقة الفارق...

بين المخلص والقائد

مناسبة كبرى وحفل كبير ينتظره الجميع، فالكل مدعو، حفل سيتحدث فيه عارف عن جهازه المعجزة القادر على تغيير واقع أي

شخص للأفضل، والدليل فريد ونانسي، فماضيهما اليوم لو عرفه الجميع لن يستوقف أحداً، ولا حتى الـ "single mother" رغم أنهما قررت التخلي عن طفلها، ليس لأنه ابن صبي المقهوى ولكن لأن هناك عرضاً أفضل من المنتج، وهو عقد زواج عرفي بجوار عقد فيلم جديد، وب نظرة متأنية وافقت على العرض، لكن أخبار صبا لم تستوقف مواقع التواصل لأن هناك ما هو أقوى.

"خلعت لوللا حجابها".

وستعود مع فيلم استعراضي غنائي راقص بجوار احتمالية كونه تاريخياً جغرافياً حربياً مميزاً قد اقتربت من المئة مليون كون أجر لوللا وحده قد تخطى المليون جنيه.

وحالة إهراء أخرى فرضت نفسها كون الشبيخة رنا قد أصدرت برنامجها فتوى عن أن الزانية لن تكون زانية أو يحسب لها الزنا لو لم تكن بوعيها، فتوى أثارت حفيظة الأزهر لكن ثمة عدد كبير من المثقفين والمفكرين قد أثنوا عليها، فالفاقدة لوعياها لا تملك نية التعمد لذا سقط عنها التكليف.

وجمل كنتك فرضت عليها أن تكون ضيفة في عدة برامج "توك شو" لتحدث عن فتواها، يهاجمها عدد من المشايخ فتتفرع عن الرد فيتصل بما آخرون ليحيوها على جرأة مواقفها وعدم خوفها من الإرهاب الديني، هي مثال جيد للإسلام الوسطي اللذيذ، وليت كل الدعاة مثلها.

وفي خضم الفوضى أترى ذلك العالم من الممكن أن يستوقفه أن
هناك خمسة رجال عالقين في غيبات السجن؟
والإجابة حتى لو صاروا مئة أو ألفاً أو عدة آلاف هم لا شيء
حتى يستوقفوا أحداً، هم العاديون والعاديون.... أكثر.

ليلة بالتأكيد قاسية، وأقسى ما فيها حين تتلفك البرامج
الإعلامية لتتحدث عنك كمذنب ومجرم عتيد الإجرام بينما أنت
البريء.

لكن من سيصدقك أنت ويكذبهم هم، والإعلامي المخضرم حين
يبدأ بالحديث عنهم سيؤكد أن ما يقوله هو الحقيقة، وكل الضيوف
أو المتصلين لن يتحدثوا إلا عن طرف واحد، طرف يؤكد أنهم
المذنبون والعزاء كل العزاء للمهنية والحيادية وعرض الرأي والرأي
الآخر.

"الحقيقة حاولنا نكلم أي حد من طرف الأربعة لكن الكل رفض
يظهر معنا".

وها هو عذر كاف.

استفاقت شجن لتجد مشيرة بجوارها، تبكى وهي تتذكر آخر ما
طلبه منها عيسوي قبل أن يغادر المشفى، بأن تطمئن على شجن ولو
أمكن تُطمئنه.

- طنط مشيرة.

– حمد لله على السلامة يا بنتي.

ودموعها فرضت على شجن الاستغراب، بالتأكيد هي لا تبكي بسببها، لأنها لا تظن أن حالتها حرجة، وإن كانت مشيرة قد أتت أيّني هذا أن عيسوي قد أتى بدوره؟

ولم تَحْتَجْ لردود كون والدها قد دخل للغرفة مقررًا تشغيل التلفاز الموجود بها وهو يسأل مشيرة بقلق:

– في أي جديد عن عيسوي؟ عماد متصلش يطمنا.

أجابته مشيرة بالنفي، ولم يكن قد التفت لاستفاقة ابنته التي اضطربت حين شاهدت صورة عيسوي بجوار الأربعة بالتلفاز وقرأت ما كتب عنهم وعندها فهمت، فلم يسعها إلا أن ربتت على يد مشيرة من دون أن تعقب بكلمة وبدورها ربتت مشيرة على يدها، علّهما تستقويان ببعضهما البعض.

وببيت عمها انزوت بغرفتها تبكي بحرقة، عارف أبو العزم قد تمكن من زوجها حد تدميره، وها هي نأيته، مسجون بتهمة نصب، وها هي المسؤولية التي ظنها هينة، واصلت بكاءها حتى قاطعها طرق الباب على غرفتها وكان الطارق والدقما، عرفت عطيات من عم درة أنّها قد أتت إليه وترجته المكوث عنده دون أن يخبر أحد وحين استشعر أن عطيات كادت تُجن من القلق أخبرها، وما إن رأتها وقد

جلست أمامها حتى دفنت رأسها بصدرها وقد زاد بكاءها وهي
تعقب:

- مسعود اتسجن يا ماما، مسعود خلاص ضاع، يا ريتني كنت
فوقت من زمان وفوقته، أنا سكت وسييت الفرعون يتفرعن، أنا لو
كنت اتحركت كان ضميره هيتحرك.

- مش لوحذك، المهم دلوقتي ادعيله، قادر ربنا يفك كربه.

ثم قدمت خطابه لها وهي تؤكد:

- عايزة أقولك إني يمكن كل اللي كان شغلني هو مصلحتك،
دائمًا كنت شايفة إنك تستاهلي اللي أحسن منه، لكن أنا كنت طول
الوقت بضغط، أنا من هنا ورايح مش هدخل، والقرار بعد ما تقري
جوابه بإيدك أنت.

بالكاد توقفت اعتماد عن البكاء وهدأت ثورتها وهي تتحدث
أمامهم إنما لو رأت عارف سوف تأكله بأسنانها، ومر يومان حاولوا
قدر المستطاع تجاوز الأمر على الأقل من أجل الصغار ورغم ذلك
عادت الصغيرة لشرودها، وحين أرادت مها تلطيف الأجواء قررت
أن تجاورها على الأريكة ليشاهدها معًا أحد برامج الرسوم المتحركة
بالتلفاز، كانت مها تنتقل بيدها عبر القنوات حتى جاءت صورة رنا
وعندها أشاحت كثيري بوجهها كي لا تراها، موقف فرض على مها

القلق حيالها فقربتها وأجلستها فوق ساقها وضمتها إليها وهي تسأل:

- زعلانة منها.

فأومات رأسها بإيجاب وهي ترد:

- سابتنا وراحت عند عمو الوحش، أنا زعلانة عشان هي مش بتحبنا.

ولأول مرة تستشعر مها أنما التي اعتادت التخفيف عن الجميع عاجزة عن فعل أي شيء لتلك الصغيرة، ولم تملك إلا عدم إظهار حزنها ومحاولة المزاح معها كي تُخرجها من حالتها تلك.

- بقولك إيه، تعرفي إن أوضتي فيها كيس كبير مليون حاجات حلوة، أنا جبته وخبيته أحسن آلاء تشوفه وهندخل أنا وأنتِ دلوقتي نأكله في الحباثة.

- مين جاب سيرة آلاء؟

قالتها آلاء وقد قررت بدورها المزاح من أجل التخفيف عن كترتي التي أخيراً ابتسمت، فشعرتا ببعض الراحة.

لكنها تلاشت عندما طرق أحدهم باب منزلهم، اتجهت أمينة لتفتح لتجد حسن أمامها.

كانت مها بغرفتها حين سمعت صوته وهو يسأل عنها، وكادت والدتها تطرده، لكنه أصرَّ على مقابلة مها التي حين خرجت وقفت أمامه وعقدت ذراعيها أمام صدرها وسألت بجدة:

- جاي عايز ايه تاني يا حسن؟

- أنا عارف إنك...

ولم تمهله فرصة ليكمل، صفعته بقوة فصمت ثم تابعت هي:

- لو لسة جواك ذرة رجولة متورنيش وشك ولو صدفة، ولو فاكر إن بعد ما بشير وجدي اتسجنوا ظلم إني دلوقتي ضعيفة يبقى أنت متعرفش مها كويس، واوعى تكون فاكر إن مش عارفة إنك لسة مع عارف لحد دلوقتي، فاطع برة يا دكتور، كمل الطريق اللي اختارته لنهايته، وأوعى تظن للحظة إن ممكن أغير نظرتي عنك بعد ما شوفتك على حقيقتك.

رَحَلْ فاتجهت لغرفتها باكية تابعتها أيتن وآلاء وجاورقها كترتي تمسح دموعها وتضع قبلة على خدها وهي تربت على كتفها، فلم تملك إلا أن تبتسم وعندها مسحت دموعها وعقبت:

- أنا كويسة متقلقوش عليا.

ثم سألت أيتن عما سيفعلونه بالصباح مع محامي شركة الفيروز ومحامي جدها، فكانت إجابتها بشارة، فربما بالغد قد تثبت براءتهم ويخرجون ومن ثم تبدأ خطتهم.

- ومن هنا لميعاد حفلة عارف يوم الخميس هنكون جاهزين.

صباح الاثنين

بدأت التحضيرات ليوم الخميس بحجز أحد أكبر قاعات المؤتمرات، بينما وقف محامي شركة الفيروز أمام الضابط ليضع بين يديه أوراق ملكية الشركة والتي تحمل فيروز المسؤولية كونها هربت وتركت فقط مسؤولية الإدارة على الموظفين.

دعوات لشخصيات سيادية ودبلوماسية بارزة، بالإضافة لعدد كبير من نجوم المجتمع وعلى رأسهم فريد وصبا.

ظهور أدلة جديدة قد تدين آخرين في قضية انتحار الدكتور بغدادى أيوب، والإدانة تطال أسماء حساسة على رأسها اسم عارف أبو العزم.

تدخل جهات غير معلومة لوقف النشر والتحقيق بقضية بغدادى أيوب، والاكتفاء بإخلاء سبيل إسماعيل الفولاي بكفالة مالية.

لتتعالى الزغاريد عندها وتملأ بيت بشير بل الحلمية برمتها، الحاج إسماعيل على الأسفلت، فرحة عمت شارع فرقص الجيران وعلى رأسهم صاحب المقهى المجاور بينما حسن وقف من بعيد يراقب. من المفترض أن جميعهم قد خرج بكفالة إلا أن الرباعي البغيض لم يظهر بعد، اختفوا ولم يعد يعرف أحد مكانهم.

صباح الخميس

هي المرة الأولى في حياته كلها التي يستشعر أن الأمور قد فلتت من يده، أين ذهب الرباعي البغيض؟
لا يعلم أحد!

لا رجاله ولا آدم ولا حتى حسن، والسيء ليس أنهم اختلفوا بل أنه ما عاد يدرك فيما يفكرون، ما عاد بإمكان أبو العزم التوقع بخطواتهم التالية، فهل اختلفوا لأنهم يخشوه، أم اختلفوا لأنهم أرادوا أن يباغثوه بضربة قاضية؟

ومن بين حيرته تطلّع لآدم الذي يراقب ما يحدث في صمت دون تعقيب واحد، فما الذي بات ينويه هو وشركاؤه المنتظرون للنتائج؟
فالنتائج مرفوعة لأن العاديين لا يزالون يقاومون.

ورغم هذا تقدم إلى القاعة وقد علا التصفيق بقدومه، ثم نظر بجواره لشاشة العرض والتي وُضِعَ أمامها منضدة كبيرة وضع هو عليها جهازه وجوارها جهاز بروجيكتور لعرض التعريف بالتجربة، وقد وقف هو على منصة يعلوها ميكروفون ليبدأ حديثه:

"ladies and gentlemen"

تحدث هو بالإنجليزية بينما بدا صوت المترجم أعلى بعض الشيء عبر التلفاز

"أيتها السيدات والسادة، إننا اليوم بصدد يوم استثنائي في تاريخ العلم والعلماء، يوم سيتحدث عنه التاريخ لاحقاً، حيث خروج جهاز توقيت جرينتش إلى النور، أعلم أن الجهاز قد دارت حوله الأقاويل

منذ أن جئت إلى القاهرة، شائعات لطالما طالت شخصي وطالت
مركزي وفتاتي الفضائية وجهاز قد عكفت لسنوات أعمل عليه كي
يُبدد الجهل الجاثم فوق العقول".

ثم تنفس لدقيقة وبعدها أكمل:

- وأنا أدرك أننا جميعاً نقاوم التغيير حتى لو كان للأفضل، فطرة
النفس البشرية تميل إلى الراحة، وتطوير الذات كان ولا يزال معضلة
كُثر، لكن بعدما بات عندنا جهاز كهذا، أفخر أنا عارف أبو العزم
أننا نملك مثله".

رشفة ماء ثم البقية:

- لن نعد بحاجة إلى بحث ودراسة وقراءة، فقط جلسة واحدة
تسحب من عقلك كل ما لوّث أفكاره، ليعود لك أبيض ناصع
البياض، ومن ثم تضع أنت السيناريو الذي تريده، وعندها ستجبر
نفسك على النجاح والتطور والغنى وبالتأكيد كل ما سبق هو إكسير
السعادة".

تعالى التصفيق فالحنى لتحية جمهوره، قلت حدة القلق بعض
الشيء، حد ثقته بأنهم لن يؤرقوه لخوفهم، وعندها قرر أن يبدأ
عرضه.

فقام بتشغيل جهازه ليرى الحاضرون كيفية عمله لكن الصدمة
كانت فيما سمعه، ما إن بدأ بتشغيله حتى صدحت منه صوت لوللا
وهي تصدح بأغنية إعلانه، صدم عارف وتطلع لجهازه ولم يفهم ما

الذي حدث، بينما تعالت الهمهمات الساخرة والمستهزئة وتعالى معها ضحك الناس بالقاعة وبالتأكيد مَنْ كان يشاهد ما يحدث عبر التلفاز. بدأ الضيق يتلقف آدم وهو يطالع عارف فقرر عندها عارف تدارك الأمر فأوقف جهازه ثم طالع الحاضرين معترضاً على ذلك الخطأ وقد قرر استكمال العرض بتشغيل فيديو سيشرح كيفية عمل جهازه.

زَفَرَ بشدة ثم ضغط زر التشغيل ثم برقت عيناه حين رأى، اللحظات الأخيرة بينه وبين فيروز وبغدادى أيوب على الهواء مباشرة.

المدخل الوحيد كان عن الطريق المبنى المجاور للمبنى الموجود به القاعة.

توقيت الدخول كان عند الساعة صباحاً، كيفية الدخول للدخول دون أن تكشفهم كاميرات المراقبة، كانت بمساعدة عماد ورشوة واحدة من المسؤولين عن أمن القاعة.

هم لا يريدون إلا القاعة المنوط بها حفل عارف، والغرفة التي وضع فيها عارف أجهزة العرض وجهازه، حصلوا على مفتاحها وقاموا بتبديل جهاز عارف بجهاز مُحاكٍ له قد صنعه خصيصاً لتلك اللحظة ثم خبئوا جهاز عارف معهم واختبئوا بدورهم.

"هتبتله أن توقيت جرينتش حقيقة مش مجرد خيال".

"هحدد لعقله خط سيره من المأردة لبكرة".

"هو هيقتل نفسه بنفسه".

وكلماته التي قالها فرضت على الجميع الوقوف والصدمة، أهذا

هو الجهاز الذي سيغير حياة البشر للأفضل؟

وعلى رأس المصدومين "صبا" حين وقفت واقتربت للتطلع

بالشاشة أكثر ثم استدارت لتنظر لعارف وهي تزعق:

"أنت اللي قتلته".

قالتها بصدمة وقد شعرت بالحزي من نفسها لحظة لكنها سرعان

ما اجتازتها، مات بغداداي أو قُتل، رحل وكفى، ومن الآن فصاعدًا

هي باتت النجمة صبا لا صبا بغداداي أيوب فهي قبل الجميع "قتلته".

"الفيديو ده متفبرك وأنا هتبت أنه متفبرك".

صَرَخَ بها عارف وقد بات واضحًا من نبرة صوته خوفه، عندها

منحه آدم نظرة أدرك منها أنه ورقة واحترقت وسيسهل عليهم

التضحية بها.

"كل ده مُدبّر لإحراجي وهز صورتي، أنا هوديكم كلكم في

داهية، ومش هسكت على اللي حصل، وهبلغ البوليس بنفسي".

(مش ده لو لحقت يا دكتور عارف).

والصوت لهم، والظهور لهم، إنهم هنا، وهم وراء ما حدث،

التفت ليراهم وقد تجاوروا وما إن هموا ليقترب منهم حتى انقطع

التيار الكهربائي وكان للظلام كلمته العلاء من همهمات وصراخ وخوف وفرع وما إن عادت الإضاءة حتى وجد نفسه مُقَيِّدًا على أحد المقاعد وأمامه جهازه، والأربعة وهمسة بشير في أذنه ونظرة آدم لرجاله كي يتركوه يواجههم وحده.

"شوفت بقي إنه كان لسة في آخر".

تبادلوا النظر فحاول فك يده إلا أنه عجز، وضع عيسوي يده على كتفه قائلاً:

– عموماً أوعدك إن لو كان نفسك تضحك في الآخر فإحنا معانا فقرات حلوة قوي هتضحك معها.

وأول ما فعلوه هو إظهار جهاز كان ماثلاً لجهازه وضعوه بجوار جهازه وعقب مسعود:

– إيه رأيك تجرب جهازنا إحنا؟

وعبد الشكور من قام بتشغيله ثم التفت ناحية عارف وقال:

– بس يا رب تكون مؤهل لدخول الجهاز ومتكونش غبي.
"كفاية".

زقق عارف فيهم لكنهم ضحكوا وتبادلوا معه النظر.

"مصير الدكتور بغدادي".

"إيه رأيك؟"

"طباخ السم لازم يدوقوا يا دكتور".

"جاهز".

- (الأجهزة دي مش بتاعتي، الأجهزة دي مزيفة).
- صرخ عارف وقد زادت حدة صوته ثم أردف:
- أنا هحاسبكم على لعب العيال ده.
- معقول تقول كده على أعظم اكتشاف عرفته البشرية.
- ده مش جهازي.
- دار بشير حوله وأكد:
- يا دكتور ده جهازك فعلاً، معقول مش عارف شغلك.
- خايف؟
- سأله عبد الشكور ثم أتبعه عيسوي:
- ولا مشوش؟
- ولا خايف تدخل الجهاز ومتأثرش ونبتلك أنه جهازك، أو
يأثر فيك فنبتلك بعدها إنه النسخة المتقلدة منه؟
- وتعقيب مسعود ببالغ السخرية فرض عليه أن يصمت.
- هل فشلت التجربة؟
- وهل كُتِبَ لها يوماً أن تنجح؟
- انقطع التيار الكهربائي ولكن هذه المرة لم يكن هم من فعلوها بل هو، هو افترض وجودهم فوضع خطة هروب بديلة حيث آدم وهو تنتظرهم طائرة هليكوبتر صغيرة عند سطح المبنى، ركضوا بأقصى سرعة وحين وصلوا، لَوَّح بيده ليتأكدوا أنه قد هرب.

كان الجميع قد ركضوا خلفهم ليروا عارف وقد حلق في السماء،
بينما الجهازان قد تم التحفظ عليهما من أجل إعدامهما.

وقف الأربعة بمكانهم وتطلعوا لبعضهم البعض.

هل عليهم أن يفر حوا؟

"ربما".

هل سيعود عارف يوماً ما؟

"ربما".

هل حقاً انتصروا على الدجل؟

"ربما".

ومن بعيد كانت رنا بجوار صبا بجوار حسن، يطالعوهم وقد
أكلت الحسرة قلوبهم، لكنهم لن يتراجعوا.

تقابلت عين رنا بعين عبد الشكور فاقتربت منه وقد مدت يدها
لتصافحه، لكنه تركها معلقة ورحل دون كلمة واحدة فنكست هي
وجهها تواري الدموع، كونها تعرف أن زواجها من هيشم لم يكن يوماً
مزاح، خاصة بعدما حملت في أحشائها جنينه.

نادت صبا على بشير فالتفت، ليجد النجمة تبكي، فهي دموع
من أجل بغداددي أم من أجل ما طرأ على حياتها هي؟

استدركت دموعها وابتسمت ثم عقببت:

- أنا فرحانة ببيك قوي يا بشير، أنت حقيقي طلعت بطل، أنا

الظاهر مكونتش شايفاك كويس.

- بجذ.

قالها هازناً وشعور بالدهشة يملكه، لم يتأثر برؤيتها ولا دموعها ولا مدحها، وكان كل ما كان يكنه لها لم يكن.

- إيه رأيك لو ننسى اللي فات ونبدأ صفحة جديدة سوا، بشير أنا...
قاطعها ورد:

- مينفعش يا نجمة، لأن طريقنا عمره ما هيكون واحد.

هو على يقين أنها أتت لأنه تخها وسط الحاضرين، خرج من القاعة يلتفت حوله يسعى أن يجدها، نادى بأعلى صوته حين تخها وركض حتى لحق بما فاستوقفها، وما إن وصل أمامها حتى التقط أنفاسه وقد أمسك بوجهها بين كفيه، ثم نظر لها بعتاب وقال:

وأخيراً ظهري؟

- وأخيراً فقت؟

- أنا عارف إني الوقت أتأخر، بس جوايا عشم متتخليش عني.

- بعد إيه يا مسعود، بعد ما حاجات كثير اتكسرت جوانا وإحنا

اللي كسرناها بإيدنا.

مسح بيده دموعها وعاد ليكمل:

- هنصلحها، هنحاول مرة واتنين وعشرة وأنا مش هستعجل،

المهم نرجع.

- هتقدر؟

- هحاول.

- اللي اتكسر صعب يتصلح، اللي اتكسر ثقة وعشرة.

- هحاول، وعمري ما هجبرك نرجع، سبي بس الباب موارب،
سبي فرصة ممكنة، وبعدها ليك حق الاختيار، ومهما كان أنا راضي
يا درة.

والعرض مع نهايته فرض على الرجال بالمقهى التصفيق، خلصوهم
الأربعة من عارف، فاستوجب ذلك فرحتهم، الكل يريد المخلص، ها
هم الأربعة قد فعلوا ما كان يستوجب على الجميع فعله نيابة عنهم.
وما فكر به إسماعيل هو استغلال الموقف ليتحدث إليهم بعقلانية
وكأنه تناسى أن العقل الجمعي لا يعرف المنطق، الناس دومًا ستركض
خلف ما يثير مشاعرها.

"مش آن الأوان نفوق بقى يا أخوانا، ومش كل كلمة نسمعها تودينا
وتجيبنا، إحنا اللي بنعمل الدجالين اللي زي عارف لما بنسمعهم، أو
نعمل لهم دعايا حتى لو كنا بنشتمهم أو بتتريق، الباطل بيموت لما
الناس تبطل تتكلم عنه، مش لما يزيطوا عليه ويخلوا الدنيا كلها
تشوفه، هه فهمتوا ولا لسة؟"

"فهمنا".

قالوها بأعلى صوتهم ولكنه عقب: وعهد الله شكلكم هتضيعونا

"ليه بس يا حاج إسماعيل، ده إحنا فرحانين إن اللي خلصنا من
عارف كان ابن حتنا"

"قولوا ورايا يا رجالة".

ثم علا الهتاف.

"يا بشير يا بشير إحنا وراك وأنت الكبير".

"يا بشير يا بشير إحنا وراك وأنت الكبير".

"إسماعيل يا إسماعيل قول كمان ده أنت الأصيل".

"إسماعيل يا إسماعيل قول كمان ده أنت الأصيل".

"مفيش فائدة!"

قلنا إسماعيل وهو يقلب كفاً بكفٍّ، بينما أهل الحارة قد رفعوه

على أكتافهم وقرروا، استكمال الهتاف:

فبعالت ضحكات أيتن وأختها ومها كونهم كانوا يتابعون من

الشرفة، وحين اتجهت مها للدخول جلست على سريرها وقد تنهدت

وشردت، بالتأكيد سيرحل الجميع الليلة إلى منازلهم وعلى رأس

القائمة كتري وتيم، فهل ستشتاق إليهم؟

– عارفة يا مها، الأربعة دول لو بس كانت أساميهم روضة شوية

وبعد الى عملوه انماردة كان ممكن يتعمل منهم أساطير.

– أساطير؟

ردت مها على آلاء باستغراب فرض على آلاء أن تكمل:

– جمع أسطورة يا ستي.

– مالها أساميهم مش فاهمة؟

سألت أيتن فأجابتها: هزلية، تحسي كأن أساميهم بتطلعهم لسانها، بتقولوهم أنا والزمن عليكم، بالذات عبد الشكور، هو لسة في راجل اسمه عبد الشكور أصلًا.

– ماله عبد الشكور بقي.

قالتها مها وقد عقدت ذراعها أمام صدرها ثم أردفت:

– معقول إحنا وصلنا للكده، حُكنا على الناس بقي شكلهم واسمهم وعدد الفلوروز بتوعهم، عبد الشكور بالذات أطيّب واحد فيهم، طيب لعلمك بقي ده بيفكرني بجدي إسماعيل معانا وإحنا صغيرين، تصرفاته مع ولاده، صبره على مراته، أنه يدافع عن واحدة ميعرفهاش، هو في حد في الزمن ده زيه أصلًا.

واستشعرت ابتسامة انزوت على شفتي آلاء فقررت أن تستدرك كلامها فأردفت:

– اللي عايزة أقوله إننا من غير ما نحس بقينا بنتسحب من إنسانيتنا في حكمننا على اللي حوالينا، وبقي الفيصل حاجات ملهاش لازمة

– معاك حق، وللأسف، بقى بينا مشاهير اسمًا بدون تعب أو نجاح أو أي محاولة جادة أنهم يعملوا حاجة عدلة. وكان الرد من أيتن يعقبه الرد من آلاء:

- بس بشير قدامه فرصة كويسة للشهرة، أعتقد أظرفهم اسمًا،
ومش بعيد لو اتشهر يرجع لصبا.

- لا والله.

والمعقب كانت آيتن كون الجملة استفزتها وعندها زادت ابتسامه
آلاء، فأدركت مها وآيتن أن الحوار كان لأغراض أخرى، وعندها
زادت ضحكة آلاء، وعندها سحبوها لتتوسط سرير مها، ثم بدأتا في
قذفها بالوسائد بينما هي تكتف:

- نيتي بريئة أقسم بالله.

جمعتهم الطائرة التي كان لا يُعرف وجهتها، وعندها قرر أن
يوضح:

- اللي حصل ده مش معناه إن التجربة فشلت، صدقني في أقرب
فرصة هرجع وهدور على مكان تاني وأبدأ من جديد.

لم يرد آدم فاستشعر عارف أنهم بالتأكيد يدبرون له مكيدة
فأردف:

- مينفعش تشوفوا السلبيات من غير ما تحطوا في اعتباراتكم إن
الشركة وقعت إن الجهاز فعلاً حول نبيهة لناسي.

وبابتسامه هازئة نادى آدم:

- سوزان، تعالى من فضلك.

وعندما أتت كانت الصاعقة، هي نبيهة هي نانسي هي سوزان، عميلة قد تم دسها لمراقبته وأما عن جهازه الذي ظن أنه باكورة أفكاره العلمية فجميع من عمل بالتجربة الفعلية كان يعلم أن الجهاز معطوب وغير قادر على فعل شيء.

– ليه؟

– كي تصدق نفسك، وتكمل ما كنا نريدك أن تكمله، ولن ننكر كنت ورقة رابحة والآن قد تم حرقك، وما يُحرق يا عارف يستلزم على الجميع أن يتخلصوا منه.

وعندها أخرج مسدسه من جيبه ليهدف عارف بخوف:

– فريد لا ده على الأقل.

– قد قمنا بشرائه وتدريبه قبل أن يذهب لبيتك.

نفض عنه الذهول وقال باستجداء:

– دكتور آدم، التجربة الرسمية كانت الموت الإكلينيكي وتمت، شركة الفيروز كانت النموذج المصغر لأي كيان ييفقد توقيته الرسمي وهويته وكيونته عشان يكون تابع للتوقيت العالمي، توقيت جرينتش؟
– مهمتك انتهت دكتور عارف، أعتقد أن الجحيم بحاجة إليك الآن أكثر.

– دكتور آدم أنا...

أطلق الرصاص عليه دون أن يمنحه فرصة لكلمة أخرى ثم نظر إلى جثته وسأل:

- إدوارد، هل وصلنا فوق البحر المتوسط؟

وحين أجابه بالإيجاب فتح باب الطائرة وألقى جثته ثم عقب

بعدها:

- عد بنا حيث وجهتنا.

- وماذا عن التجربة دكتور آدم؟

سألت سوزان فأجاب:

- سنكملها يا سوزان، حتى نصل إلى بُغيتنا، الثغرة الوحيدة هذه المرة أن الأربعة لم يستسلموا رغم انكسارهم، بالمرّة القادمة ستكون مهمتنا محو الأمل حتى إذا انكسروا عجزوا وعندها سنعود وستنجح التجربة.

أيعقل أن يكون الخلاص من عارف هكذا سهلاً؟

والإجابة: لا.

كونه سعى حتى رفع رأسه عن الماء ثم تنفس، ولولا القميص الواقى من الرصاص، والمادة الحمراء اللون الشبيهة بالدم لما ضمن أنهم سيصدقون موته، سيعود عارف يوماً ما، ولكن بالتأكيد ليس الآن، هو لن يحتاج إلا لمكان جديد وأناس جدد ومحاولة جديدة لإلهاء غيرهم.

"شوفت القرد".

نعم ولكن بمكان جديد وأفراد جدد واسم جديد، فمن العبث أن يضيع وقته بالركض خلف الأربعة، أو "ربما" هو سيعود ولكن بالتأكيد ليس الآن.

لكن ماذا عن الأربعة؟

خرجوا من قاعة المؤتمرات ومشوا، وسؤال تلقفته عقولهم، هل بصدق انتصروا على عارف؟

تجاوزوا الجلوس بالحسين ويبد كل واحد منهم كوب من "الحلبسة"، ومن قطع الصمت كان عيسوي وهو يسأل:

– تفتكروا فيروز هترجع؟

– معتقدتش، لأنها لو رجعت وارد تتسجن.

– المشكلة مين هيخد مكانها؟

– تفتكروا هتفرق؟

والسؤال من بشير للبقية فرض عليهم التفكير، هل حقاً لو جاء إلى الفيروز مدير يشبه من سبقته، سيكونون قد عادوا إلى نقطة الصفر، أم أن تجربتهم مع عارف غيرتهم؟

"طيب هنعمل إيه دلوقتي؟"

سؤال من مسعود كان هو أول من يدرك صعوبته.

– هندور على الفرص أو هنخلقها.

قالها عبد الشكور وقد فكر، أحقاً هو وبكل ما آلت إليه ظروفه

قد يملك فرصة؟

"بعد ما حياتنا اناهارت، بعد ما تجاربنا انا فشلت".
والرد من مسعود لازمه تعقيب من بشير:
- مفيش تجربة بتفشل، لأن الآخر مش بييجي إلا لما أنت تقف
مكانك وترفض تتحرك.
- هينفع أنا وشجن نرجع.
- حاول لحد ما تقدر.
والصمت ساد بينهم، حياتهم، غداً والقادم برمنته، هل
باستطاعتهم إصلاحه؟
"ربما".
أم
"بالتأكيد"
الأمر يتعلق بهم؟
قطع حديثهم اتصال كان من إسماعيل، وما إن رد عيسوي حتى
هتف إسماعيل بعصبية:
- أنتم فين ياض منك له.
- في الحسين.
- حسين إيه، أنا مش قايل تيجوا على البيت عشان عايزكم في
موضوع مهم.
- ما هو يا جدي...
"جدي إيه وزفت إيه، المأذون قريب يحمض".

"مأذون؟"

قالها الأربعة بصوت جماعي، وعندها هتف عيسوي:

– مأذون إيه؟ ولين؟

– هيكون لين يا سي عيسوي؟ ليا أنا ووالدتك طبعًا.

والصدمة ارتسمت على وجوههم، إسماعيل قرر أن يحسم القادم من حياته دون انتظار لمن اتخذوا من "ربما" مسلكًا.

"اقفل التلفون ألاقيكم قدامي، فاهمين؟"

"فاهمين".

ثم وجه كلامه لبشير وقد شدّد:

– تجيب معاك عليتين جاتوه، وإياك تسترخص وصندوق حاجة

ساقعة، فاهم؟

– طيب مش كنا استنيننا لبكرة ورتبنا نفسنا أحسن؟

– يا عالم ببكرة يا ابن بنتي، خلينا في انهاردة، اللي تملكه واللي في

إيدنا.

وعلى شفقي بشير ارتسمت بسمة وكأنه فهم المغزى، بل الأربعة

قد فهموا، وعندها قال بشير قبل أن يجتم مكالمته:

– أنا قولتلك قبل كده إني بحبك قوي يا جدي.

– انجز بقى يا أخي مش فاضيلك.

فلم يملك إلا الضحك وهو يقرر:

– حاضر.

وعندها همس إسماعيل بحبّ:

- ربنا يخليك ليا.

وما إن أنهى المكالمة حتى النفث لهم هاتفاً:

- عندنا فرح.

قالها بسعادة بينما توجهوا جميعهم بالمباركة ليعسوي، وغادروا الحسين إلى الحلمية، وبغرفة مها كانت مشيرة برفقتها شجن وآلاء وأيتن بينما بغرفة الصالون كان اجتماع البقية، لتتعالى زغاريد اعتماد وأمينة بجوار تصفيق كثري وضحكاتهم وقد تمّ إسماعيل زواجه. وأما عنهم فثمة تجربة قد تمت ونجحت، تعلموا منها؛ أنهم يملكون وحدهم منح أنفسهم الأفضل بأيديهم وسعيهم وإدراكهم، وحسم أول قرار بحياتهم بالتخلص من "ربما" بشكل أبدي.

شكر خاص لـ:

سامية أحمد

منى سلامة

د. أحمد سعيد مراد

منى غيضان

هاجر حمدي

